

اللهجات العربية في

دكتور إبراهيم أنيس

إستاذ بكلية دار العلوم - القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية سابقاً

الناشر

مكتبه الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

اللُّهْجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي

دكتور إبراهيم أنيس

إستاذ بكلية دار العلوم - القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة

١٩٩٢

مكتبة المطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الرابعة

بدا لي وأنا بصدد هذه الطبعة لكتابي « في اللهجات العربية » أن أختم تلك الجولة الطويلة في دراسة اللهجات القديمة لأجدادنا العرب الأجداد ، بفصل عنوانه [هل اللغة العربية لغة بدوية ؟] ، أورد فيه نص البحث الذي ألقيته في مؤتمر جمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ ، ليكون الفصل السابع ، أي في خاتمة تطوافي بمسائل اللهجات في كل الظواهر من حيث الأصوات ، ومن حيث بنية الكلمات ودلالاتها .

ورأيت كذلك أن خير ما يمكن أن يضاف إلى مثل هذا الكتاب في هيئة ملاحق هو تلك النصوص التي اقتبسناها من أكبر معجم عربي « لسان العرب لابن منظور » بعد القيام بمسح كل ما اشتمل عليه من روايات تتصل باللهجات المنسوبة لقباثل معينة أو أمكنة محددة في شبه الجزيرة العربية .

والله نسأل أن ينفع بهذا الجهد العلمي أبناء العربية من الطلاب والدارسين .
وما توفيقي إلا بالله ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثالثة

مضى أكثر من اثنى عشرة سنة على ظهور الطبعة الثانية لهذا الكتاب وعدة سنوات على نفاذ هذه الطبعة ، وخلال هذه المدة أشعر أن دراسة اللهجات العربية قد نمت في بلادنا وازدهرت ، وأصبحت الكليات الجامعية تعنى بها كل العناية ، بل خصصت لها أقسام مستقلة في بعض الكليات ، ونوقشت بعض الرسائل الجامعية التي عرضت لهذه الدراسة ، وكان آخر هذه الرسائل وأوقاها في البحث تلك الرسالة التي نال عليها الدكتور أحمد الجندى درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ ، وعنوانها « اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة » ، وكان لي حظ الاشتراك في مناقشتها .

ويبدو لي أننا لم نعد الآن بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب في بطون الكتب القديمة التي عرضت في ثناياها للهجات العرب بقدر ما نحن في أمس الحاجة إلى دراسة اللهجات العربية الحديثة ، فذلك هي التي نفتقدها أو لا نزال نتطلع إليها ، ولم تقطع فيها لسوء الحظ شوطاً بعيداً برغم ما لدينا الآن من إمكانيات التسجيل الصوتي ، وأجهزة التجارب النطقية . ففي بعض كلياتنا الجامعية معاملة للتجارب الصوتية لم تستغل الاستغلال الكافي في دراسة اللهجات الحديثة بالبلاد العربية . وأرجو ألا يمر زمن طويل قبل أن نجد لدينا دراسات مستفيضة ، ومحوثة عميقة في هذه اللهجات الحديثة كي نستكمل معرفتنا للهجات أجدادنا من العرب القدماء ، وبالله التوفيق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

ظهر هذا الكتاب للمرة الأولى منذ ست سنوات فجاء بمثابة دعوة إلى البحث في اللهجات العربية قديمها وحديثها ، بعد أن طال إهمالها وانصرف الباحثون عنها ، وكان بدءاً موقفاً لتلك الرحلة الطويلة الشاقة التي لا بد منها في مثل هذه الدراسة .

وقد حفزني على مواصلة الدراسة والبحث في اللهجات ما لقيه هذا المجهود المتواضع من حماس وتشجيع في الهيئات العلمية ، وما لمست من إقبال طلبتي في كلية دار العلوم على هذه الدراسة القديمة في مادتها الحديثة في تصويرها وتفسيرها ، مما جعلني أستعين بالنابهين منهم على جمع الكثير من شواردها ورواياتها ، فاستطعنا معاً أن نجمع كل الروايات المنسوبة التي وردت في معجم لسان العرب لابن منظور وفي كتاب الخصاص لابن سيده ، ثم يوبنها ونظمناها على ضوء ما درسناه من نظريات صوتية حديثة ، فبدت في آخر الأمر عملاً علمياً ضخماً ، نقوم الآن بتهديبه وتوضيح الغامض منه ، وتحقيق المبتور من أجزائه ، راجين ألا يمر زمن طويل قبل أن نتضح لنا معالم هذه اللهجات في صورة دقيقة مؤكدة .

ورغم ما بدلناه حتى الآن من جهود مضيئة لانزال بعيدين عن الهدف الذي نتطلع إليه ، ولانزال بعض نواحي هذه اللهجات العربية القديمة يكتنفها الظلام والغموض ، ولا سبيل لكشف هذا الظلام إلا بعد أن تم معرفتنا ودراستنا اللهجات الحديثة في الأقطار العربية المختلفة .

ومما يبعث على شحذ الهمم ومتابعة الدراسة في اللهجات ما أتجه إليه مجمع اللغة العربية من تشجيع هذه الدراسة والعمل على النهوض بها ، فقد خصص إحدى لجانه لدراسة اللهجات ، وضم إليها من أعضائه عدداً من العلماء الأجلاء الأفاضل الذين شرفوني بالانضمام إليهم كخبير لهذه اللجنة .

ولم تقتصر العناية بدراسة اللهجات في السنوات الأخيرة على المحدثين من علمائنا أبناء العربية ، بل شملت أيضاً بعض المستشرقين من علماء أوروبا . ويكفى هنا أن نشير إلى ذلك المؤلف القيم الذي ظهر في العام الماضي لأحد المدرسين في جامعة أكسفورد ، وهو الدكتور « راين » C. Rabin تحت عنوان :

(Ancient West-Arabian)

وفيه يحاول المؤلف النابه البرهنة على أن غرب الجزيرة العربية قد انتظمت في المصور الجاهلية لمة مستنظمة في خصائصها وظهورها وتطوراتها .

ومهما يكن من الأمر فقد أطلعنا الدكتور « راين » على مصادر وروايات لم تقف عليها قبل ظهور كتابه ، وكان في عرضها دقيقاً أميناً ، مما يستحق له الإعجاب والتقدير .

ونحن إذ ننشر الطبعة الثانية لكتاب اللهجات العربية بعد أن نفذت الطبعة الأولى ، نشعر بالاطمئنان على مستقبل هذه الدراسة ، ونرقب في غبطة وسرور نموها ونهضتها في السنوات الأخيرة التي زادت فيها معرفتنا بكثير من خصائص اللهجات وتنقلات القبائل وغير ذلك من أمور تكشفت لنا بعد غموض ، واتضحت لنا بعد إبهام . وكان من الطبيعي أن يظهر لهذه الدراسات التي قننا بها خلال السنوات الست الأخيرة أثر كبير في الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وأن يكون لها صدى قوى في بعض مسأله ، مما جعلنا نريد من الشرح والبيان في بعض المواحي . ونعير أو نحور في بعض الآراء التي جاءت في الطبعة الأولى

وقد راعينا في كل هذا الاقتصاد الذي تحتمه رغبة الناشرين من ظهور
الكتاب في حجم معين ، كما يملية علينا الحرص على تجنب المسائل التي لم يتم
نضجها ، أو التي لم تفرغ من محتواها .

نفع الله بهذا الكتاب الطلاب والدارسين من أبناء العربية ، إنه سميع
مجيب الدعاء .

ابراهيم انيس

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين وبعد :

قد ترددت رمتاً غير قصير قبل أن أقدم على نشر هذا الكتاب الذى
يعرض للهجات العربية القديمة ، لأن البحث فى مثل هذا قد يكون من عمل
الهيئات العلمية ، ولا يقوم به فرد وحده . وذلك لتشعب الموضوع ، ووعورة
الطريق إليه ، وما يحتاج من بحوث مستفيضة قد تنفذ أعمار الأفراد دون أن
تكمل ، أو يكشف عن كل غوامضها وأسرارها .

ولكنى حين رأيت انصراف أهل العلم فى مضر عن هذه الناحية من البحث
اللغوى ، واكتفائهم بترديد بعض الروايات الشائعة فى ثنايا كتب التاريخ والأدب
دون فهم لها ، أو نظر فيها ، أو عناية بعرضها عرضاً علمياً صحيحاً مؤسساً على
أحدث النظريات التى قررها المحدثون فى دراسة اللهجات فديمتها وحديثها ، أقول
حين رأيت هذا أقدمت على نشر كتاب به أستحث المهتم على العناية بمثل هذه
الدراسة ، راجياً ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثاً جلية تكشف لنا عن
كل أسرار اللهجات العربية .

وتعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات فى البحوث اللغوية . فلقد
بنت هذه الدراسة بالجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،
حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة ، وأسست لها
فى بعض الجامعات الراقية ، فروع خاصة بدراسة ، نغنى شرحها ، وتحليل

خصائصها وتسجيل نماذج منها تحليلاً صوتياً يبقى على الزمن .

وقد اعتمدت في هذا الكتاب على المشهور من روايات الأقدمين التي جاءتنا مبتورة حجتاً ، وممدوحة حيناً آخر ، لم تراع الدقة في نقلها ، بل لم تنسب في غالب الأحيان إلى قبائلها أو بيئاتها . ولست أعرف بين علماء العربية على كثرتهم ، وكثرة ما كتبوه في كل فرع من فروع اللغة ، من غنى باللهجات فأفرد لما مؤلفاً مستقلاً يجمع شتاتها ، ويشرح غامضها ، وإعماهى روايات متناثرة نجدها في بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ .

وقد ظلت الحال هكذا حتى دوت صيحة للمرحوم حنفي ناصف بك ، في رسالته الصغيرة التي سماها : « مميزات لغات العرب » ، والتي ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بمدينة فينا في أوائل سنة ١٣٠٤ هجرية ، فكانت الصيحة الأولى ، ولكنها لم تحفز المهم ، ولم تسمع المتصامين عن كل بحث جديد في اللغة . فهاهو ذا قد مضى على نشرها نحو ستين عاماً ، دون أن نسمع لعالم آخر صوتاً ، أو نرى له إنتاجاً في هذا الشأن الجليل .

وقد كانت هذه الرسالة الصغيرة عمادنا في كثير مما روينا هنا ، بمدعرضه عرضاً علمياً مؤسساً على ما تقرره النظريات الحديثة في دراسة اللهجات . ولعل صيحتي لاتذهب أيضاً هباء ، ولعل جامعاتنا ومعاهدنا العلمية تعنى فيما بمديده الدراسة الجليلة الشأن .

وستظل آراؤنا في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد ، وأحكامنا عليها أقرب إلى الترجيح منها إلى اليقين . ما لم تؤسس على أسس علمية صحيحة ، وما لم تتبع الطريق المستقيم في دراساتنا ، إذ لابد لدراسة اللهجات العربية القديمة من الاعتماد على أسس ثلاثة :

أولها : وأهمها دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية . وإيس هذا بالأمر الهين ، بل ليس هذا من عمل فرد واحد ،

ولمّا هو من عمل الميئات والجماعات ، لأنه يتطلب السفر إلى تلك البيئات ، والإقامة فيها زمناً كافياً لتعرف خصائصها ، وما امتازت به . فهناك لهجات مصرية ، وأخرى عراقية ، وثالثة شامية ، ورابعة مغربية ، وأخيراً لهجات بلاد الجزيرة العربية في عصرنا الحالى . وفي كل بيئة من هذه البيئات لهجات حديثة يتكلم بها الناس ، وهى تشترك فى بعض الصفات ، ولكنها تختلف فى أمور هامة تميز لهجة كل بيئة عن الأخرى ، حتى فى قراءتهم القرآن الكريم قد نلاحظ بعض الفروق الصوتية التى تميز المصرى من الشامى ، والشامى من العراقى وهكذا . وربما كان السر فى تباين هذه اللهجات الحديثة أنها : أولاً انحدرت من لهجات عربية قديمة متباينة . فلم تكن القبائل التى نزحت إلى هذه البيئات ذات لهجة واحدة ، بل لقد وفدت إليها فى عهود الغزو الإسلامى وبعده ، ومعها لهجاتها المختلفة ، وأقامت بها وكل منها تحتفظ بخصائصه ومميزاته فى لهجات التخاطب التى تأثر بها أهل البلاد المفتوحة ، وبدأوا يحذون حذوها فى لهجات كلامهم وفى تخاطبهم . هذا رغم أن تلك القبائل قد احتفظت جميعها باللغة النموذجية ، لغة الأدب والدين التى نزل بها القرآن الكريم ، فكانوا بها يكتبون ويقرأون ، وينظمون الشعر ويخطبون . فإذا خلوا إلى أنفسهم ، أو عن لهم من أمور حياتهم ما ليس بذى بال ، عبروا عنه بلهجتهم الخاصة ، دون حرج أو تردد . فكلامهم فى حياتهم العادية كان يخالف إلى حد كبير لغة الكتابة والأدب التى كانوا يلجأون إليها فى المجال الجدى من القول .

وتلك اللهجات المتباينة التى وفدت من شبه الجزيرة قد غزت بيئات معصورة يتكلم أهلها لغات غير عربية ، منها القبطى والرومانى والفارسى والآرامى والبربرى وغير ذلك من لغات كانت شائعة فى البيئات التى تناولتها الفتوحات الإسلامية . وهنا كان لابد من صراع بين اللهجات الفارسية واللهجات المغزوة أدى فى معظم الحالات إلى ازواء اللهجات المغزوة ، أو القضاء عليها قضاء تاماً .

ولكنها لم تنزو أو لم يقض عليها إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات الغازية من الناحية الصوتية على الأقل . فتركت القبطية قبل انزواها بعض الآثار الصوتية في ألسنة المصريين حين تكلموا اللهجات العربية . وإذا علمنا أن القبطية ظلت يتكلم بها في بعض النواحي المصرية حتى القرن السابع عشر^(١) استطعنا أن ندرك إلى أى مدى يمكن أن تكون لهجاتنا الحديثة قد تأثرت ببعض الآثار القبطية من الناحية الصوتية .

وقد حدث ما يشبه هذا في البيئة المراقية والشامية والمغربية وهكذا . وإذا أضيف إلى كل هذا أن اللهجات العربية الحديثة قد تطورت في بيئاتها المختلفة تطورات مستقلة ، لما أحاط بها من ظروف اجتماعية مختلفة في كل بيئة من تلك البيئات ، ولما طرأ عليها بعد الفتح العربى من ظروف سياسية اختلفت أيضا في تلك البيئات ، فهناك آثار فارسية ، وأخرى تركية ، وثالثة أوروبية^(٢) (فرنسية وإيطالية بل وإنجليزية أيضا) ، إذا تذكرنا كل هذا عرفنا لماذا اختلفت اللهجات العربية الحديثة في بيئاتها ، ورأينا هذا الاختلاف أمرا طبيعيا .

ومع هذا فقد احتفظت هذه اللهجات الحديثة ببعض الآثار القديمة التي يمكن أحيانا إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة ، وأحيانا يصعب هذا إلا بعد بحث دقيق ، ودراسة عميقة .

فن الممكن مثلا أن يعزى النطق الخاص بالقاف في نواحي بنى سويف والفيوم وبعض مديرية الجيزة وأهل أبيار ورشيد وضواحيها والحلة الكبرى والبراس وبليس ، للهجة في قويس .

ومن الممكن أيضا أن ننسب إبدال الهمزة عينا بين سكان البوادي المصرية إلى لهجة تميم .

(١) Mailon صفحة ١

(٢) ظهر أثر هذه اللغات الأوروبية في المدن الساحلية بصفة خاصة ولاسيما بما يتعلق باستعارة الكلمات الأجنبية واستعمالها في لهجات النضاطب .

ومن الممكن أن ننسب ما نسمعه الآن من بعض أهل الشام والعراق حين يقفون على التاء المربوطة « بالتاء » ، إلى اللهجات اليمنية القديمة أو بعبارة أدق لهجة حير .

ومن الممكن أن نغزو كسر حرف المضارعة ذلك الأمر الشائع في معظم اللهجات المصرية ، إلى قبائل مثل بهراء من قضاة .

ومن الممكن أن ننسب الصيغة العامية « مديون » إلى لهجة تميم التي روى عنها مثل هذا .

ومن الممكن أن نغزو ميلنا إلى التسهيل في الهجزة ، إلى القبائل الحجازية . ومن الممكن أن ننسب ما هو معروف عن نواحي الحلة الكبرى وماحولها وجزيرة بنى نصر وأبيار وكثير من مديرتي البحيرة وبنى سويف من ميلهم إلى قطع أواخر الكلمات حين الوقوف ، إلى لهجة طييء التي عرفت بهذا . ومن الممكن أن ننسب الإمالة المشهورة في كثير من نواحي الريف المصرى إلى قبائل مثل تميم وأسد .

فنحن نرى من هذا أن كثيراً من الصفات التي نلاحظها الآن في لهجاتنا الحديثة يمكن بعد الدراسة والتمحيص إرجاعها إلى لهجات عربية قديمة . ولكمال الكشف عن أسرار اللهجات الحديثة ، لابد من دراستها دراسة علمية صحيحة ، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً ، لنعرف أولاً ما تنصف به كل لهجة من خصائص . هذا ودراستنا لها يجب أن تبدأ وصفية ، نشرحها ونسجلها وتحلل أصواتها وكلماتها ، دون التعرض في البدء إلى أى نوع من المقارنات ، أو الحكم على أية صلة بـ لهجة قديمة . فإذا فرغنا من الدراسة الوصفية التحليلية لكل لهجة من اللهجات الحديثة نكون قد خدمنا أغراضاً جليلة : منها تسجيل لهجاتنا التي تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية ، ومنها إشباع رغبة العلماء منا في الدراسات الأكاديمية للبحثة للهجات الحديثة ،

ثم بعد هذا ، بل وفوق هذا ، تصبح تلك الدراسة نواة أو مادة نستعملها في دراسة اللهجات العربية القديمة .

ثانيها : دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكتفين فيها بما روى في بطون الكتب ، بل يجب أن تطبق تلك الروايات على ما نسجه فلا من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة ، مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة ، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل علم الأصوات .

هذا إلى دراسة القراء وما روى عنهم ، والبيئات التي تأثروا بها أو نشأوا في كنفها ، وما اختلطوا به من قبائل عربية . ثم نستخرج من هذه الدراسة ما مرجعه فن القراءات ، أو اجتهد القدماء من القراء ، وما يمكن أن يعزى إلى لهجة قديمة أبيع القراءتها ، أو يعض خصائصها . فقد احتفظت لنا القراءات القرآنية بعناصر هامة مرجعها اختلاف اللهجات العربية القديمة ، ولابد من نسبتها إلى قبائلها أو يثتها .

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون اللغة والأدب ، مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة ، ثم تمحيصها وتحقيقها وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة ، أو رواية ممسوخة ، سالكين طريقة تتبع السند التي عنى بها علماء الحديث لتمييز الحق من الباطل ، والصحيح من الزائف . هذا إلى دراسة تاريخية مستفيضة لتقلات القبائل قبل الإسلام وبعده ، وبيئاتها الاجتماعية في العصور المختلفة ، وما خالطت من أمم أو شعوب .

نرى من كل ما تقدم أن دراسة اللهجات القديمة ، والكشف عن أسرارها ، ونسبتها إلى قبائلها ليس بالأمر الهين اليسير . لأنه لابد قبل البدء بها من جمع المادة لها ، وهذا الجمع يتطلب جهوداً عظيمة يجب أن يقوم بها عدد من المشتغلين باللغات .

فإذا جمعت تلك المادة ، بدأنا مرحلة المقارنة ، واستقنباط القوانين التي خضعت لها اللهجات المربية في عصورها الأولى ، وقوانين تطورها بعد الفتح الإسلامي .

ولست أدعى في كتابي هذا أني قمت بقسط كبير مما ذكرت ، أو أني اتبعت الطريق العلمي الدقيق التي يجب اتباعها في دراسة اللهجات ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

ولعل المستقبل يكفل لنا بمساعدة الهيئات العلمية أن نجند لهذا العمل الضخم جميع المعنيين بمثل هذه الدراسات ، حتى تتم وفق الأصول العلمية الصحيحة .

ابراهيم أنيس

الفصل الأول

- ١ -

اللهجة (*)

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والمادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حيناً ، «وباللحن» حيناً آخر . يرى هذا واضحاً جلياً في المعاجم العربية القديمة وفي بعض الروايات الأدبية ، فيقولون مثلاً : الصقر بالصاد من الطيور الجارحة ، وبالزاي لغة (بضم اللام وكسرهما) . وقد يروى لنا أن أعرابياً يقول

في معرض الحديث عن مسألة نحوية : « ليس هذا الحنى ولا الحن قومي » .
وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل ، ولا يريدون
بمثل هذا التعبير سوى ما نمنيه نحن الآن بكلمة « اللهجة » .

ويظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا
يعبرون عما نسميه نحن « باللغة » إلا بكلمة « اللسان » تلك الكلمة المشتركة
اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية . وقد يستأنس لهذا
الرأى بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة « اللسان » وحدها في معنى
اللغة نحو ٨ مرات .

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها ،
وكيفية صدورها . فالذي يفرق بين لهجة وأخرى ، هو بعض الاختلاف الصوتي
في غالب الأحيان . فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون في « فُرْتُ » ،
« فُزْدُ » ، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا . كما يروى أن « الأجلح » وهو الأصلع
ينطق بها « الأجله » عند بني سعد .

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها ،
صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة . غير أن اللهجة قد تتميز أيضاً بقليل
من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها ، أو معاني بعض الكلمات : فيروى
أن بني أسد كانوا يقولون في « سكرى » ، سكرانة ، وأن بعضاً من تميم كانوا
يقولون « مديون » بدلا من « مدين » . كما تذكر المعاجم أن كلمة « الهجرس »
تعني القرد عند الحجازيين ، وتعني الثعلب عند تميم . ولكن يجب أن تكون
هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمات ودالاتها ، من القلة بحيث
لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها ، بعيدة عنها ، عسرة الفهم على أبناء اللهجات
الأخرى في نفس اللغة . لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة ، بعدت باللهجة
عن أخواتها ، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها . ويكفي أن نبحت
(٢٢ - اللهجات)

في اللغة العبرية ، شقيقة اللغة العربية عن نظائر للكلمات العربية الآتية :
[رجل ، فتى ، القم والخال ، الجبل ، البحر ، النجم ، الشجر] ، ونحو ذلك
من كلمات كثيرة الشيوخ في لغتنا ، حتى ندرك أن كلا من اللغتين الشقيقتين قد
استقلت بمجموعة كبيرة جداً من الكلمات . فإذا أضيف إلى هذا ما اختلفت فيه
هاتان اللغتان من حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وغير ذلك من
ظواهر لغوية كثيرة ، استطعنا أن ندرك لماذا يعتبرهما اللغويون لغتين مستقلتين .
فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات
ومعانيها ، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات ، وفوق هذا وذاك في
تركيب الجمل . فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها ، واتخذت أسساً خاصة في بنية
كلماتها ، وقواعد خاصة في تركيب جملها ، لا تسمى حينئذ لهجة ، بل لغة مستقلة ،
وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجمعها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل
اللغوية .

فالفصيلة اللغوية تتألف من عدة لغات ، ترجع جميعها إلى أرومة واحدة ،
وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغوي إرجاعها إلى ذلك الأصل القديم .
والعناصر التي تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هي تلك العناصر التي لا يصيبها
إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ، ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة .
وتلك العناصر القديمة تكاد تنحصر في الأمور الآتية :

١ — الضمائر .

٢ — الأعداد .

٣ — أسماء الإشارة والموصول .

٤ — الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة

كالأرض والسماء وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن .

٥ — أدوات الربط بين أجزاء الجملة .

٦ — الاشتراك العام في كيفية تركيب الجمل .

أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات ، فيمكن أن تلخص في النقاط الآتية :

- ١ — اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .
- ٢ — اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .
- ٣ — اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين ^(١) .
- ٤ — تباين في النغمة الموسيقية للكلام .
- ٥ — اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض .

تلك هي أهم الصفات التي نلاحظ بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة . وليس من الضروري أن نجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات ، بل قد نشهد بعضاً منها فقط .

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض ، على قدر اشتغالها على الصفات السابقة ، وعلى قدر شيوع تلك الصفات فيها . فقد يكون للغة الواحدة لهجات متقاربة ، لا يفرق بين لهجة وأخرى منها سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات . في حين أن لهجات بعض اللغات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ، ولا يكاد يفهمها كل الأفراد في شعب من الشعوب .

ومن العسير أن نضع حداً أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة ، متى وجد امتازت لهجة عن أختها ، أو قيل إن هذه لهجة وتلك لهجة أخرى ، وكلاهما في لغة واحدة . نعم من العسير وضع هذا الحد الأدنى ، لأن عملية النطق ليست إلا نشاطاً ضليلاً يختلف أدأؤه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة . وقد برهنت

(١) أصوات اللين اصطلاح على حديث لا يسمى بالمركبات طوبيلها وقصيرها انظر المؤلف

التجارب الدقيقة التي قام بها علماء الأصوات اللغوية على أنه لا يكاد يوجد شخصان في بيئة واحدة ينطقان نطقاً متماثلاً تمام التماثل ، بل لا بد أن نلاحظ الأذن المدربة بعض الفروقات الصوتية الدقيقة . وقد ظهر هذا جلياً حين سجل نطق بعض الأفراد في البيئة اللغوية الواحدة . بل إن من العلماء من يؤكدون أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها ، وإن اشتركت نفس الكلمات في قوله . وذلك لأن عضلات النطق لا تؤدي عملها بنفس الصورة في كل مرة . على أن مثل هذه الفروقات الدقيقة بين نطق المرء ونفسه في ظرفين متماثلين ، أو بين أبناء اللهجة الواحدة ، ليست من الأهمية في الدراسة اللغوية بحيث نغنى بها ، ونحللها ونشرحها . وإنما يكفي اللغوي عادة بملاحظة تلك الصفات العامة التي تميز لهجة من اللهجات ، والتي يشترك فيها كل أفراد تلك اللهجة ، وهي الصفات التي نراها ممثلة دائماً في كلامهم ، وتصدر عنهم بالسليقة دون تكلف أو تعمد .

هذا إلى أن الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعاً من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفة من الحرف أو بين اللصوص وطريدي القانون أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي .

وهكذا لا يكاد ينتهي مثل هذا التشعب في اللهجات . لهذا يكفي المحدثون في غالب الأحيان بالنظر إلى صفات اللهجة العامة ، تلك الصفات التي تنتظم جميع الأفراد في منطقة جغرافية معينة .

ولهذا كله كان من العسير تحديد الحد الأدنى الذي تتميز به اللهجات ، وإنما يمكن أن يقال إنه متى برزت صفات خاصة ، واتضحت للسامعين ، وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ، أمكن القول إن هناك لهجة قد نشأت وتميزت ، وتدرس حينئذ على أنها لهجة متميزة . وليس هناك رابط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة ، وبين سعة يبيتها أو عدد سكانها . فقد تتكون

لهجة مستقلة في بيئة جغرافية ضيقة قليلة السكان . غير أننا نلاحظ بصفة عامة أن اللهجات العربية القديمة كانت منعزلة في بيئات ضيقة قليلة السكان ، في حين أن اللهجات الحديثة قد اتسعت رقعتها ، وكثر المتكلمون بها .

فإذا وجد في بيئة اللهجة الواحدة منطقة صغيرة ذات خصائص متميزة تخالف ما يشيع في هذه اللهجة من صفات ، كأن نجد قرية تنطق بالقاف نطقاً يشبه الجيم غير المعطشة في وسط مديرية ينطق فيها بهذه القاف همزة ، سميت مثل هذه القرية جزيرة لغوية Speech - Island . ويعنى اللغوي الحديث بمثل هذه الجزائر اللغوية عناية كبيرة في دراسة اللهجات ، ويحاول أن يتعرف على تاريخ هذه القرية والسر في احتفاظها بمثل هذا النطق .

— ٢ —

كيف تتكون اللهجات

هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكوين اللهجات في العالم وهما :

(أ) الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

(ب) الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة للغة الواحدة ، نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معاً .

فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها ، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية ، أو اجتماعية ، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة . فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحارى أو نحو ذلك ، بين بيئات اللغة الواحدة . ويترب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض ، أو انعزالهم بعضهم عن بعض ، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين

أن تتطور تطوراً مستقلاً ، يباعد بين صفاتها ، ويشعبها إلى لهجات متميزة ، إذ لا بد من تطور الكلام وتغييره على مرور الزمن . ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى ؛ لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة . ولو أمكن أن تتحد تلك الظروف لاتخذ الكلام طريقاً واحداً في تطوره ، وشكلاً واحداً في تغييره ، ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تشعب إلى صفات متباينة ، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالاً متغايرة في تطور لهجاتها . فليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون اللهجات ؛ بل يجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي ، واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة فمن بين هذه البيئات المنعزلة ما اتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً خاصاً ونظاماً خاصاً ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة ، أو تتصف بطبيعة خاصة في تربتها تصاح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة . فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية .

فتلك الظروف الاجتماعية التي لا تكاد تقع تحت حصر ، هي التي تساعد الانعزال الجغرافي على اختلاف الطريق الذي يسلكه الكلام في تطوره . وكما أن هناك اختلافاً بين الظروف الاجتماعية ، في البيئات المنعزلة من الأمة الواحدة ، هناك عوامل اشتراك بينها جميعاً ، قد ترجع إلى رابطة سياسية أو نعمة قومية ، أو اتجاه خاص في التفكير . وتلك العوامل المشتركة بين بيئات الأمة الواحدة ، هي التي تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينها ، وتعزل من ذلك التغيير الذي قد يباعد بين بيئتها . ولا يزال الأمر بين عوامل انفصال ، وعوامل اتصال ، هذه تباعد بين اللهجات ، وتلك تقرب بينها . ولكن الغلبة في جميع الأمثلة التاريخية كانت دائماً لعوامل الانفصال في آخر الأمر ، فتشعبت اللغات إلى لهجات ، واستقلت اللهجات وتميزت بعضها عن بعض . ولكن كان

لا بد لهذا الشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده .

وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعب اللغة الواحدة إلى لهجات ، تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام . وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للإسبانية والإنجليزية حين انتشر كلاهما في بقاع بعيدة ، الأولى في أمريكا الجنوبية ، والثانية في أمريكا الشمالية . وبدأنا الآن نلاحظ فروقا صوتية بين إسبانية أوروبا وإسبانية أمريكا ، وإنجليزية أوروبا وإنجليزية أمريكا .

فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بصفات خاصة .

أما العامل الرئيسى الثانى لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة . فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة ، وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما ، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة ، يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك .

وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوى . فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها ، وأن تحل محلها . فقد تغلبت على الآرامية في العراق والشام ، وعلى القبطية في مصر ، والبربرية في بلاد المغرب ، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة .

كما يحدثنا التاريخ أن غزو الرومان لجهات كثيرة في أوروبا ، جعل الرومانية تحل محل عدة لغات كان يتكلم بها في تلك الجهات . وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوى

فأروها أنواعاً، وقدرأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه :

١ — فهناك غزو كان الغزاة فيه قليل العدد، قد اقتصر على جيش قوى كامل العدة ، ظهر تفوقه ساعة القتال ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وبدأ الغزاة حياة سلمية مع أهل الأرض المغزوة ، ظهرت قلتهم ، وضعف أثرهم ، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية ، متأثرين بلغة البيئة الجديدة . غير أن اللغة المغزوة قد تستعير في مثل هذه الحالة بعض الكلمات والأساليب من اللغة الغازية ، كتلك التي تعبر عن نظام الحكم ، وأمور الجيش ونحو ذلك . وخير مثل لهذا غزو النورمنديين لإنجلترا في القرن الحادى عشر ، إذ تقلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما ، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثاراً ضئيلة باللغة الإنجليزية . ويطول زمن الصراع أو يقصر في مثل هذه الحالة ، على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة إحداهما من الأخرى ، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الأصلي ، وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ، ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزو .

٢ — وهناك غزو كثر الغزاة فيه ، وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازى ، جاءت بطوائف كثيرة من الناس ، يستعمرون الأرض ، ويشتركون في مهنها وحررها ، ويلتمسون الرزق من مواردها ، زراعة أو صناعة ، فلا يدعون مجالاً لاجتلاب الخير إلا طرقوه ، ولا مورداً للحصول على نفع إلا أسرعوا إليه .

وفى مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى ، فى حين أن من قهروا فى عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا ، تلك الطبقة الضعيفة المقلدة التي تعتز بصفات الغالب ، وبكل ما جاء به ، ومن بين ذلك اللغة . فلا تلبث اللغة المغزوة فى صراعها إلا زمناً قصيراً بعده تنهزم تاركة آثاراً ضئيلة جداً فى اللغة الغازية التي تشيع بين الناس ، وتصبح لغة الخاص والعام . وتكاد تنحصر تلك الآثار التي تخلفها اللغة المغزوة فى صفات صوتية خاصة ، أو بضع كلمات تعبر عن

مهن حقيرة ، أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات .
وخير مثل لهذا ، غزو الانجلوسا كسون لبلاد الإنجليز قديماً ، ذلك الغزو الذي قضى
على اللغة « السكتية » القديمة التي تركت آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الإنجليزية
الغازية .

٣ — أما هجرة شعب إلى أرض معمورة ، دون غزو منظم تقوم به جيوش
محاربة ، وإنما الأمر أمر منافسة في طلب العيش ، فقد حدثت أمثلة له في
العصور التاريخية ، حين هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين ،
وكونوا على أنقاض السومريين ، تلك المملكة التي عرفت فيما بعد بمملكة
البابليين والآشوريين . وقد قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد
أن تركت في اللغة السامية آثاراً ، وأحدثت بها أحداثاً جعلتها تباين أخواتها
السامية في جهات أخرى .

واحتكاك اللغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة ، باللغات المغزوة التي تشتمل
على لهجات أيضاً ، يولد لنا أنواعاً جديدة من اللهجات . فنحن حين نستعرض
اللهجات العربية الحديثة ، نراها قد اتخذت في مصر شكلاً من الأشكال يباين
ذلك الذي اتخذته في العراق أو الشام أو بلاد المغرب .

ويمكن أن تعزى تلك المباينة بين اللهجات العربية الحديثة إلى اختلاف
لهجات الغزاة من العرب ، وإلى التطور المستقل في تلك البيئات الجديدة ، وفوق
هذا وذلك إلى أثر اللغات الأصلية في هذه البيئات . فقد تركت القبطية قبل زوالها
آثاراً في العربية المصرية ، كما تركت الآرامية آثاراً مباينة في عربية بلاد الشام ،
وكما تركت البربرية آثاراً أخرى في عربية بلاد المغرب وهكذا .

من أجل هذا نشهد الآن لهجات متباينة في البلاد العربية ، ويجب أن نعمل
جاهدين على التقريب بينها .

وحدة النطق في البلاد العربية

نزحت اللغة العربية من شبه الجزيرة مع الفتوح الإسلامية واستقرت في
بيئات معمورة جديدة كانت آهلة بسكان يتكلمون لغات متباينة ، بعضها
قريب الشبه بلغة الفاتحين والأخرى لا تكاد تمت إليها بصلة . وبدأ الصراع
اللغوي يتخذ صوراً مختلفة في تلك البيئات المفزوعة ، فهو هزيل حيناً وعنيف
حيناً آخر ، حتى تم الفتح واستقرت الدولة العربية وكان أن انتظمت اللغة
العربية تلك النواحي التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية ، والتي تعرف الآن
بالدول العربية الشقيقة .

وقد نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المتعددة في صورتين : إحداهما
موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم ، تلك اللغة
النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز ، والأخرى
تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان
الفتوح الإسلامية .

وقد ظلت اللغة الأدبية موحدة في البيئات العربية الجديدة زمناً طويلاً لم
يصبها إلا القليل من التغير حين استقلت هذه البيئات بعضها عن بعض ، ولكنها
كانت دائماً مفهومة وفي متناول المثقفين من الناس الذين كانوا ولا يزالون القلة في
تلك البيئات ، كما ظلت الآثار الأدبية القديمة نماذج تحتذى ويعتز بها وتقوم
على دراستها والعناية بها تلك القلة من الناس في جميع عصورنا التاريخية .

ورغم ذلك الاستقلال السياسي الذي أصاب الدول العربية في عصور
الانحلال ، فقد ظل الاتصال الثقافي وثيقاً ، يكتب المصري للعراقي كما يكتب

الشامى للمغربى ، فيقرأ بعضهم لبعض ويمجب بعضهم بمؤلفات بعض ، لأن أداة الكتابة كانت واحدة أو تكاد تكون واحدة ، ومحور الثقافة متحد بين الجميع إذ يجمعهم دين واحد وتقاليد متحدة إلى حد كبير .

وكان المصرى يرحل إلى بيئة بغداد ليقرا القرآن على قارىء مشهور ، أو ينزح المغربى أو الشامى إلى الديار المصرية ليقرى بعض الناس ما تيسر من كتاب الله . هذا إلى أن تدوين تلك المؤلفات فى كل نواحي الثقافة قد حد من تطور تلك اللغة وتغيرها ، وجعل منها أداة مشتركة بين البلاد العربية . وقد سلت من طفرات التطور والتغير لأن الآثار الأدبية التى سجلت بها فى العصور الأولى للإسلام قد ظلت بمثابة الحراس عليها ، إذ اتخذتها كل العصور مثلها العليا ، يهدف إلى احتذائها كل متعلم .

أما لغة الكلام وأحاديث الناس فى شؤونهم العامة وأداة التخاطب بينهم فى التفاهة من القول ، فقد اتخذ صورة خاصة فى كل بيئة من البيئات العربية . فالناس فى أغانيهم وفى أسواقهم وبين المرء وأهله ، وفى الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة قد اصطنعوا لهجات متباينة ، منها انحدرت تلك اللهجات العربية الحديثة التى نشاهدها الآن فى البلاد العربية ، والتى نلقبها حيناً بالعامية وأخرى بالدارجة ، دون أن نحفل بها أو بدراسة خصائصها ، بل تركناها تنمو فى أفواه الكثرة من الناس وتتطور مع الزمان تطوراً مستقلاً فى كل بيئة من البيئات العربية ، حتى أصبحت لغة سابقة يتحدث بها المرء دون شعور بخصائصها .

وليس مما يهدف إليه هنا البحث عن كيف نشأت لهجات الكلام فى البيئات العربية ، وكيف تباينت هذا التباين الذى يباعد بين أبناء ثقافة وتقاليد متحدة الأصول ، بل يكفى أن نشير إلى أن الغزاة من العرب ومن تبعوهم فى الهجرات الكثيرة قد جاءوا باللهجات عربية قديمة اختلفت بعض الاختلاف .

وتلك اللهجات المختلفة هى التى صرعت لغات الكلام فى البيئات الجديدة

وحلت محلها بعد قرن أو قرنين من الزمان ، ولكن لا في صورتها الأصلية ، بل في صورة جديدة من بعض النواحي ، نتيجة صراعها مع تلك اللغات المغزوة التي لم تسلم قيادها إلى اللغة الفازية إلا بعد أن تركت بها بعض الآثار وصبغت بصبغة خاصة . وقد اختلف الصراع اللغوي شدة وضعفاً في البيئات المفتوحة ، وحيث كان الصراع هزئياً ضعيفاً شهدنا اللغة العربية أو لهجات الكلام فيها تخرج من مثل هذا الصراع سالمة لم يمسسها ضرر ، وهو ما يحدث في الجهات القريبة من شبه الجزيرة .

أما فيما بعد من الجهات فقد كان الصراع عنيفاً ، خرجت منه اللغة الفازية مشوهة لا نكاد نتبين فيها كثيراً من صفاتها الأصلية . هذا إلى أن الصراع كان بين العربية ولغات متباينة ، مما جعل الأثر المتروك في اللغة الفازية متبايناً أيضاً .

فإذا أضيف إلى هذا أن البلاد العربية قد استقل بعضها عن بعض بعد سقوط الدولة العباسية ، وأن لهجات الكلام فيها قد أهملت وترك وشأنها تنمو في الأفواه وتورث إلى الأجيال الناشئة في صور جديدة دون حد من هذا التطور المستقل ، أدركنا السرفيا نشاهده الآن من فروق لغوية بين لهجات الكلام في البيئات العربية .

تلك هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نفر منها ، بل يجب أن نواجهها في شجاعة ، وأن نفكر كيف تقرب بين هذه اللهجات حين ينطق أهلها جميعاً لغة واحدة هي اللغة الفصيحة .

واللغة من أقوى الدعائم على التوثيق بين الأفراد في الشعوب ، إن لم تكن أقواها . وأوضح العناصر اللغوية التي توحد بين البيئات تلك التي تتعلق بالناحية الصوتية منها ، لا سيما ونحن مقبلون على عصر فيه الدراسة اللغوية دراسة سمعية أكثر منها دراسة بصرية . فيجب ألا تنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن

في مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التي نعمل على توحيدها أو التقريب بينها .
وليس أبعث على بغور العربي من أخيه العربي من أن يسمعه ينطق الكلام
نطقاً يخالف نطقه . فإذا تم لنا التقريب بين نواحي النطق في البلاد العربية ، فقد
تم لنا كل شيء

عناصر اختلاف النطق :

وتكاد تنحصر نواحي الاختلاف الصوتي بين لهجات الكلام في الأمور
الآتية :

١ — اختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة كال كاف التي هي في
النطق الصحيح صوت شديد ، ونسمعها في بعض اللهجات الحديثة صوتاً أميل إلى
الرخاوة (تش) كما هو الحال في بعض لهجات فلسطين وسوريا .

وكالطاء التي نسمعها الآن في أفواه المجيدين للقراءات صوتاً مهموساً رغم أن
القدماء من علماء مخارج الحروف قد وصفوها لنا على أنها مجهورة . وكالطاء التي
ينطق بها في معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً ، ومع هذا فقد رواها القدماء
بين الأصوات المجهورة . وكالضاد التي تقرأ وصفها في كتب القدماء ثم لانكاد نجد لها
في الأفواه ذكراً إلا ربما في نطق بعض العراقيين لها وبعض البلاد العربية
الأخرى . وكالجيم التي اختلفت بين اللهجات الحديثة فطوراً شديدة كما في
النطق المصري ، وأخرى أميل إلى الرخاوة كما هو الحال في النطق الفصيح
المروى في كتب القدماء ، وثالثة كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التي كثر تعطيشها
كما في نطق المغاربة وبعض السوريين . وكالأصوات اللغوية (الذال والطاء والظاء)
التي يميل حتى المتعلمون منا إلى النطق بها زائياً وسيناً وزائياً مفخمة على الترتيب .
ورغم أن القدماء قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفاً دقيقاً من ناحية المخرج
والصفة ، ورغم تواتر القراءة القرآنية عن طريق التلقين والنشافة جيلاً بعد فقد جيل ،

تطورت بعض الأصوات في قراءتنا وأصبح بعضها مهموساً بعد أن كان مجهوراً، كما أصبح بعضها شديداً بعد أن كان رخواً . واختلف هـ في التطور بين بيئة وأخرى من البيئات العربية حتى أصبح الطفل العراقي الآن يخلط في إملائه بين الضاد والطاء ، كما يخلط الطفل في بعض قبائل السودان بين القاف والغين ، ولا بد لهذا من أن نتخذ نطقاً نموذجياً يخضع له الجميع ونورثه الأبناء في مدارسنا ، نطقاً نشترك فيه حين نعود إلى اللغة الفصحى . والأمر في هذا هين سهل لا يجد المتعلم بعد المران السكافي مشقة أو عنتاً في تعود هذا النطق الذي نجتمع عليه .

فإذا لوحظت الفروق الضئيلة التي أشرت إليها سابقاً وأمكن اتخاذ نطق نموذجي موحد بيننا في هذه الفروق ، لا نلبث أن نشهد وحدة تامة بين الدول الشقيقة فيما يتعلق بالأصوات السابكة .

٢ — اختلاف في نطق بعض أصوات اللين Vowels . تلك الأصوات التي سماها بعض القدماء بالحركات حين تكون أصوات اللين قصيرة ، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد . ونحن في الاصطلاح العلمي الحديث نجتمع بين هذه وتلك قسمها جميعاً أصوات اللين ، لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس إلا فرقاً في الكمية . وكذلك الحال بين الكسرة وياء المد . وينظر إليها الحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة ، لأنها جميعاً تكون مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال ببعضها ببعض .

ورغم توارث القراءات القرآنية جيلاً بعد جيل عن طريق التلقي والتلقين ، فقد أهمل في أمر أصوات اللين العربية ولم يعن بها القراء عناية كافية ، بل تركت وشأنها تتخذ في الأفواه أشكالاً كثيرة حتى صارت إلى ما نشهده الآن من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة . وكان القدماء قد ظنوا خللو الرسم العربي من هذه الأصوات في غالب الأحيان ، أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة ، في حين أنها لكثرة شيوعها في الكلام والنطق ، أوضح وأبرز في تكوين الفروق بين اللهجات .

لهذا أكرر القول بأن الانسجام فى أصوات اللين أولى بالعناية من الأصوات الساكنة ، بل تلك هى المشكلة الخطيرة التى يجب أن نواجهها وأن نعمل على حلها ، وذلك بأن نتخذ مقاييس خاصة لأصوات اللين نمرن عليها وتعودها ولا نعيد عنها مهما صادفنا فى هذا من عنث وعسر .

٣ — اختلافنا فى موضع النبر من الكلمة : وهذا هو المظهر الصوتى الثالث الذى يفرق بين النطق فى البلاد العربية ، بل ويفرق أيضاً بين لهجات الكلام فى الإقليم الواحد حتى فى نطقهم القرآن الكريم . فاستمع مثلاً إلى قاهرى أو من أبناء الوجه البحرى يقرأ قوله تعالى « فتحرير رقبة مؤمنة » أو قوله « ويل لكل همزة لمزة » فستراه يضغط فى الكلمات (رقبة ، مؤمنة ، همزة ، لمزة) على مقطع خاص فى كل منها يخالف ما يصنعه الرجل من أهل الصعيد حين يقرأ هاتين الآيتين . ذلك هو مثل واضح يبين ما نعنى باختلاف موضع النبر بين نطق أبناء الدول الشقيقة .

وسائل توحيد النطق :

بقى بعد هذا أن أعرض عرضاً سريعاً لبعض الوسائل التى أرجو أن تمكننا من التغلب على تلك الحوائى الصوتية التى تفصل بيننا وتجعل نطقنا متبايناً .

ليس من المعقول طبعاً أن نطمع فى جعل كل فرد من المتعلمين يدرك تلك الفروق الصوتية إدراكاً علمياً ، بل إن هذا يكاد يكون مستحيلاً . وإنما الذى يمكن أن نهدف إليه هو أن نتخير طبقة منهم تدرك تلك الفروق ذلك الإدراك العلمى بعد دراسة مستفيضة لها فى معاهد المعلمين . فلنعمل إذن على تكوين ما أسميه بالمدرس الخالص أى الذى يصاح للتدريس فى بيئة معينة من البيئات العربية يكون قد درس دراسة علمية صحيحة عاداتها الصوتية ، تلك العادات التى كونتها لهجة الكلام فيها ، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ، ثم يكون مع هذا

على علم تام بمخصائص النطق النموذجي الذي نهدف إليه والذي نرجو أن ينتظم كل البيئات العربية ، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجة الكلام في كل بيئة وتلك الصفات الصوتية التي ستم المواضعة عليها في النطق النموذجي للغة الفصحى . فتي عرف كل هذا سهل عليه تخير النماذج الخاصة التي يدرب عليها تلاميذه الصغار تدريباً سمعياً دون حاجة إلى الالتجاء إلى اصطلاح فني أو شرح علمي .

ويمكن أن يختار هذا النوع من المدرسين اختياراً خاصاً من بين أولئك الذين لهم آذان موسيقية مرهفة ومن وهبوا القدرة على تقليد الأصوات . وحين نضطلع على النطق النموذجي الذي نرتضيه جميعاً يسجل هذا النطق تسجيلاً صوتياً ويدرس دراسة علمية مفصلة لهذا النوع من المعلمين في معاهدهم ، فإذا انتهوا من هذا وزعوا على البيئات العربية ليكونوا رسل الوحدة الثقافية بين هذه البلاد ، عنهم يتلقى التلاميذ الصغار ذلك النطق النموذجي بطريق المحاكاة والتلقين . ومن حسن الحظ أن الصغار من النشء أقدر على التقليد والمحاكاة .

وهناك وسائل أخرى ربما تكون أعم نفعاً ، لأنها تكفل لنا تكرار هذا النطق النموذجي على آذان الناس في كل وقت وكل مكان ، لا تقتصر على البيئة المدرسية ، بل يتأثر بها الخاص والعام أينما كانوا ، وتلك هي الإذاعة وأفلام السينما والروايات المسرحية . فإذا نشأنا المذيعين والممثلين تنشئة خاصة راعينا فيها العناية بنطقهم وجعلنا منهم أداة نافعة لنشر ذلك النطق النموذجي بين الناس يسمعونهم فيحاولون تقليدهم ، استطعنا بهذا أن نقطع شوطاً بعيداً فيما نهدف إليه من تقريب النطق بين أبناء الدول الشقيقة . ولا مناص من جعل أداة القول في كل هذا تلك اللغة الفصيحة التي نقرأها في تراثنا الأدبي القديم وفي صحفنا ومجلاتنا الحديثة ، ففيها قدر مشترك كبير بين جميع البلاد العربية .

الفصل الثاني

- ١ -

اللغة العربية قبل الإسلام

طفولة اللغة العربية :

حين تفكر في حال اللغة العربية قبل ظهور المسيحية مثلاً نجد أنفسنا في ظلام دامس ، فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع إلى تلك العهود . فأقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي . وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية ، أو أنها أحدث من شقيقتها السامية كالعبرية مثلاً ، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى . ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لمجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ؛ يؤكد لنا الدارسون أنها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن . أي أن لغة سامية كالعبرية مثلاً قد مرت بها مراحل من التطور والتغير أبعدتها عن السامية الأولى أكثر مما مرّ باللغة العربية التي انعزلت في شبه الجزيرة واقتصرت تطورها أو تغيرها على ظواهر قليلة بالنسبة لشقيقتها من الساميات .

ولعل أوضح تفسير لندرة النصوص العربية التي يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية هو شيوع الأمية في شبه الجزيرة ، وأن العرب قبل الإسلام لم

(٣٢ - الهجاء)

يكونوا أهل كتابة وقراءة^(١). فلدينا من النصوص العبرية مما يرجع إلى القرون الثمانية قبل الميلاد الشيء الكثير، نراها ممثلة في نصوص التوراة وكتب الأنبياء وغيرها من نصوص العهد القديم. في حين أن أقدم نصوص العربية على الصورة المألوفة لنا لا تكاد تتجاوز قرنين من الزمان قبل الإسلام، وتلك هي النصوص التي ندرسها ونسميها بالأدب الجاهلي. أي أننا نجعل جهلاً تاماً ما يمكن أن يسمى بطفولة اللغة العربية، ويحاول الدارسون جاهدين أن يستشفوا شيئاً عنها بالدراسة المقارنة للغات السامية ونصوصها التي انحدرت إلينا.

ومع هذا يصّر بعض المستشرقين على أن كثيراً من النقوش التي عثروا عليها في شمال شبه الجزيرة يمثل لغتنا العربية في العهود التي سبقت الأدب الجاهلي. فقد عثر بروفير « ليمان » وحده على نحو ١٤٠٠ نقشاً حاول فك رموزها وتفسير كلماتها، وقرر أنها صورة للغة العربية قبل العصر الجاهلي. على أن هذه النقوش خللها من النقط والحركات، بل ومعظم حروف المد، كانت محل خلاف كبير بين الدارسين في تفسيرها، فلم يهتدوا في شأنها إلى رأى حاسم قاطع.

ومن أشهر هذه النقوش التي يقال إنها تمثل اللغة العربية قبل الأدب الجاهلي ثلاثة نقوش :

(١) نقش « النمارة » وهو قصر صغير بالقرب من دمشق لأمراء القيس أحد ملوك الحيرة. ويبدأ النقش بالنص التالي : « تى نفسى مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج . . » .

ويرجع تاريخ هذا النقش كما يؤكد الدارسون إلى سنة ٣٢٨ م. ويلاحظ

(١) أنظر دلالة الألفاظ ص ١٨٧ .

أن به كلمة « بر » بمعنى « ابن »، وكلمة « بر » هذه هي الصورة الآرامية لكلمة « ابن » المألوفة في كثير من الساميات الأخرى .

(ب) نقش « زبد » وهي أطلال بالقرب من حلب ، ويسجل هذا النقش تاريخ تشييد كنيسة في تلك المنطقة . ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ م .

(ح) نقش « حوران » وعثر عليه جنوب دمشق ويقال إنه يرجع إلى سنة ٥٦٨ م أي أيام ولد النبي « محمد » . ومع ذلك نجد فيه كلمات لا تعرفها العربية مثل كلمة « المرطول » بمعنى الكنيسة ، كما نرى فيه كلمة « بر » الآرامية ويبدأ نص هذا النقش كما يلي : « أنا شرحيل بر ظلموا »^(١) !!

وحين نسلم جدلاً أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية يجب أن نعترف أن نصوصها ضحلة لا تقنع الباحث لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية في تلك العهود ، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفرأ صغيراً من أسفار العهد القديم . هذا إلى أن كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص ولا تكاد تجدى مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي . وفوق هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأموار متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر ، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها يتكرر ويجعل نصوصها قليلة القدر لا تكفي في بحث لغوي جدي ، ولكنها ربما تفيد بعض الفائدة في البحث التاريخي .

على أننا بعد استعراض كثير من هذه النقوش نرى لغتها مزيجاً غريباً . فيبينها وبين اللغة العربية المألوفة لنا وجوه شبه وجوه خلاف .

أما وجوه الشبه فهي أن نصوص هذه النقوش تتضمن من الأصوات ما لم يعد موجوداً في الساميات الأخرى مثل [ذ ث ظ غ ض] . وفيها كلمات كثيرة

مشتركة مع العربية في معناها وصورتها ككلمة « الإله » ، ومعظم الأعلام بها أعلام عربية مثل امرئ القيس ، كعب وغيرهما . ويلاحظ الدارسون في لغة هذه النقوش أن بها آثاراً لظاهرة الإعراب التي تعدّ من أخص خصائص اللغة العربية وفيها كذلك التعبير عن التفضيل بصيغة خاصة كما في العربية .

أما وجوه الخلاف فلعل من أهمها استعمال كلمة « بر » الآرامية بدلاً من كلمة « ابن » ، ووجود كلمات لا تعرفها العربية كالمرطول بمعنى الكنيسة . ولعل أهم من هذا وذاك أن أداة التعريف بهذه النقوش هي الأداة المألوفة ، في الآرامية .

ليس من الإسراف إذن أن نقرر أن لغة هذه النقوش مزيج من اللغتين العربية والآرامية ، وأنها كانت لغة قوم من العرب عاشوا في قديم الزمان في شمال الجزيرة العربية وتأثرت لغتهم بالآرامية .

لهذا كان من رأي المتواضع عدم الاعتماد على لغة النقوش في دراسة طفولة اللغة العربية ، قانعين بدراسة تلك النصوص ، التي لا نشك في صحتها من الأدب الجاهلي ، ففيها القدر الكافي لتوضيح حال اللغة العربية قبل الإسلام .

لغة الأدب الجاهلي :

حين نعرض للغة العربية قبل الإسلام ، لا يريد أن نذهب إلى أبعد من تلك العصور الجاهلية التي رويت لها آثار أدبية من شعر أو نثر .

والذي تحققت صحته من تلك الآثار الأدبية . لا يكاد يجاوز قرناً أو قرنين قبل ظهور الإسلام . وقد ظلت تلك الآثار الأدبية تتناقلها الألسن ، وتعيها الحافظة زمنًا لبس بالتصير . ومهما يكن من عناية العرب بأدابهم ، واعتمادهم على الذاكرة ، حين فقدت وسائل التدوين ، وشاعت الأمية بينهم ، لم يكن

من قوة هذه الذاكرة ، فلا شك أن تلك الآثار قد استورها من عوامل النقص والزيادة ، وضعف الرواية في بعض الأحيان ، مما جعل العلماء قديمهم وحديثهم يتشككون في صحة بعض تلك الآثار ، أو على الأقل في نسبتها لأصحابها ، لأنه قد مرت فترة تزيد على قرنين بين عهد أنشئت فيه تلك الآثار وعهد التدوين .

والتاريخ السياسي والاجتماعي لجزيرة العرب قبل الإسلام ، غامض في كثير من نواحيه ، وما روى عنه فيما بعد قد اشتمل على كثير من الروايات التاريخية التي تعوزها دقة الرواية والتحقيق العلمي . ومع هذا فمستطيع مما روى لنا أن نتصور جزيرة العرب في الجاهلية منقسمة إلى بيئتين تكادان تكونان مستقلتين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية : البيئة الأولى بيئة الحواضر في مكة ويثرب وفي مدن اليمن الكبرى ، وبلاد الحيرة جنوب العراق وعلى حدود الصحراء وبلاد الفساة جنوب الشام ، والبيئة الأخرى البيئة البدوية المتنقلة التي لا تكاد تستقر على حال .

ورغم تلك العوامل السياسية والاجتماعية التي قربت بين البيئتين قبل الإسلام ، من مواسم للحج ، وأسواق للتجارة ، فقد ظل النظام في البيئة البدوية قبيلاً ، فيه الاعتزاز بالقبيلة ورؤسها ، وما يمكن أن يكون فيها من تقاليد خاصة تمسكوا بها وذاذوا عنها . ولم يتوثق الاتصال بين هاتين البيئتين إلا قبيل الإسلام بعد أن ظلت الجزيرة عشرات من السنين قبل هذا مفككة الصلات ، تكونت فيها جماعات من الناس استقلت بحياتها وتقاليدها ، وانعزلت بعضها عن بعض .

فأبعد ما يمكن أن نتصوره لجزيرة العرب هو أن نراها مكونة من وحدات منعزلة تتمثل في قبائلها . وانزال تلك القبائل بعضها عن بعض ، واستمساكهم بنظامهم وتقاليدهم ، قد أدى إلى نشأة اللهجات العربية القديمة التي روى لنا طرف

منها في كنب اللغة والأدب والتاريخ . ورغم اشتراك القبائل في بعض النظم الاجتماعية ، قد دعت تقاليدها الخاصة ، وبيئاتها الجغرافية الخاصة ، إلى تطور مستقل في لهجاتها ، وكان من نتيجته تلك الصفات الخاصة التي نلاحظها في لهجة كل قبيلة . فالقبيلة التي دعت ظروفها إلى شن الغارات وإلى التفرقة بين الرء وأهلها ، وبعد الأطفال عن رعاية أهليهم ورقابتهم ، ليست كذلك التي ظلت زمناً طويلاً هادئة وادعة قد توثقت فيها الصلة بين أفراد الأسرة . لأنه في الأولى ينشأ الأطفال منعزلين قليلي الاحتكاك والاتصال برجال القبيلة . ومثل تلك الحال تساعد على نمو تلك التطورات اللغوية التي يعزوها المحدثون عادة إلى الأجيال الناشئة وأخطائهم . فإذا مر جيل أو جيلان رأينا تلك التطورات التي لم تكن في بادئ الأمر إلا أخطاء أطفال لم تصاح في حينها ، قد أصبحت فيما بعد عنصراً صحيحاً معترفاً به بين المتكلمين بهذه اللهجة . هذا إلى ما قد يكون للأهميات من أثر في تطور اللهجة من حال إلى حال ، وكل هذا نتيجة الانعزال بين رجال القبيلة ونسائها وأطفالها لظروف اجتماعية خاصة .

أما حيث تتوثق الصلة بين أفراد القبيلة فنلاحظ أن التغير يكون بطيئاً ، ولكنه ينمو أيضاً مع الزمن ، لأن الكلام عملية عضوية لا تؤدي دائماً بشكل واحد ، فلا تلبث الأجيال المتعاقبة أن تتوارث صوراً مختلفة منه ، ثم تتراكم تلك الاختلافات حتى تصبح صفة خاصة .

فاللهجات العربية القديمة هي نتيجة انعزال القبائل أولاً ، ونتيجة التطور المستقل لكلام كل قبيلة ثانياً . ولا بد من مرور زمن طويل قد يبلغ قرنين أو ثلاثة قبل أن تبلور تلك الصفة وتصبح من مميزات قبيلة من القبائل .

وليس يعني هنا البحث عما كانت عليه تلك اللهجات القديمة قبل العصور الجاهلية التي روى لنا الشيء الكثير عنها ، ولا البحث عن المراحل التي مرت بها

حتى صارت على الصورة التي رويت لنا في كتب التاريخ والأدب ، وإنما الذي نههدف إليه هنا هو أن نصور تلك اللهجات التي نعرفها من روايات الرواة تصويراً علمياً صحيحاً بقدر الإمكان .

نحن إذن أمام لهجات مستقلة ذات صفات خاصة ، تميزت بها القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية التي أدت آخر الأمر إلى ظهور الإسلام . فلما دعت الحاجة إلى اتصال تلك القبائل في مواسم الحج قبل الإسلام وإلى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التي سميت بالأسواق ، بدأت الحاجة إلى وسيلة للتقاهم تجمع بين تلك القبائل . وهنا نشهد ما يحدث عادة بين البيئات المنعزلة حين تبغى الوحدة ، إذ تتخذ مركزاً واحداً تتطلع إليه ، وتطمئن إليه ، لما يمتاز به من نهضة في الثقافة أو نفوذ سياسي .

وليس هناك ما يقرب بين الجماعات المتنافرة ، كاللغة الموحدة التي تجمع شملهم وتلم شتاتهم .

فلما بدأت عوامل الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل تهيأت كل الظروف لجعل مكة مركزاً لتلك الوحدة ، وبدأ رؤساء القبائل يهدون إليها يحجون ذلك البيت الذي قدسوه قبل الإسلام ، كما وفدوا للتجارة ، وليشهدوا منافع لهم في أسواق كانت مجالاً للثقافة بين القبائل ، فيها تعقد المناظرات الأدبية والمساجلات من شعر أو خطابة . ويذكر الرواة أن أسواق العرب قبل الإسلام كانت في أرجح الآراء ثمانى أسواق أشهرها : « عكاظ » وهي السوق العامة للعرب وكانت تعقد حول مكة في أوائل شهر ذى القعدة . وكانت سوق « اللجنة » تعقد بعدها في أواخر هذا الشهر ، ثم تعقد سوق « ذو الحجاز » في أوائل شهر ذى الحجة . أما سوق « خير » فكانت تعقد بعد أشهر الحج .

وليؤدى الخطيب رسالته كاملة واضحة ، وليترك سامعيه مشدوهين معجبين

بقوله وبلباقة ، كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحمية التي تتصل بلهجة من اللهجات ، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها ، وألقوها جميعاً . كذلك كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجمجة أو كشكشة ، لينال إعجاب سامعيه ، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم . وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان المقياس مختلفاً ، وأداة القول متباينة .

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة مختارة الألفاظ يعتمد إليها الشاعر والخطيب كما عنَّ له القول . وتلك كانت اللغة النموذجية ، لغة الخاصة من الناس ، اللغة التي استحكمت أن تروى آثارها ، ويعتز بها طويلاً .

وظلت مع هذا كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب العادي بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض . فالوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام ؛ بل وامت وازدهرت ، وعرف كثير من العرب من قبائل مختلفة بفصاحة القول وإجادة الشعر . لأن إتقان تلك اللغة الأدبية كان موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس ، يحاولون إتقانها والتفنن في نواحي القول بها .

وعلى هذا إذا قيل لنا إن القرآن الكريم قد تحدى الفصحاء من العرب ، فليس يعنى هذا أنه تحدى جميع العرب ؛ وإنما قد تحدى أولئك الذين كرسوا حياتهم على نواحي القول فأجادوها خطابة وشعراً ، أولئك الذين هم خاصة العرب والمثقفون منهم . وليست كل الثقافة قراءة أو كتابة ، فربما كان بين الأميين مثقفون تفتقت أذهانهم ، ونظروا إلى الحياة نظرة أوسع وأشمل من كثير ممن يحسنون تلك الوسيلة الناقصة التي تسمى بالكتابة .

وأهم وسيلة في الثقافة اللغوية هي تلك الوسيلة الطبيعية التي عن طريقها تعلمنا

الكلام ، أعنى وسيلة السماع .فهى أسرع وأدق من وسيلة الكتابة والقراءة ، ولكن نفعها مقصور على السامعين ،وعلى أولئك الذين تتاح لهم الفرص ليشهدوا مجال القول ممن وهبوا اللياقة فى الكلام ، والذلاقة فى اللسان .

وإذا كان للقراءة والكتابة فضل فهو الشمول ، واتساع دائرة الثقافة . لهذا كانت الثقافة اللغوية فى الجاهلية مقصورة على أولئك الذين شهدوا مجالس الخطابة والشعر ، وهم الخاصة من الناس .

ولما جاء الإسلام ، ونزل القرآن بتلك اللغة الأدبية قوى من تلك الوحدة اللغوية التى كانت قد نمت وازدهرت قبل نزوله ، وزاد فى شمولها لأن الرغبة الدينية ، وقوة الشعور الدينى قد دعا كثيراً من العامة إلى تفهم الكتاب الكريم والتعبد به . ولم يكن الأسلوب القرآنى فى متناول جميع العرب ، بل كان أسمى من هذا وأرقى . فقد جاء يتحدى الخاصة منهم ، وظل حتى الآن يتحدى الخاصة منا . ولم يمنع هذا أن يبجل فى كل جيل ، وأن يتعبد به فى كل زمان .

وإلا فكيف تتصور أن عمر بن الخطاب وهو من خاصة العرب وفصحائهم لا يدرى معنى كلمة «أبا» فى قوله تعالى «وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم»! وكيف تتصور ما أجمعت عليه الروايات من أن بعضاً من فصحاء العرب وأهل البيان فيهم كانوا يؤخذون بروعة الأسلوب القرآنى حين سماعه للمرة الأولى فيسلمون ويصدقون ما جاء به الرسول الكريم :

فقد أسلم عمر بن الخطاب حين سمع سورة طه ، وأسلم جبير بن مطعم حين دخل على النبى وهو يقرأ « والطور وكتاب مسطور » إلى قوله « إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع » ، فقال جبير : خشيت أن يدركنى العذاب ، ثم أسلم . كذلك ماروى من أن جماعة من قريش بمشوا بعتبة بن ربيعة إلى النبى ليكلمه

وكان حسن الحديث عجيب الشأن بايغ الكلام وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ،
فقرأ النبي سورة « فصلت » من أولها حتى انتهى إلى قوله « فإن أعرضوا فقل
أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » ، فوثب عتبة مخافة العذاب ثم أسلم .
ولله در الباقلاني^(١) حين يصف إعجاز القرآن وسموه عن مستوى متوسطي
الناس ، بل حتى عن المتناهين في معرفة الشعر وحده ، أو المتناهين في معرفة
الخطب والرسائل وحدها فيقول :

« وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ومعرفة وجه دلالاته ، لأن الأعجمي
لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى
أموار لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة النضاجة . فإذا عرف عجز أهل
الصنعة حل محاهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه . وكذلك لا يعرف المتوسط
من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة . فربما حل ذلك
بجل الأعجمي في ألا تتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه .
وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطب
والرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف
الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة ، فلا تكون الحجة قائمة على المختص
ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحققة بعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه .
فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن
فيها إظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه » .

ولا معنى لأن نساق مع بعض الرواة الأقدمين فننسب لكل العرب
الفصاحة في القول ، والإجادة في صناعة الكلام ، إذ ليس العرب إلا شعباً
ككل الشعوب فيهم القليلون ممن وهبوا تلك الصفة ، وأغلبهم من العامة الذين

يكتفون في حياتهم بنصيب ضئيل من حسن القول وفصاحته .

وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء ، وشعر بها الشعراء ، ونزل بها القرآن الكريم ، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة ، بل يجب أن تنزه عن هذا ، وأن ترقى بها إلى مستوى أرفع منزلة من أساليب التخاطب . لم تكن إذن لغة سليقة يتكلمها الناس دون شعور بخصائصها ، بل كان المتكلم بها يشعر كل الشعور بنواحي القوة والجمال فيها ، ويتطاع إلى إجادتها وتحسينها . أما لغة التخاطب فهي تلك التي يمكن أن يقال إن الناس كانوا يتكلمونها بالسليقة ، ويؤدون بها التافه من شئونهم ، لا يعمدون إليها عن قصد ، ولا يتخيرون ألفاظها ، بل يكتفون منها بتأدية الأغراض العامة في الحياة العادية ، فإذا جد الجد وتطلب الجمال نواحي خاصة من القول ، نواحي جديده لا يعمدون إليها في كل يوم ، لجأ المتكلم من الخاصة إلى تلك اللغة الأدبية ، وراآها أهلاً لذلك .

لهذا رويت لنا الآثار الأدبية القديمة في لغة موحدة ، لا تشتمل على خصائص من تلك التي رويت عن اللهجات العربية القديمة . ولا يعقل أن الرواة رويوها موحدة ، وغيروا تلك الصفات الخاصة التي يمكن أن يكون قد اشتمل عليها شعر شاعر من قبيلة عرفت بلهجة من اللهجات ، لأن مثل هذا التغيير ليس ممكنًا في كل الحالات . فإذا أمكن عمله في النثر فإن الوزن الشعري يأباه في بعض الأحيان .

ونحن حين نستعرض شعراء ربعة تلك القبيلة التي عرفت بالكشكشة لانكاد نلمح أثرًا لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الأوزان الشعرية .

بل حين نرجع إلى ديوان الهذليين^(١) لنستشف منه الصفات التي عرفت

(١) طبع دار الكتب .

بها لهجة هذيل كالفحفة أو تسهيل الممز أو الاستنطاء ، لا نكاد نثر على أثرها في أشعارهم . وكل الذى نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدون أن يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل مثل : إبل مخضاح أى كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل ، والخيطه أى الوتد، أو بمعناها فقط . مثل : الطَّرف بمعنى الفتى الكريم والجحش بمعنى الخشف . وهناك كلمات وردت بالديوان في صيغة مخالفة لما اشتهر عنها مثل : سَمِيج بمعنى سمج ، نَجْد بمعنى نجد ، والسَّب بمعنى السبب أى الحبلى . ويوصف كل هذا بأنه لغة هذيل !!

ويظهر أن شراح الديوان حين كان يعيهم تفسير كلمة من الكلمات أو تبرير صيغتها كانوا يعدون إلى القول بأنها لهجة هذيل . فليس ماورد بالديوان مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعاً من مما حكوات المفسرين والشراح .

أنظر مثلاً إلى قولهم إن البيت :

بأسفل ذات الدبر أفرد خشفها فقد ولت يومين فهي خلوج^(١)
قد روى بكلمة « جحش » بدلا من « خشف » ، ثم يزعمون أن الجحش
بمعنى الخشف عند هذيل ، في حين أن كلمة الخشف قد استعمالها الشاعر بمعناها
المعروف وهو ولد الظبية في مواضع أخرى من الديوان .

كذلك حين يروون البيت :

تروت بماء البحر ثم تنصبت على حبشيات لمن شيج^(٢)
رواية أخرى ويقولون :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لمن شيج

(١) ذات الدبر : موضع ، خلوج انتزع منها ولدها .

(٢) شيج : مر سريع مع صوت

لا لشيء سوى أن يزعموا لنا أن « متى » في لهجة هذيل لها معنى خاص !

وحين يتخبطون في شرح البيت :

على أطرقا باليات أنخيا م إلا التمام وإلا العصى
فبينما يقول بعضهم إن « أطرقا » موضع ، يقول آخرون إنها جمع طريق
على لغة هذيل !!

وبينما يقول الأخفش إن « نُجْد » لغة هذيل في « نجد » ، نرى الصيغتين
مستعملتين في شعر الهذليين .

وهكذا نرى أن لغة الشعراء على الأقل قد خلت من صفات اللهجات التي
اشتهرت بها القبائل ، مما يجعلنا نرجح أن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الإسلام
وظلت موحدة بعده ، وقد خلت من الصفات الحامية للهجات ، تلك الصفات التي
نفر منها خاصة العرب ، وأصبحت بعد الإسلام موضع السخرية في كثير من
الأحيان . فقد رويت لنا روايات كثيرة عن بعض الأعراب وقد حضروا مجالس
الخلفاء ولا سيما أمام معاوية ، حين برئوا من طمطمانية حمير وعجعة قضاة ،
وعدوا أمثال تلك الصفات بعداً عن الفصاحة ، بل تكاد تكون نوعاً من
الرطانة أو العجمة .

قال الجاحظ في البيان والتبيين ^(١) [سأل معاوية يوماً : من أفصح الناس ؛
فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا
عن كسكسة بكر ، ليست لهم غفمة قضاة ولا طمطمانية حمير ، قال من هم ؟
قال : قریش .]

(٢)

كيف كان ينظر إلى اللهجات

لقد اختلفت النظرة إلى اللهجات العربية باختلاف العصور ، والعوامل السياسية والاجتماعية في كل منها :

فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفات الكلامية ، في حديثها العادى وفي لهجات التخاطب ، ولكن الخاصة من الناس في تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التي نشأت في مكة ، في شئونهم الجدية يخاطبون بها وينظمون الشعر ، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال . حتى إذا عادوا إلى بيئتهم تحدثوا إلى الناس في الشئون العامة بمثل لهجتهم ، لئلا تنفر منهم النفوس . وإنما مثلهم في هذا مثل بعض الأعيان من أهل الريف المصرى حين يفدون إلى القاهرة ، ويخالطون المثقفين فيها فلا نكاد نلاحظ في كلامهم صفات خاصة تنبئ عن بيئتهم الريفية . فاذا عمدوا إلى مقرهم الأصلي سمعهم يخاطبون الناس بلهجاتهم كأن لم يبرحوا تلك البيئات ولا يوماً واحداً . وأولئك الخاصة من أعيان الريف يجعلون لكل مجال ما يناسبه من القول ، فهم بين المثقفين من القاهريين مثلهم ، وهم بين أهليهم في البيئة الريفية مثلهم أيضاً .

تلك هي الحال التي كانت شائعة بين الخاصة من رؤساء القبائل ، يرونها عيباً أن يخاطبوا في سوق كسوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم ، كما يرونها عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات . هذه حال كانت مألوفة بين القبائل ، متواضعاً عليها ، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها .

فلما جاء الإسلام ، وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً ، سمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات التي لم يكن في مقدور العامة غيرها . فالقرآن الكريم وإن نزل ، بلهجة موحدة ، ولغة أدبية موحدة ، أتيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة ، تيسيراً على عامة العرب ، وتأليفاً لقلوبهم ، وهذا هو معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وسنعرض فيما بعد إلى ما اشتملت عليه القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة .

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة ، فكان لابد لضمان وحدتها ، والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها ، فأهمل أمرها ، ولم يرو عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ . بل إن ما روى عنها جاءنا مبتوراً ناقصاً في معظم الأحيان . ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العرب ، على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية ، قد غنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً . وكل ما نعلمه عن تلك اللهجات من روايات الأقدمين لا يعدو أن يكون مجرد إشارات مبعثرة هنا وهناك ، تضمنتها كتب التاريخ والأدب .

ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى ، فينسبون الفصاحة لهذه ، وينسكرونها على تلك ، فقد رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية . فلم يأخذوا عن قضاة لجاورتها بلاد الرومان ، واحتمال تأثرهم بلغة الروم في حدود سوريا وفلسطين . كما رفضوا الأخذ عن تغلب والنمر ، لقربهم من أرض الجزيرة وتأثرهم بالفارسية واليونانية . كما أنسكروا الفصاحة على بكر لاتصالهم بالفرس والنبط .

وقالوا أيضاً إن اختلاط قبائل اليمن بالحشة قد أضعف من فصاحتهم ، وإن اتصال لحم وجذام بمصر قد جعل لغتهم موضع الشك ، فلا يحتاج بهما في الروايات اللغوية .

وقد آثر الرواة الأخذ عن قریش وقيس وتميم وأسد وهذيل وغيرهم ممن كانت مساكنهم في وسط الجزيرة . على أنه لم يكذب ينقضى القرن الرابع الهجري حتى ظهر من علماء العرب من لم يفرق بين قبيلة وأخرى ، بل عدم جميعاً سواء في جواز الأخذ عنهم ، والاحتجاج بأقوالهم ، فقد عقد ابن جنى في كتابه الخصائص فصلاً مستقلاً سماه « اختلاف اللغات وكلها حجة » أشار فيه إلى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل ، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر ، وأكثر شيوعاً في اللغة ، ولكنها جميعاً مما يحتج به ، إلى أن قال مانصه « إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ، فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير ممنوع عليه . »

تلك هي نظرة الأقدمين لللهجات العربية القديمة في العصور المختلفة . ومنها يتضح لنا مبالغة المتأخرين منهم في الاعتزاز بكل ما ينسب إلى قبائل البدو حتى ولو كان مخالفاً لما جاء به القرآن الكريم ، والآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام . ذلك لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية التي جاء الإسلام فوجدها موحدة ، ذات خصائص متميزة ، وبين لهجات التخاطب التي اشتملت على الصفات الخاصة للقبائل . وفي هذا من الاضطراب مافيه ، لأن شرط اللغة الاطراد والتوحد في الخصائص . فمحاولة بناء قواعد اللغة العربية من كل ما روى عن القبائل ، يؤدي حتماً إلى التناقض ، ويبعد باللغة عن الانسجام والاطراد في الخصائص . فلو أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التي جاءتهم موحدة وممثلة في الآداب الجاهلية والقرآن الكريم ، لجنبوا أنفسهم الكثير من المهاترات والجدل حول ما يجوز ، وما لا يجوز . ولكنهم حاولوا إقحام تلك الصفات المحلية للهجات العربية ، فبدت لهذا لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه .

وربما كان المسئول عن هذا الاضطراب ، ذلك الدور الذى لعبته السياسة العباسية ، فى الصراع العلمى بين مدرستى البصرة والكوفة ، فقد انتصر العباسيون للكوفيين فى غالب الأحيان ، وبلغ التنافس بين أنصار المدرستين أوجه فى عصور تدوين اللغة ، وكان كل فريق يجرح الآخر . ويطعن فيما يرويه . « بل كان العلماء شغوفين بأن يقفوا على كل جديد لم يعرفوه ، وكان يقضى على العالم فى جهله بكلمة ، أو خطئه فى مسألة ، فدعا ذلك بعضهم لأن يتزيدوا ويختلفوا إذا أخرجوا^(١) » .

مقياس الفصاحة لدى العلماء :

والذى استقر عليه رأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتاج بها فى تعديد قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم فى هذا . أما حين نظروا إلى المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا على أنه يحتاج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرىء القيس وأمثالهم ، كما يحتاج بشعر الخضرمين وهم الذين عاشوا فى الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً فى المرحلتين كحسان بن ثابت وأمثاله . وكذلك يحتاج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل وإن كان بعض المتشددى من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى . فيروى عنه أنه كان يقول : لقد حسن هذا المولد — يريد شعر جرير والفرزدق — حتى كدت آمر صبياننا بروايته !! ويقول عنه تلميذه الأصمعى : لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتاج بيت إسلامى قط !! .

أما موقف العلماء من الاستشهاد فى مسائل اللغة بنصوص الأحاديث

(١) ضحى الإسلام الجزء الأول .

الشريفة فقد وجدناهم فريقين : فريق يمثل معظم هؤلاء العلماء وأصحاب هذا الفريق كانوا يرون منع الاستشهاد بالحديث في مسائل اللغة . وحجتهم في ذلك أن رواية الحديث تجوز بالمعنى مثل [زوجتكها (في رواية) ملكتكها (في رواية أخرى) (خذاها بما معك من القرآن) . وحجتهم كذلك أن كثيراً من رواة الأحاديث كانوا من المولدين أى الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن .

أما القلة ممن كانوا يجوزون الاستشهاد بنصوص الأحاديث في مسائل اللغة فحجتهم أنه إذا جاز اللحن في رواية الحديث فكذلك يقال في رواية الأشعار ، بل إن احتمال اللحن في رواية الأشعار أكثر . وذلك لأن الوارع الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أى انحراف أما قولهم إن تدوين الحديث كان قبل فساد اللغة ففيه نظر ، لأن المعروف أنه دون في القرن الثانى الهجرى فى الأمصار أى بعد عصر الاحتجاج وقد ظهر اللحن فى أواخر عهد بنى أمية .

وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث ولم يرو عنهم ما يفيد أنهم منعه ، بل نجد فى بعض كتبهم استشهاداً بالحديث وإن كان قليلاً .

أما بين المتأخرين من العلماء فقد اشتهد الخلاف ، وأصبح واضحاً كل الوضوح فى القرنين السابع والثامن من الهجرة ، ومن زعماء المنع للاستشهاد بالحديث ابن الضائع الأشبيلي وأبو حيان ، ومن زعماء المجوزين له ابن مالك وابن هشام .

ويرى بعض الدارسين من الحديثين أننا يجب أن نقف موقفاً معتدلاً ، فنقسم الأحاديث قسمين : قسم يستشهد بنصوصه ، وقسم لا يحتج به فى مسائل اللغة . فيستشهد بالأحاديث التالية :

١ — ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته صلى الله عليه وسلم مثل :
مات حتف أنفه، حمى الوطيس .

٢ — ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .

٣ — أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد .

٤ — أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا في بيئة عربية كأنس بن مالك
والشافعي أما الأحاديث التي لا يحتاجها في مسائل اللغة فتلك التي دوت متأخراً
أو التي غمرت في صحتها أو الأحاديث التي شذت روايتها^(١) .

أما حين نظر العلماء إلى ما يسمع من القبائل من كلام منشور فقد وجدناهم يفرقون
بين القبائل يأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر . فقد ذكر
السيوطي في كتابيه الاقتراح والمزهر أن أبا إبراهيم الفارابي صاحب ديوان
الأدب قد حدد في أول كتابه المسمى « بالألفاظ والحروف » أسماء القبائل التي
يحتاج بكلامها وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع منهم .

وحين استعرضنا مساكن هؤلاء وهؤلاء وحالتهم الاجتماعية تبين لنا أن
العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين : الأولى مقدار قرب مساكنها من
مكة وما حولها ، والثانية مقدار توغّلها في البداوة . ولذلك رأيناهم يعترفون بلغة
القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن
القبائل التي كانت مساكنها في أطراف الجزيرة وعلى حدودها . كذلك رأيناهم
يعترفون اعتزازاً كبيراً بلغة القبائل المتوغلّة في البداوة . ونلاحظ هذا في احتكامهم
في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافتهم أو مركزهم
الاجتماعي اعتقاداً منهم أن هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التي
فسدت لغتها ، وأنهم ورثوا اللغة سليمة صحيحة ، أما الأعرابي الذي يعيش

(١) بحث للشيخ الخضر حسين — مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء الثالث ص ١٩٧ .

فترة في الحضر ثم يسأل في مسألة لغوية ويجب بما يعرف أو بما يخالف مايتوقع منه كان السائل من العلماء يقول له : هيهات لان جلدك يا أبا فلان !! أى أصبحت متحضراً ولم تعد أهلاً لأخذ مسائل اللغة عنك . وخير مثل لهذا قصة أبي عمرو بن العلاء مع أعرابي يدعى « أباخيرة » حين جاءه بجملة تستعمل على جمع مؤنث سالم في حالة النصب وطلب من أبي خيرة ضبط هذا الجمع فنطق به مفتوحاً ، فقال أبو عمرو : هيهات لان جلدك يا أباخيرة !!

وقد أورد ابن النديم في أخبار الرياشي البصري أنه قال : إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع (يريد البدو) ، وهؤلاء (يقصد الكوفيين) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز (يريد أهل الحضر)^(١) .

الفصل الثالث

القراءات القرآنية واللهجات

١ — روى عن أبي بن كعب^(١) رضى الله عنه، قال «دخلت المسجد أصلى، فدخل رجل فافتتح النحل، فقرأ، فخالفنى فى القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام يصلى، فقرأ وافتتح النحل فخالفنى وخالف صاحبى، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فانطلقت بهما إلى النبی صلى الله عليه وسلم فقلت: استقرى هذين، فاستقرأ أحدهما وقال: أحسنت. فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية. ثم استقرأ الآخر وقال: أحسنت. فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقال: أعيذك بالله يا أباى من الشك، ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتانى فقال: إن ربك عز وجل يأمرک أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف عن أمتى، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرک أن تقرأ القرآن على حرفین، فقلت اللهم خفف عن أمتى، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرک أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف.»

٢ — وفى حديث البخارى أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم

(١) جاءت هذه الرواية على هذه الصورة فى كتاب النشر لابن المنزرى ويذكر ابن حجر نفس الرواية مع تغيير طفيف، أما رواية مسلم لها تنصص فى مجموعها نفس المعانى التى هنا مع اختلاف فى بعض الألفاظ والعمارات.

يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلعم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلعم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلبسته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ! قال قرأنيها رسول الله صلعم ، فقلت كذبت فإن رسول الله صلعم قد قرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلعم فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها ، فقال رسول الله صلعم : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلعم كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف .

٣ — وفي رواية عن عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا ، بغير ما قرأ الرجل ، فقال الرجل : هكذا قرأنيها رسول الله صلعم ، نخرج إلى رسول الله صلعم حتى أتياه فذكر ذلك له ، فقال رسول الله صلعم : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا في القرآن فإن مرأ فيه كفر .

٤ — ويروى عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها عن رسول الله صلعم فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله صلعم فذكر أبو جهم أن رسول الله صلعم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإن مرأ فيه كفر .

٥ — وجاء زيد بن أرقم إلى رسول الله صلعم فقال : أقرأني ابن مسعود سورة اقرأنيها زيدوا قرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم أخذ؟ فسكت رسول الله صلعم وعلى إلى جنبه ، فقال على : ليقراً كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل .

هذه هي بعض الروايات التي بينت لنا أن النبي صلعم كان يميز قراءات

الناس ، ولا ينكرها عليهم ، متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعودوه من طريقة النطق .

على أن هذه الروايات في مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام ، فليست تبين لنا بجلاء نص الآية أو الكلمة التي اختلفت في قراءتها ، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات ؛ أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات والألسنة ، أم كان في أمر آخر ، لانعلم علم اليقين . إذ نرى معظم هذه الروايات تشير إلى آية ما يقرؤها رجل ما ، فالآية مجهولة ونوع الخلاف مجهول ، والقارىء لا نكاد ندرى شيئاً عن بيئته ولهجته وما يمكن أن يكون قد تأثر به ، ولكننا مع كل هذا أو رغم كل هذا نرجح أن الخلاف بين القارئ لم يكن يعدو تلك النواحي الصوتية التي تفرق بين اللهجات في النطق وطريقة الأداء .

وقد تواترت الروايات على صحة حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ولكن علماء العربية قد اختلفوا في تفسيره اختلافاً يكاد يبلغ حد الاضطراب . والحديث على وضوحه ، وانسجامه مع روح الإسلام ، قد أسرف في تأويله وتخرجه إلى حد أن روى له السيوطي في كتابه « الإتيان » أربعين وجهاً !

ولست أدري سر هذا الاختلاف ، وتعدد الأوجه ، إلا أن نعزوه إلى اجتهاد المتقدمين ، ومحاولتهم التوفيق بينه وبين ما تواضعوا عليه في شأن القراءات . ونحن لانشك الآن في أن للحديث وجهاً واحداً ، يتفق والمنطق الإسلامى الذى يتلخص فى أن الدين الإسلامى قد دعا الناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها ، إلى الإيمان به ، واتخاذة عقيدة لهم . فلم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لشعب خاص من الشعوب ، وإنما أرسل إلى الناس كافة . هذا إلى أن الدين يسر لا عسر ، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يشق على الناس أمر من الأمور .

فنحن حين ننظر إلى هذا الحديث فى ضوء الروح الإسلامى نرى أنه ليس

إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس ، ومنع المشقة عنهم .
فالمسلم أيًا كانت لهجته ، وأيًا كانت بيئته ، وأيًا كانت تلك الصفات
الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها ، يستطيع أن يقرأ القرآن
بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه ولهجته أو لغته . ويجب ألا ننكر
عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهداه .

وجميع الروايات التي صاحبت قول هذا الحديث تؤيد ما نذهب إليه من أن
النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم ،
وإنكارها عليهم

وقد نادى بمثل هذا الرأي بعض العلماء الأقدمين . فقد روى ابن الجزرى
في الجزء الأول من كتابه النشر في القراءات العشر ما نصه « كانت العرب
الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ، يعسر على أحدهم
الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم
لا يقدر على ذلك ولو بالتعظيم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة . ومن لم يقرأ كتابًا كما
أشار إليه صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرئ
أمتك القرآن على حرف ، فقال صلعم أسأل الله معافاته ومعوته ، إن أمتي لا تطيق
ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف . فلو كلفوا العدول عن لغتهم ،
والانتقال عن ألسنتهم ، لكان من التكليف ما لا يستطاع » .

وقال ابن قتيبة في كتاب المشكل « فكان تيسير الله تعالى أن أمر
نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عاداتهم ،
فاللهذلى يقرأ « عتيّ حين » ، والأسدى يقرأ « تعلمون » ، والتميمي يهمز
والقرشى لا يهمز ... الخ » .

والفرق بيننا وبين أصحاب هذا الرأي هو أنهم قصروا الأمر على لهجات
العرب في حين أننا نجعله أعم وأشمل ، أى أن قصد التيسير والتسهيل يشمل

جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم ، في الماضي والحاضر والمستقبل .
فليست تلك الحروف السبع التي أجزيت قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية ، بل تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع الأرض . فإذا قرأ الهندي المسلم القرآن أمامنا ، ولا حظنا بمض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهي غاية جهده ، ولا يقدر على غيرها .

ويجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية ، من اختلاف في مخرج الصوت ، وتباين في صفته ، بين جهر وهمس أو شدة ورخاوة ، أو تباين في موضع النبر من الكلمة ، أو مقاييس أصوات اللين إلى غير ذلك من الموضوعات التي يعرض لها علم الأصوات اللغوية ؛ لأن لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره ، وتكون جزءاً هاماً مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية^(١) .

فقد أنزل القرآن للمسلمين جميعاً لا للعرب وحدهم ، وأمروا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته ، بل فرض عليهم قراءة بعض آياته في صلاتهم ونسكهم ، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النطق الصحيح لألفاظه فليس ذلك إلا عن مشقة وعسر . ومتى صدرت مثل هذه القراءات عن قلب طاهر وإيمان قوى فهي حسنة متقبلة عند الله ، فهي نجوى بين المسلم وربه ، يقرأ بما يستطيع فيقبل عند الله ، ويستجيب له الله .

وليس معنى هذا أن نتخذ مثل هذه القراءة نموذجاً يحتذى ، أو أن تعد بين القراءات النموذجية التي يهتدى بها المسلمون والتي رواها لنا الأئمة في فن القراءات فهناك أمران يجب الفصل بينهما فضلاً تاماً : أولهما القراءة الفردية التي لا تكاد تتجاوز بضع آيات من القرآن الكريم والتي يقوم بها أفراد المسلمين في جميع بقاع الأرض على قدر ما تسمح به عاداتهم في النطق ، وثانيهما : تلك القراءات .

النموذجية التي سجلها علماء التجويد وجعلوا منها فناً متميز الأصول سموه
بعلم القراءات .

ولعل السرّ في اضطراب المفسرين لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين
القراءات السبع التي رواها ووضع أسسها ابن مجاهد ؛ فظن بعض الشراح أن
الأحرف السبعة هي القراءات السبع ، وما كانت كلمة السبع في كل من الأمرين
إلا مجرد المصادفة ، وقد اختلف معناها في الحديث عن المعنى الذي أراده ابن مجاهد .
ولو أن ابن مجاهد قد عالج القراءات النموذجية على أنها عشر قراءات كما فعل الذين
جاءوا بعده ؛ ما حدث ذلك الربط بين الحديث وفن القراءات . فللحديث اتجاه
خاص يخالف ما اتجه إليه أئمة القراءات وعلمائها

أما الناحية العددية في الحديث ، فليس المراد قصر الأحرف على العدد
سبعة ، بل المراد مجرد التعدد ، وهو ما ينسجم مع العقلية السامية . لأن العدد
سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب السامية . وقد أشار إلى هذا ابن الجزرى
في الجزء الأول من كتابه النشر صفحة ٢٥ ، إذ يقول مانصه : « وقيل ليس
المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير وأنه
لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى أذن
لهم في ذلك . والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعائة ، ولا يريدون
حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ؛ بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير
حصر ، قال تعالى : « كمثل حبة أنثت سبع سنابل . وقال : وإن تستغفر لهم
سبعين مرة ... إلخ » .

أما ما اشتملت عليه القراءات القرآنية ، من صفات صوتية فيمكن إرجاعها
إلى بعض اللهجات العربية . وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل
وأوسعها انتشاراً . لذلك وجدت كل العناية بين القراء ، وروعت في القراءات
القرآنية ؛ لأنها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب ، والتي تأصلت

في لهجاتهم ، فأتخذ القراء منها نماذجهم في فن القراءات .

ولم تشمل القراءات القرآنية ، على كل الصفات الصوتية التي رويت لنا عن اللهجات العربية ، لأن بعض تلك الصفات لم تكن من الشيوخ بين القبائل ما استحققت معه ، في رأى القراء ، أن يقرأ بها ، أو بعبارة أخرى ما استحققت معه أن تذكر بين القراءات القرآنية المشهورة .

وإذا كان علماء القراءات أنفسهم يعترفون بأن ما روى لنا منها ليس كل القراءات التي قرأ بها في العصور الإسلامية الأولى ، وإنما هي طرف منها فقط فليس من التجنى أن نحكم بأن بعض تلك القراءات التي تنوسيت وأهل أمرها كانت تشمل على صفات صوتية للهجات غير التي رويت لنا في كتب القراءات .

فانظر مثلاً إلى ما يقرره ابن الجزرى في كتابه النشر الجزء الأول صفحة ٣٣ « فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول ، قل من كثير ، ونزر من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين » . فما روته القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة ليس إلا المشهور منها ، الكثير الشيوخ الذى تأصل في النطق .

وتلك الصفات الصوتية التي اشتملت عليها القراءات كما نعرفها الآن ، والتي يمكن أن تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية هي :

الفتح والإمالة

أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز ، وعلى أن قبائل نجد قد عرف عنهم الإمالة في كلامهم . ويظهر أن القبائل العربية قبل الإسلام وبعده قد انقسمت إلى شعبتين : الشعبة الأولى تؤثر الفتح ، أو بعبارة أخرى لاستقيم ألسنتها بغيره ، والشعبة الأخرى قد شاعت فيها الإمالة .

ويمكن بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش^(١) والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة ، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها ، وأشهرها : تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتعلب .

والقبائل التي كثر انتشارها في أمصار العراق بعد الفتح الإسلامي، تكاد تنحصر في الشعبة الثانية . وقد اتخذ علماء الكوفة والبصرة مَثَلهم من القبائل التي انتشرت في تلك الأصقاع ، أو تعودت النزوح إليها . وقد حدثنا تاريخ الهجرات القبلية ، رغم غموضه ، بأن أشهر القبائل التي أثرت في بيئة الكوفة والبصرة ، هي قبائل وسط الجزيرة وشرقيها . فعن معظمهم أخذ علماء الكوفة والبصرة ، وبهم اقتلدوا .

ويشير جورج زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى أن البيئة العراقية قد انتظمتها في أوائل عهد الإسلام قبائل من وسط الجزيرة وشرقيها فيقول : « نجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الإسلام ، وخصوصاً أهل البصرة والكوفة لأن أكثر العرب

(١) سمع الرسول يقرأ « يا يحيى » بالإمالة فقبل له يا رسول الله غيل وليس هي لغة قريش فقال هي لغة الأخوال بنى سعد . [الإقناع ١ ص ٩٣]

الذين نزلوا هذه الأمصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها ، فلما استفحلت الدولة إذا هم في قبضة المهاجرين والأنصار من قرش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والأزد من اليمن وتميم وقيس من مضر^(١) .

فلا غرابة إذن أن نرى الإمامة شائعة في القراءات القرآنية ، التي انتظمت البيئة العراقية في القرن الثاني الهجري .

وأشهر من روى عنهم الإمامة من القراء العشرة هم :
حمزة الذي توفي سنة ١٥٦ هـ . وكان إمام القراء في الكوفة .
الكسائي الذي توفي سنة ١٨٩ هـ . وورث إمامة القراءات بالكوفة
بعد حمزة .

خلف الذي توفي سنة ٢٢٩ هـ بالكوفة أيضاً .
فأئمة القراءة الذين اشتهر عنهم الإمامة كوفيون ، أى تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق ، أو تعودت النزوح إليه ، وهى قبائل قريبة مساكنها من العراق ، وعرفت لهجاتها بالإمامة .
ويظهر أن حمزة هو الذى رسم طريق القراءة الكوفية بين القراء العشرة؛ مستمداً نماذجاً من البيئة التي عاش فيها ، ثم تبعه الكسائي ، ولكنه أسرف في اعتزازه بالإمامة ولا سيما إمامة الفتحة قبل تاء التانيث ، فله فيها مذهب خاص عرف به واشتهر في فن القراءات . ولا غرابة في ذلك فقد كان للكسائي شخصية متميزة في القراءات ، وكان كما وصفه أبو عبيد في كتاب القراءات بقوله : « كان الكسائي يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً » .

أما خلف فقد ترسم خطأ أستاذه حمزة ، وكان يمثل القراءة الكوفية تمثيلاً صادقاً . قال ابن الجزرى : « تتبع اختياره فلم أجده يخرج عن قراءة الكوفيين في حرف واحد ، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر إلا في حرف واحد وهو قوته » سأل « وحرام على قرية أهل كناها » في سورة الأنبياء ، قرأها كحفص . وقد كان من المتوقع أن يشمل هذا التأثير بيئة البصرة أيضاً ، فنلاحظ الإمالة بين قراءها أمثال :

أبي عمرو بن العلاء الذى توفى سنة ١٥٤ هـ ، ويعقوب الذى ورثه في إمامة القراءات بالبصرة والمتوفى سنة ٢٠٥ هـ . ولكن الذى قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة أبي عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للإمالة إلا في مواضع خاصة نصت عليها كتب القراءات .

والأمر الذى يجب أن ننتبه إليه أن معظم هؤلاء القراء كانوا من الموالي ، فكان من الطبيعى أن يعظم تأثيرهم بطرق النطق والأداء التى شاعت في القبائل حولهم . ولا غرابة إذن أن يظهر إعجابهم بالقبائل التى عاشوا بين ظهرانيها ، وأن يحتذوا أحذوها في معظم الصفات التى عرفت بها لهجاتها . ولكن أبا عمرو بن العلاء لم يكن من الموالي بل كان من تميم ونسبه فيهم ونشأ على لهجتهم التى أصبحت له عادة وسليقة ، والتى لم تكن عنده إلا أمراً عادياً لا يثير منه إعجاباً ، فالتمس لهذا نماذج من بيئة أخرى وهى البيئة الحجازية ، التى خلت من الإمالة أو كادت ، فقد قرأ على جماعة جلة من أهل الحجاز ، ووصف أحمد بن حنبل قراءته قائلاً : « قراءة أبي عمرو أحب القراءات إلى ، هى قراءة قریش ، وقراءة الفصحاء » . والمعروف أن أبا عمرو قد قرأ على ابن كثير القارىء المكي ، ثم أسس بالبصرة قراءة اشتهرت بها ، وخالف فيها ما شاع بين أهل البصرة من النطق بالإمالة في لهجاتهم .

وإذا كان معظم القراء قد تأثروا بلهجة يمثيهم فإن قلة منهم قد تأثروا

بأساتذتهم في بينات أخرى، أو جمعوا بين هذه وتلك فيما انتهجوه من قراءات. فأبو عمرو بن العلاء هو المؤسس الأول لقراءة البصرة ، وقد تبعه فيها تلميذه يعقوب وسلك مسلكه في كل الحروف .

هذا هو ما يبرر الخلاف بين البصرة والكوفة في ظاهرة الإمالة التي انتظمت كل البيئة العراقية ولهجاتها .

وأخيراً وليس آخراً لعل الصراع العلمى الذى كان بين الكوفة والبصرة هو الذى دعا إلى هذه المغايرة ، وإلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع ، حتى لاتشبه الكوفة في إمالتها .

كذلك قد يبدو من الغريب أن نرى بين علماء الكوفة أمثال عاصم الذى توفى سنة ١٢٧ هـ . والذى أخذ عنه حفص تلك القراءة المشهورة الآن بالبلاد العربية ، والتي تكاد تخلو من الإمالة !

ولكننا حين نذكر أن عاصم كان أسبق علماء الكوفة في فن القراءات ، وأنه عاش قبل أن يشتد التنافس بين مدرستى البصرة والكوفة ، نستطيع بسهولة أن نتصور أن عاصم في قراءته قد تأثر ببيئة غير بيئته ، كالبيئة الحجازية مثلاً. وبعض القراء في قليل من الأحيان يؤثرون القراءة التي تغاير اللهجة الشائعة بين ظهرائهم ، فلعل عاصم كان أحد هؤلاء .

نخلص من كل هذا إلى أن الإمالة كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقها ، وأنها شاعت بعد الإسلام في اللهجات العربية ببلاد العراق. ومما قد يؤيد ما نذهب إليه أن الكسائى سئل مرة « إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال هذا طباع العربية . » وقد عقب على قول الكسائى أبو عمرو الدانى في كتابه التيسير فقال « إن الكسائى أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة ، وهى باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب » ، أى أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبى عمرو الدانى في أوائل القرن الخامس الهجرى .

أما قراءة البيئة الحجازية أمثال ابن كثير المكي ونافع وأبي جعفر المدنين، فلا تعرف قراءاتهم الإمالة، أى أنهم تبعوا ما اشتهر عن لهجات بيئتهم الحجازية من الميل إلى الفتح .

بقى أن نشرح معنى الفتح والإمالة كما يراها المحدثون من علماء الأصوات اللغوية :

الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين ، سواء كانا قصيرين أو طويلين . وأصوات اللين القصيرة فى الاصطلاح الحديث هى ما كان يسميه القدماء بالحركات ، أما أصوات اللين الطويلة فهى ما كانوا يسمونه بألف المد وياء المد وواو المد . ولا فرق بين القصيرة والطويلة إلا فى الكمية . فخرج الفتحة ووضع اللسان معها هور نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها ، والفرق بينهما فرق فى الكمية . وكذلك الكسرة وياء المد متماثلتان فى المخرج ووضع اللسان ، كما أن الضمة وواو المد متماثلتان فيهما أيضاً .

فلا فرق إذن بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد ، لأن العملية العضوية فى الحالتين واحدة .

وقد وضع المحدثون مقاييس^(١) مشهورة لأصوات اللين يعرض لها بالتفصيل علم الأصوات اللغوية . وما سماه القدماء بالفتح هو أحد تلك المقاييس ، وما سموه بالإمالة مقاييس آخر منها .

واللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً فى قاع الفم ، فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذى يسمى بالإمالة . وأقصى ما يصل إليه أول اللسان فى صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسرة ، طويلة كانت أو قصيرة . فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر ،

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٣٠ .

لامرحلة واحدة . من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين : إمالة خفيفة وإمالة شديدة .

وهكذا نرى أن الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافاً في وضع اللسان مع كل منهما ، حين النطق بهذين الصوتين واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الخنك الأعلى منه في حالة الفتح .

ولقد اضطرت أقوال الأقدمين في شرح أسباب الإمالة حين حاولوا أن يضعوا لها قواعد وقوانين ، كما اختلفوا في الحكم على أيهما الأصل : الفتح أم الإمالة ؟

ونحن حين نستعرض أمثلة الإمالة وأحوالها نراها تنقسم إلى نوعين مختلفين :

١ — صوت لين خالص تكون من صوت لين مركب يسميه المحدثون

Diphthong

٢ — تغير في مقياس صوت من أصوات اللين .

ونلاحظ الحالة الأولى حين يكون صوت اللين طويلاً ، ومنقلباً عن أصل من أصول الكلمة ، يائياً كان أو واوياً ، ففي مثل الفعلين « باع ، قال » يظهر أنه قد آتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما .

ينبع ، قول

ثم تطور الصوت الأول « ai » إلى : e والصوت الثانى « au » إلى : o

أى أن فتحة فاء الكلمة في الفعل الأول قد أميلت إلى الكسرة ، وأنها في الفعل الثانى قد أميلت إلى الضمة .

فهناك إمالة في الحالين ، فكما يمال الفتح إلى الكسر قد يمال أيضاً إلى الضم . ولكن القراء في إمالته لم يعنوا إلا بالإمالة الأولى . وهى الفتح إلى الكسر ، لأنها أكثر شيوعاً وانتشاراً وظهوراً بين القبائل العربية المشهورة . أما إمالة الفتح إلى الضم فقد ظلت مهملة يشار إليها أحياناً في بعض المطولات من

كتب اللغة على أنها لهجة لبعض القبائل ، دون نسبتها إلى قبيلة خاصة ، فقد أشار إليها ابن جني في كتابه « سر صناعة الإعراب » وعلل بها كتابة الصلاة والزكاة وأمثالهما في الخط العثماني بالواو .

ونحن في مثل هذه العجالة لانستطيع أن نرجح نسبة هذه اللهجة إلى قبيلة من القبائل العربية ، غير أننا نلاحظ وجودها في بعض اللهجات الحديثة .

وهناك نوعان آخران من الإمالة رواهما ابن جني في كتابه الآنف الذكر وهما :

١ — الكسرة المشوبة بالضمّة ، وهى تلك التى فى صيغ البناء للمجهول ، والتى عبر عنها القدماء من النحاة بالإشمام فى مثل قيل ، بيع . وقد قرأ بهذه اللهجة الكسائى وهشام فى [قيل . غيضر . جىء . حيل . سيق . سبىء] .

٢ — الضمة المشوبة بالكسرة ، كأن يمال بمثل « بوع » نحو الكسرة . وهذه اللهجة أقل اللهجات شهرة وشيوعاً ، وإن رويت بين لهجات العرب .

فالإمالة كما ترى أنواع أربعة ، أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر . وهذا النوع هو المراد بالإمالة حين تطلق فى كتب القراءات واللغة . وعلى هذا إذا قيل لنا إن من أسباب إمالة ألف المدّ كون أصلها ياء ، كما فى « باع » وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى قد تطور أولاً إلى الإمالة ، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح ، أى أن المراحل التى مرّ فيها مثل هذا الفعل « باع » هى :

(بَيَّعَ) ثم (إمالة) ثم (فتح)

فالصوت المركب ai قد تطور أولاً إلى e : ثم إلى a :

تلك هى المراحل التى تبرزها القوانين الصوتية ، والتى لها نظائر فى اللغات الأخرى . ولذلك نستطيع أن نرجح أن بعض الكلمات العربية التى اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولاً إلى الإمالة ثم إلى الفتح . فالأصل إذن فى مثل هذه الكلمات هو الإمالة ، وقد تفرع الفتح عنها .

ونستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة

أخرى في تطور لهجاتها ، إذ انتقلت من الإمالة إلى الفتح ، كما نستنبط أن لهجات بعض القبائل في وسط الجزيرة وشرقيها قد احتفظت بمرحلة الإمالة التي هي أقدم حين تكون الياء أصلية في الكلمات . وربما كان السري في احتفاظ البدو بهذه الظاهرة أنهم عرفوا بها فتعصبوا لها .

وانتقال الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية .
ألا ترى أن كلمة « شيء » قد تطورت في معظم اللهجات الحديثة إلى « شَيْء » أي أن الصوت المركب ai قد أصبح : e بالإمالة ، ثم تطورت بعد ذلك تطوراً جديداً في لهجات حديثة أخرى فأصبحت « شاء » أي بالفتح . فقد نسمع في بعض اللهجات المصرية الحديثة من يقول : « شاء عجيب » وهو يريد « شيء عجيب » .

وهذا هو الذي سم في لهجة الفيوم حين نسمع منهم كلمات مثل : [لآيه ، إآيه] منطوقة [لآه ، آه] فيقولون في موضع الدهشة أو الاستفهام :
لاه وعشان آه ؟

أما حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة ، أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين أصوات اللين ^(١) . لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة ، سواء كانت سابقة أو لاحقة . ولا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة .

ومتى سلمنا بنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ؛ استطعنا أن نتصور أن الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة ، أحدثت من نظيرتها التي

خلت أصوات لينها من الانسجام، ونستطيع لهذا أن نقول إن كلمة «كتاب» كما ينطق بها بغير إمالة أقدم في نسجها منها مع الإمالة .

وقد خلط القدماء بين عنصرين رئيسيين من الكلمات : تلك التي اشتملت على أصل يائي . وتلك التي رويت بالإمالة دون أن يكون مبعث الإمالة فيها منسجماً أصلاً يائياً .

فإمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزى بصفة عامة إلى أحد عاملين :

١ — الأصل اليائي .

٢ — الانسجام بين أصوات اللين .

وليس يقتصر أثر العامل الثاني على الإمالة من الفتح إلى الكسر ، بل يمكن أن يعزى إليه أيضاً الانتقال من الكسر إلى الفتح ، كما في تلك الأفعال الثلاثية التي رويت لنا مرة مثل « فرح » وأخرى مثل « فتح » دون تغيير في معناها مثل : « خطف ، حبط ، قنط » ففي هذه الحالة يمكن أن يقال إنها أقدم وأسبق حين تكون على صورة « فرح » ، وقد تطورت إلى صورة « الفتح » ، ليتحقق الانسجام بين الحركات .

وياعب الانسجام بين أصوات اللين دوراً هاماً في معظم لغات البشر ، وهو من التطورات الحديثة ، التي تميل إليها اللغات بصفة عامة . وقد اعترف به القدماء من علماء العربية ، وسموه في باب الإمالة بالتناسب ، ثم سموه في بعض أبواب الإعراب « بحركات الإتياع » وتأولوا عليه قولهم « حجر ضب خرب » . بل إن حركة الإتياع قد اعترف بها بعض القراء ، فرووها في بعض القراءات القرآنية ، فقد قرئ : **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين** .

أما قواعد النحاة في باب الإمالة فيمكن إرجاعها جميعاً إلى العاملين الرئيسيين اللذين أشرنا إليهما ، غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية

الصونية ، ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل [خاف] ، لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لامن الفتح إلى الكسر . على أن النحاة قد اختلفوا في الحكم على إمالة أمثال [خاف] فأنكروها بعضهم أمثال أبي العباس المبرد ، فقد روى عنه أن قال إن إمالة ما كان من ذوات الواو على ثلاثة أحرف نحو [دعا، غزا] قبيحة إلا إذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق ألف المد كما في إمالة « ربا » التي قرأ بها الكسائي وحرزة .

هذا ولا نستطيع أن نتصور كيف جعل النحاة الإمالة ، من الأمور الجائزة !! فقد قرروا أن كل ممال يجوز فتحه ! ولو صح هذا القول لأمكن أن نتصور أن من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم أهواؤهم ، وذلك أمر لا يقبله اللغوى الحديث ؛ إذ ليس الأمر أمر مواضعة مقصودة متعمدة ، وإنما هو عادة لكل قبيلة . فتلک التي تميل لا تستطيع غير الإمالة ، وتلك التي تفتح لا تطاوعها ألسنتها بغير الفتح . فالسألة لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية ، يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها . فكان واجب النحاة ان يقولوا إن الإمالة لا مفر منها عند تلك القبيلة التي تميل في كلامها إليها ، والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كعظم الحجازيين . أما إذا كان النحاة قد أرادوا بجواز الإمالة أنه يجوز لنا الآن حين نقرأ القرآن الإمالة أو الفتح ، فهذا أمر آخر لا نعرض له هنا بشيء .

ولا تزال الإمالة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة ، ولن تتم معرفتنا بقواعد الإمالة وأصولها في العصور الإسلامية الأولى إلا بالاستعانة بقواعدها وأصولها في اللهجات الحديثة حين تدرس دراسة عامة كافية ، وهو ما نرجو أن تتكفل به بحوث المستقبل .

الإدغام

نؤثر هنا استعمال هذا الاصطلاح القديم ونعني به ما يشير إليه المحدثون من تأثير الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور . ويسمى المحدثون هذه الظاهرة اللغوية Assimilation . ولقد أطلقت عليها في كتاب الأصوات اللغوية كلمة «المماثلة» ، لأن شرط تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في الخرج أو الصفة . فإذا اجتمع صوتان متماثلان كل المماثلة أو بعضها ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيراً يختلف نسبته تبعاً للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات .

ويقسم المحدثون تأثير الأصوات إلى نوعين :

١ — رجعى Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني .

٣ — تقدمى Progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول .

وتختلف اللهجات في الخضوع لنوع من هذين النوعين . فمن اللهجات ما يؤثر النوع الأول كاللهجات اللغة الفرنسية ، ومنها ما يلتزم النوع الثاني كاللهجات اللغة الإنجليزية .

وقد اشتملت اللغة العربية على هذين النوعين من التأثير ، وإن كان النوع الأول أكثر شيوعاً فيها .

ولم يعرض القراء في كتبهم إلا للنوع الأول ، أى التأثير الرجعى ، وهو الذى فيه يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثيراً كاملاً يترتب عليه أن يفنى الصوت الأول في الثانى بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثانى .

وقد سموا هذا التأثير في كتبهم بالإدغام ، ثم قسموا الإدغام إلى كبير ، وهو

الذى يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (أى حركة) . وقد نسب هذا الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة . وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ، فضلا عن أنه لم ينسب إلى قبيلة خاصة عرفت به وأثرته في نطقها .

أما النوع الثانى للإدغام عند القراء فهو الإدغام الصغير ، وفيه يتجاور الصوتان الساكنان ، دون فاصل من أصوات اللين ، وهو الذى شاع في معظم اللغات ، لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤها التقاء مباشراً .

ويظهر أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يلتزم في قراءته النطق بالحركات الإعرابية أو الحركات الواقعة على أواخر تلك الكلمات ، مما يترتب عليه التقاء الحرف الأخير من الكلمة السابقة بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة . فإذا تشابه الحرفان أو تقاربا في الصفة أدى هذا إلى تأثر أحدهما بالآخر . وما قد يستأنس به للدلالة على طريقة أبي عمرو ما روى عنه من قراءات كثيرة سقطت منها الحركات الأخيرة للكلمات مثل :

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة

فإن صح هذا التفسير لقراءة أبي عمرو لم يكن هناك فرق بين إدغامهم وما يسمى بالإدغام الصغير .

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ، ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به .

ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرحل التي لا تسكاد تستقر على حال . فإذا تذكرنا أن البيئة العراقية قد نزح إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممن عاشوا في البيئة الحجازية ، أمكننا أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً في لهجات القبائل النازحة إلى العراق . أما البيئة الحجازية ، فقد كانت

بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبياً ، فيها يميل الناس إلى التأنى فى النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها .

نحن إذن نتوقع أن تروى لنا لهجات العراق مشوبة بأمثلة كثيرة لظاهرة الإدغام وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض . أما فى البيئة الحجازية فننتوقع نسبة قليلة جداً من تلك الأمثلة الإدغامية .

نسائل أنفسنا بعد هذا : هل ظهر أثر هذه الحقيقة الصوتية فى قراءات العراق وقراءات الحجاز ؟

إذا استعرضنا آراء القراء فى إدغام الأمثلة القرآنية أو إظهارها وجدناهم طائفتين :

١ — منهم من يؤثر الإدغام وهم أبو عمرو . والكسائى . وحمزة . وابن عامر . وخالف . وإن اختلفت النسبة بينهم .

٢ — أما الذين يؤثرون الإظهار فهم : ابن كثير . ونافع . وأبو جعفر . وعاصم . ويعقوب ، بنسب مختلفة أيضاً .

فعمى أخذ هؤلاء وهؤلاء ؟ وبأى القبائل تأثروا فى ميالهم للإدغام أو الإظهار ؟ الحق أن الإجابة عن مثل هذا التساؤل ليست بالأمر الهين اليسير ، لأن أصحاب الإدغام ليسوا جميعاً من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفى كالكسائى وحمزة وخلف ، ومنهم البصرى كأبى عمرو ، ومنهم الشامى كابن عامر . كذلك أصحاب الإظهار ليسوا من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفى كعاصم ، والبصرى كيعقوب ! غير أنه من الممكن أن نعزو الإدغام بصفة عامة إلى البيئة العراقية ، والإظهار بصفة عامة إلى البيئة الحجازية .

وقد ظهر لنا حين التحدث عن الإمالة أن « عاصم » قد خالف بيئته فى الميل إلى الفتح فلا غرابة أن يخالف بيئته هنا أيضاً .

أما ميل ابن عامر لأصحاب الإدغام . وميل يعقوب لأصحاب الإظهار فمن الصعب تعليله .

نستطيع بعد هذا أن نستنبط أن القبائل التي أثرت في البيئة العراقية كانت تميل لهجتها بوجه عام إلى الإدغام ، وأن قبائل الحجاز كانت تميل إلى الإظهار . وقد عرفنا من قبل أن البيئة العراقية قد تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها . وعلى هذا فيمكن الحكم على أن القبائل التي عرفت بالإدغام هي :
تميم . طى . أسد . بكر بن وائل . تغلب . عبد القيس .
وأن القبائل التي آثرت الإظهار هي :
قريش . ثقيف . كنانة . الأنصار . هذيل .

فالقبائل العربية إذن قد انقسمت إلى طائفتين : الأولى تؤثر الإدغام والثانية تؤثر الإظهار .

وقد يلقي ضوءاً على هذا التقسيم ما أجمعت عليه الروايات اللغوية من أن « تميماً » التي اتخذت دائماً مثلاً لقبائل وسط الجزيرة قد روى عنها أنها كانت تقول « محم » بدلاً من « معهم » فقد قلبت العين المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الحاء لمجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم أدغمت الهاء في الحاء إدغاماً تقديمياً على غير العادة في الإدغام العربي . كذلك روى عن تميم أنها كانت تقول « فزْدُ » بدلاً من « فزت » أي التاء المهموسة قد قابت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لمجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي . كذلك قيل لنا إن لهجة نجد في كلمة « وتد » هي « ود » .

ويظهر ميل تميم إلى الإدغام حين نذكر ما يشير إليه النحاة من أن قبيلة تميم قد عرفت بإدغام المثلين في مثل « لم يحل » في حين أن الحجازيين كانوا يقولون « لم يحلل » .

وقد جاء القرآن الكريم غالباً باللهجة الحجازيين نحو [إن تمسكتم حصة] ونحو [من يحلل عليه غضي] ونحو [واغضض من صوتك] ونحو [ولا تمن]

تستكثر [، وقد ورد في التزئيل على لهجة تميم] ومن يرتد [ونحو] ومن يشاق الله [(١)] .

ويقول جرير وهو من تميم :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويظهر أن الظاهرة كانت من الظواهر التي اعترفت بها بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت في القرآن الكريم من ظواهر اللهجات . فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل .

كذلك مما قد يلقى ضوءاً على هذا التقسيم ما روته كتب القراءات من أن حمزة والكسائي وخلفاء ، كانوا يقرءون [أصدق ، تصديق ، يصدفون ، فاصدع قصد ، يصدر] وما أشبه ذلك مما سكنت فيه الصاد وآتى بعدها دال ، كانوا يقرأون هذه الأمثلة بإشمام الصاد صوت الزاى : ومعنى إشمام الصاد صوت الزاى أن ينطق بها ظاء كذلك التي نسمعها من أفواء العوام في مصر أى أن تكون ظاء غير لثوية .

والسر في مثل هذا النطق هو مجاورة الصاد التي هي صوت مهموس للدال التي هي صوت مجهور ، فتأثر الصوت الأول بالثاني ، وأصبح مجهوراً مثله ، وحين نجهر بالصاد تصبح تلك الظاء المعروفة بين العوام في مصر ، بل هي شائعة بين معظم الخاصة الآن في بلادنا إذ ينطقون بالظاء غير لثوية .

فنحن نلاحظ في مثل هذه الأمثلة ميل بعض القراء إلى تأثر الصوت الأول بالثاني وإن لم يبلغ التأثير حد فناء الصوت الأول في الصوت الثاني .

(١) (ومن يرتد) في سورة المائدة ، (ومن يشاق) في سورة الحشر . على أن المدنيين نافعاً وأبا جعفر قد روى عنهما قراءة المثل الأول ومن « يرتدد » .

وإذا علمنا أن حمزة والكسائي وخلفاءهم ينتمون إلى البيئة العراقية ، استطعنا أن ندرك بسهولة أن تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، قد شاع في هذه البيئة أكثر من غيرها ، لأن القراء من البيئة الحجازية يقرأون هذه الأمثلة بالصاد الخالصة . بل لقد جاء في بعض الروايات أن ظاهرة إشمام الصاد الزاى كانت شائعة في قبيلة طى ، وهو ما يؤيد ما نذهب إليه . فقد كانوا يقولون « الزقر » بتفخيم الزاى بدلا من « الصقر » .

نستنتج إذن أن الحجازيين بوجه عام كانوا يلتزمون الإظهار ، ويحترزون من تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة في النطق والتأني والتؤدة في الأداء ، بحيث يظهرون كل صوت ويعطونه حقه من جهر وهمس أو شدة ورخاوة .

وليس ينقض هذا الحكم ما عرف عن الحجازيين من عدم الهمز ، لأن الهمزة حكما خاصا يخالف كل أصوات اللغة ، مما سنعرض له فيما بعد .

— ٣ —

الهمز

تروى كتب الأدب أن أحد الرواة سأل رجلا من قریش قائلا : « أتهمز الفارة ؟ » فلم يفتن المسئول لما أراد السائل وأجاب ساخرا : « إنما يهمزها القط . » وقد أراد اللغوي أن يعرف ما إذا كان القرشيون يلتزمون تحقيق الهمزة في كلامهم .

وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم ، في حين أن القرشيين يتخلصون منها محذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد .

على أنه قد روى أيضاً أن بعضاً من تميم يلقبون الهمزة الساكنة إلى صوت
لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في :

رأس . بئر . لؤم

سرى . نربيب :

راس . بير . لوم

ويضيّق المقام هنا عن تفصيل أحكام الهمزة كما روتها كتب القراءات ،
فقد فصلت لها أبواب مستفيضة حين تكون منفردة ، وحين تجتمع همزتان .
ولقد تعرضت الروايات القرآنية لكل مثل منها في القرآن الكريم ونسبت
حكم الهمزة فيه من تحقيق أو غيره إلى بعض القراء .

ولا يكاد المرء يصل إلى حكم خاص يمكن نسبته إلى بيئة معينة ، نظراً
لاختلاف القراء في أحكام الهمزة اختلافاً يطول شرحه . غير أننا نلاحظ بوجه
عام أن كتب القراءات تسكاد تجمع على أن أبا جعفر وناظراً من رواية ورش ،
قد تخلصا من تحقيق الهمزة ، ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة ، ومن
البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز .

ولو أن « ابن كثير » اشترك معهما في تلك الصفة لاستطعنا بسهولة أن نحكم
على أن القراء قد التزموا ما عرف عن بيتهم من الهمز أو عدمه . ولكن كما قررنا
آنفاً قد خالف بعض القراء أحياناً في قراءاتهم صفات اللهجات التي شاعت بين
ظهرانهم . ولئن خالف « ابن كثير » في تسهيل الهمز ومال إلى تحقيقه وهو
مكي ، لقد خالف عاصم في الإمالة والإدغام رغم أنه كوفي .

نستطيع إذن أن نرجح تلك الروايات التي نسبت بتحقيق الهمزة لميم
وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وأن ننسب التخلص من الهمزة لمعظم
البيئة الحجازية .

بقي أمر لا بد من علاجه هنا ، وهو كيف تأتي أن البيئة الحجازية التي

عرفت بالتأني في الأداء، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها؟ إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات؟

الحق أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعاً في كل القبائل الحجازية، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها. ويدل على هذا قراءة «ابن كثير» الذي ألزم تحقيق الهمزة. هذا إلى أن للهمزة حكماً خاصاً يخالف جميع الأصوات الأخرى. لأنها صوت ليس بالجمهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة.

لهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق. فليس غريباً أن يتخلص منها أيضاً معظم الحجازيين، وإنما الغريب أن يحققها قراء البيئة العراقية الذين عرف عنهم الميل إلى التسهيل من إدغام وإمالة! على أن اللهجات لا تلتزم دائماً حالة واحدة في كل صفاتها، بل أحياناً تخرج عن تلك الظاهرة التي اختصت بها، ظروف لغوية خاصة، وحينئذ يكون واجب الباحث المدقق الكشف عن تلك الظروف الخاصة. وإذا نظرنا إلى اللهجات على أنها من المظاهر الاجتماعية، وأنها تخضع في قواعدها وأصولها لظروف المجتمع والبيئة، لم يقلقنا وجود ظاهرة لغوية قد تبدو غريبة أو شاذة عما عرف عن لهجة من اللهجات.

فايست القوانين التي تخضع لها اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها.

على أنه من الممكن أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية التي

أشرنا إليها آنفاً ، لغة الخاصة التي كانت تلزم في الخطب والشعر ، وعلى هذا فليس تحقيق الهمزة من صفات اللهجات العربية التي نريد أن نعرض لها هنا .

ويبدو أن الرأي الأخير هو الراجح . فظاهرة الهمز من تحقيق أو تسهيل كانت في أصلها من الأمور التي فرقت بين لهجات وسط الجزيرة وشرقيها وبين لهجات البيئة الحجازية . فلما نشأت اللغة النموذجية الأدبية قبل الإسلام اتخذت تحقيق الهمزة صفة من صفاتها ، وشاع هذا بين الخاصة في جميع القبائل العربية ، ولما جاء الإسلام وجد تحقيق الهمز صفة من صفات الفصاحة يلتزمها الخاصة من العرب في الأسلوب الجدي من القول ، وإن ظلت في نفس الوقت شائعة بين اللهجات البدوية كلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ولهذا يعد تحقيق الهمز من أبرز الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية .

فاللغة النموذجية الأدبية وإن اتخذت معظم صفاتها من البيئة الحجازية قد تضمنت أيضاً بعض الصفات القليلة التي تنتمي لبيئة أخرى ، ومن بينها تحقيق الهمز الذي عرفت به تميم ، بل شاع عند أكثر البدو ، فقد كانوا يحققون الهمز ويعتزون بتحقيقه في نطقهم . وقد روى عن عيسى بن عمر الثقفي أنه قال : « لا آخذ من قول تميم إلا بالنبر » أى تحقيق الهمز . فهذا العالم النحوى كان يدرك تمام الإدراك أن تحقيق الهمز صفة من صفات تميم وأن هذه الصفة أوضح الصفات التي اقتحمت حصون اللغة الأدبية المشتركة ، تلك اللغة التي اعتر بها هو وأمثاله من العلماء الأول . فبينما يرى الصفات الأخرى لتمييم أقل مرتبة في الفصاحة من نظائرها في اللغة النموذجية ، يرى أن همز تميم هو الذى ساد بين الخاصة من العرب وأصبح لا ينتمى إلى تلك القبيلة بقدر ما ينتمى إلى اللغة النموذجية الأدبية .

والحجازيون وإن كانوا في لهجات الخطاب يسهلون الهمز ، فقد التزموا تحقيقها في الأساليب الأدبية من شعر أو خطابة ، أى كانوا يلجأون إلى تحقيق

الهمز كلما عنّ لهم أمر جدى يتطلب استعمال اللغة النموذجية الأدبية. هذا هو معنى ما جاء فى الجزء الأول من لسان العرب : « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون^(١) ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذ اضطروا نبروا » .

فليس لهذا الاضطراب من معنى سوى أنهم كانوا يهمزون حين يلجأون إلى اللغة النموذجية وفى المجال الجدى من القول ، حينئذ يخرجون عن عادتهم وسليقتهم فى تسهيل الهمز .

ولنا عود إلى حديث الهمز حين نتحدث عن لهجات الحضر ولهجات البدو . أما كيف تخلصت لهجات الحجاز من الهمزة فيتضح مما روى عن قراءة أبي جعفر ونافع التى يمكن أن تلخص فيما يلى :

(١) إذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قلبت حرف مد مناسب لتلك الحركة مثل :

يؤمنون . بئس . فأذنوا

قرئت على الترتيب :

يومنون . ييس . فاذنوا

(ب) الهمزة المتحركة وقبلها متحرك لها الأحوال الآتية :

١ — أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضم ، ويغلب فى هذه الحالة أن تبدل الهمزة واو أو مثل :

يؤاخذ . الفؤاد . هزؤاً

قرئت على الترتيب :

يواخذ . الفواد . هزوا

٢ — أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور، وحينئذ تبدل الهمزة ياء مثل:
رثاء الناس . خاصنا

قرئنا على الترتيب :

رياء الناس . خاصيا

٣ — أن تكون الهمزة مضمومة وقبلها كسر وبعدها واو ، وحينئذ تحذف الهمزة ويضم ما قبلها ليناسب الواو مثل :

« مستهزون » قرئت « مستهزون »

٤ — أن تكون مضمومة وقبلها فتح ، وحينئذ تحذف الهمزة مثل :

« ولا يظؤون » قرئت « ولا يظؤون »

٥ — أن تكون مكسورة بعد كسر ، حينئذ تحذف الهمزة مثل :

« متكنين » قرئت « متكنين »

٦ — أن تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح ، وحينئذ تسهل الهمزة بين
ين ^(١) مثل :

أرأيتكم

(ح) الهمزة المتحركة وسكن ما قبلها ، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وتحذف الهمزة سواء كان هذا في كلمة واحدة أو كلمتين مثل :

« والأخرى » قرئت « ولأخرى »

« من آله » « من آله »

وقد اشتهرت هذه القراءة عن ورش القاريء المصرى الذى تعلم فى المدينة.

الفصل الرابع

عناصر اللهجات العربية وقبائلها

روت كتب اللغة والأدب مما ألف القدماء من علماء العربية ، صفات عدة للهجات القديمة ؛ ونسبت بعضاً منها إلى قبائل معينة ، والبعض الآخر اكتفت بالإشارة إليه على أنه مما كانت تقوله العرب .

وقد تناثرت تلك الروايات في ثنايا الكتب ، وفي مناسبات شتى ، فأحياناً نراها في جدل النحاة حين تعرض مسألة نحوية ويحاول بعض النحاة تخرجها على رأى قبيلة خاصة ، والبعض الآخر يتأولونها على رأى آخر روى عن قبيلة أخرى ، وكل من الفريقين يتمسك برأيه ويتعصب له . وقد نجد الإشارة لصفات اللهجات في الروايات الأدبية ، أو حين التحدث عن قبيلة من القبائل العربية .

ولابد للإحاطة بكل ما روى عن لهجات القبائل العربية من البحث والتنقيب في بطون المؤلفات القديمة ، وجمع كل ما يمكن جمعه ، ثم ترتيبه وتبويبه والعمل على تحقيق تلك الروايات وإخراج الزائف منها .

ولسنا ندعى هنا أننا قد أحطنا بكل تلك الروايات كما رويت في المؤلفات القديمة ، وإنما نرمي إلى علاج ما اشتهر من تلك الصفات علاجاً علمياً يكشف الطريق أمام طالب اللغة العربية في بحوثه المستقبلية . وعلى هذا فسنعرض هنا لأشهر ما روى عن اللهجات القديمة من صفات .

ما يتعلق بالإعراب

روى النحاة في المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الراى بينهم وقد نسبوا هذا الخلاف الإعرابى إلى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه ألسنتهم .

ويمكن أن نلخص بعض تلك المسائل فيما يلى :

١ — ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقا، ولكن بنى تميم يرفعونه إذا اقترن « يالا » حملا لها على « ما » .

ثم يروى النحاة لهذا قصصا ليس مصدرها فى الحقيقة إلا الصراع العلمى بين طائفتين منهم ، فقد زعموا أن الأصمعى قال : « كنا عند أبى عمرو بن العلاء يوما ، فجاء عيسى بن عمر الثقفى فقال : يا أبا عمرو ما شئ بلغنى عنك تجيزه ؟ قال ماهو ؟ قال بلغنى أنك تجيز ليس الطيب إلا بالمسك ! فقال أبو عمرو : هيهات ، نمت وأدلى الناس ، ليس فى الأرض حجازى إلا وهو ينصب ، ولا تسمى إلا وهو يرفع ! ثم قال لليزىدى وخلف الأحمر : اذهبا إلى أبى المهدى ولقناه الرفع فإنه لا يرفع ، ولأبى المنتجع بن نبهان التميمى ولقناه النصب فإنه لا ينصب . فذهبا إلى أبى المهدى فوجداه يصلى ، فلما قضى صلاته التفت إليهما وقال : ما خطبكما ؟ قالّا جئنا نسألك عن شئ من كلام العرب ، فقال هاتيا ، قالا : كيف تقول ليس الطيب إلا بالمسك ! ؟ فقال أنا أمرانى بالكذب على كبر سنى ؟ ! فأين الزعفران وأين الجاوى ؟ ! فقال خلف : ليس الشراب إلا العسل ، فقال : فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزىدى : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فقال هذا

كلام لادخل فيه ، ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله ، فقال اليزيدى : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فأعادها أبو المهدي بالنصب وقال لها : ليس هذا الحنى ولا الحن قومى . ثم أتيا أبا المنتجع فقال له خلف : كيف تقول ليس الطيب إلا المسك ؟! فقالها ورفع ، فجهدا به أن ينصب فأبى إلا الرفع . ثم رجعا إلى أبي عمرو بن العلاء وأخبراه الخبر وعيسى عنده لم يبرح ، فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال له : ولك الخاتم بهذا ، والله فقت الناس !

٢ — قسم النحاة « ما » النافية إلى حجازية وتميمية ، وقرروا أن خبر « ما » يكون منصوباً عند الحجازيين ، ومرفوعاً عند بني تميم . وقد اشترط النحاة شروطاً لنصب خبر « ما » عند الحجازيين ، مما هو معروف فى المطولات من كتب النحو .

٣ — ينصب الخبر بعد « إن » النافية فى لهجة أهل العالية ، ويروى أنه سمع من بعضهم [إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية] .

٤ — بنو أسد يصرفون مالا ينصرف ، ويقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون [لست بسكران] .

٥ — لهجة تميم تنصب تمييز « كم » الخبرية مفرداً ، ولهجة غيرهم توجب جره وتيجز أفراده وجمعه . فبنو تميم يقولون : كم درهما أنفقت ! وغيرهم يقولون : كم درهم أنفقت ! وكم عبيد ملكت ! ولهذا كان قول الفرزدق [كم عمة لك ياجرير وخالة] موضع نقاش وجدل بين النحاة يمكن الرجوع إليه فى المطولات من كتبهم .

٦ — « لعل » تعمل الجر فى اسمها عند عقيل ، قال شاعرهم :
لعل الله فضلكم علينا ...

٧ — وتعمل « متى » عمل « من » الجارة عند هذيل ؛ قال شاعرهم :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجـج خضر لهن شئج

٨ — نصب الاسم والخبر « بليت » لغة تميم أو رؤية الذى هو من تميم (١) .

هذه هي بعض أمثلة مما روى النحاة في كتبهم ، ونسبوه إلى اختلاف اللهجات العربية . والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم ، وصرقهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة . فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر . وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التي عني بها الخاصة من العرب في خطبهم وشعرهم ، وعدّ بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر في مراعاته . أما في لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئاً عن قواعد إعرابهم ، وعما التزموه في تحريك أو آخر الكلمات أو إسكانها . فالإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ، ثم بين النحاة من بعدهم ، ولم يكن مظهراً من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب . ويدل على هذا شعورهم بقواعده وقوانينه منذ العهد الجاهلي ، فإذا خرج أديب عن تلك القواعد عيب عليه هذا .

وإلا فكيف تتصور من الناحية الصوتية أن لساناً يعجز عن نصب خبر « ما » أو نصب اسم « لعل » أو جر تمييز « كم » الخيرية ؟ !
فمراعاة الناحية الإعرابية كانت من صفات اللغة الأدبية ، بل لقد كون فيها فيها عنصراً عظيماً الأهمية ، عدّ منذ الجاهلية مقياساً من مقاييس الفصاحة .
ويظهر هذا الاهتمام بظاهرة الإعراب في تلك اللغة الأدبية ، من تلك الأمثلة التي يسوقونها للحن بعض الشعراء والكتّاب ، فقد روي أن رجلاً لحن في حضرة النبي فقال رسول الله : أرشدوا أخاكم . ولا يعقل أن صاحب السليقة اللغوية يخطئ . إلا إذا كان ينطق بلغة خاصة يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى

فى حىاته العاده حىن ىنطق على سجهته . كذلک سمع عمر بن الخطاب لحناً من الأعراب ، وكذلک على بن أبى طالب . وقد عاب العرب على النابغة الذببانى وبشر بن أبى خازم الإقواء فى شعرهما . ولبس الإقواء فى الحقیقة إلا لحناً فى الإعراب وخروجاً عن قواعدہ . ولم یستطع أحد أن یصارح النابغة ، وهو من خاصة الخاصة ، بهذا العیب ، حتى دخل یثرب مرة فأسمعه غناء قوله :

أمن آل مية رائح أو مفتدى عجلان ذا زاد و غیر مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك حدثنا الغراب الأسود
فقطن لهذا و غیره إلى قوله [وبذاك تنعاب الغراب الأسود] .
كما عیب على الفرزدق قوله :

وعض زمان یابن مروان لم یدع من الناس إلا مسحناً أو محلفاً
وأمثله هذا اللحن الإعرابى فیا سموه بعصور الاحتجاج كثیرة ، ملئت بها
كتب اللغة والأدب ، وكلها تدل على قدر اهتمام القوم بناحية القواعد الإعرابية
منذ العصر الجاهلى ^(١) .

ما یتعلق بالناحية الصوتية

حىن نعتمد على تلك الروایات المبثورة الناقصة التى رويت لنا متناثرة فى بطون كتب اللغة والأدب ، نجد أنفسنا أمام صفات صوتية نسبت لبعض القبائل دون تحقیق كاف فى الرواية والنقل . فلا عجب أن یتخللها لهذا ، بعض الخلط وبعض اللبس الذى لا سبیل إلى التخلص منه إلا بعد دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفیضة مبنية على أسس علمية صحیحة . على أننا حىن نستعرض تلك

(١) انظر قصة الإعراب صفحة ١٢٥ من كتاب « أسرار اللغة » للدوائى .

الروايات ، أو بعبارة أدق ما اشتهر عنها ، نستطيع أن نقسم القبائل العربية بصفة عامة إلى طائفتين ، يشترك أفراد كل طائفة في صفات صوتية واحدة :

١ - فهناك قبائل عربية عاشت في صحراء الجزيرة منعزلة ، مما أدى إلى اضطباعها بصبغة خاصة .

٢ - وهناك قبائل متحضرة عاشت في بيئة حضرية قريبة من المدن العربية أو في ديار المدن نفسها ، وتلك قد اتصفت بصفات صوتية تخالف صفات الأولى . وقد اتصلت هذه القبائل في بيئتها الحضرية بلغات أجنبية أثرت في لهجتها إلى حد ما . فالقبائل التي عاشت في مدن الحجاز أو متاخمة لها ، وبعض التي عاشت في مدن اليمن المتحضرة ، وكذلك تلك التي اتصلت بعض الاتصال بمدن العراق ، نراها جميعاً ذات صبغة واحدة ، تخالف تلك التي انعزلت في صحراء الجزيرة وباديتها . وقد نجد بعض صفات قليلة مشتركة بين هؤلاء وهؤلاء ، ويصعب في بعض الأحيان تمييزها ، ولكن حين تم معرفتنا بتنقلات تلك القبائل ، واتصالها بغيرها ، سنعرف السر في هذا الاشتراك . فاعل من القبائل البدوية ما تأثر في بعض النواحي ببيئة حضرية ، وكذلك العكس .

— ٣ —

عوامل التطور وعوامل الجمود

يعرض المحدثون في علاجهم للهجات وتتبعها في أزمنة مختلفة إلى الحديث عما يمكن أن يسمى بعوامل التطور ، وعوامل الجمود أو الاستقرار ، ويكادون يجمعون على أن لهجات البيئات البدائية ، تختلف عن لهجات البيئات الحضرية في نسبة الخضوع لهذه العوامل . ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغييره في كثير من الظواهر ، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه

الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغير أو تحور. غير أن الغلبة تكون دائماً لعوامل التطور، فلا تبقى اللهجة في كل ظواهرها على حال واحدة بعد مرور قرن أو قرنين. هذا هو ما يفسر لنا اختلاف نسبة التطور في اللهجات المتباينة. ففي بعض اللهجات نراه شديداً يصيب كل نواحي اللهجة وظواهرها، وفي البعض الآخر نرى التطور ضئيلاً لا يكاد يعدو أموراً معينة في هذه اللهجة.

فإذا نحن استعرضنا بيانات القبائل العربية على ضوء تجارب المحدثين من علماء اللغات توقعنا أن نرى شبيهاً كبيراً بين ما يسمونه بالبيئات البدائية، وبين حياة البدو والقبائل البدوية. ففي القبائل البدوية التي لا تكاد تستقر على حال عوامل تسارع بلهجاتها إلى التطور والتغير:

(١) فالانزعال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار حولهم لا يتيح الفرص الكافية لتلقى اللغة عن الآباء والأمهات وتكرر سماع الألفاظ والعبارات، مما يترتب عليه نقص في التقليد والمحاكاة. ففي مثل هذه البيئات قد تدعو ظروف الحياة ومشقة العيش إلى انشغال الآباء والأمهات عن أطفالهم فلا يتصلون بهم إلا لماماً. وهنا ينشأ الطفل بعيداً عن أهله بمحض البعد، مستقلاً عنهم بعض الاستقلال، فلا يسمع منهم إلا قايلاً، ولا يتلقى عنهم إلا نادراً. وأساس النمو اللغوي هو المحاكاة وتكرار السماع. ولا يتقن الطفل تقايد لغة الكبار ونطقهم إلا بتكرار السماع منهم في كل ساعة من ساعات اليوم. بل إن التقاليد في بعض البيئات البدائية تأبى اتصال الطفل بأبيه اتصالاً وثيقاً، فلا يكاد يتحدث معه، وبعد حديث الطفل أمام الكبار ذنباً لا يفتفر، فكأنهم يتصورون الطفل قد خلق ليُرى لا ليُسمع. فلا يسمع الطفل من الكبار حوله إلا قايلاً، ولا يجد منهم من يصلح نطقه أو يهديه في كلامه، فينشأ هذا الطفل معتمداً على نفسه حيناً وعلى الصفار من أمثاله حيناً آخر، يقيس ما لم يسمع على ما سمع، وقد يخطئ في هذا القياس ويذيع هذا الخطأ بين لداته من الأطفال، وينطبق بالأصوات منجرفة

بعض الانحراف ، فلا يجد من يقوّم له نطقه ، ويشب عاينه دون شعور منه أو ممن حوله من الكبار . وهكذا نرى الجيل الناشئ قد اصطنع طريقة أخرى في نطق بعض ألفاظه وعباراته وكون لنفسه خصائص تشيع بينهم وتصبح فيما بعد صفة جديدة متميزة لم تكن من قبل في لهجة أهاليهم وذويهم .

(٢) هذا إلى أن القبائل البدوية دائمة الرحيل والتنقل ، لا تكاد تستقر في مكان حتى تلجأ إلى غيره في طلب التجارة أو الكلاء ، فتبدل الحال غير الحال والمناظر غير المناظر على هؤلاء الصغار . فهم في الجنوب جيران ذوو لهجات ونطق معين وفي الشمال في أخرى رملية ، ولهم في الجنوب جيران ذوو لهجات ونطق معين قد يخالف جيرانهم في الشمال . فيترك كل هذا أثراً في نطقهم ويكون له صدى قوى في نمو لغتهم .

(٣) فإذا أضيف إلى هذا ما عرف عن البدو من قلة عنايتهم بالنطق وسرعتهم في الأداء ، وجدنا التطور في لهجات البدو يأخذ صوراً عدة في زمن قائل . فليس بين البدو طبقات اجتماعية تقاس بمقاييس الحضرة من رغبة في تجويد النطق وتخير الألفاظ . فلا يكادون يتكلمون إلا بقدر ، ولا يعمدون في كلامهم إلى مستوى خاص يناسب مقام الكلام .

ومع كل هذا ورغم كل هذا فلبدو من حياتهم القبلية وظروفهم الاجتماعية ما يساعد على استقرار لهجاتهم :

(١) فهم يتعصبون لبعض صفات الكلام التي اشتهرت عنهم ويستمسكون بكل ما يميزهم من غيرهم . وإنما يكون هذا حين يشعرون بمثل هذه الصفات . فإذا عرفوا أن لهم نطقاً معيناً بالقف أو الهمزة عرف عنهم واشتهروا به ، استمسكوا بمثل هذا النطق لا يحيدون عنه ولا يسمعون لأبنائهم بالحيدة عنه . ويشبه هذا ما نعرفه عن بعض جهات الصعيد في مصر حين يقولون لأبنائهم: إن من يغير لهجته كمن يغير دينه . ومثل هذه العصبية لا تكون إلا حين يشعرون

بصفة معينة ، ويدركون الفرق بينهم وبين غيرهم فيها إدراكاً تاماً . أما حين تكون الصفات غامضة عليهم ، دقيقة على إدراكهم فإدراكهم لا يكادون يعاينونها ، بل يتركونها وشأنها تتغير في أفواههم وعلى ألسنتهم دون عمد أو شعور بمثل هذا التغير أو التحور .

(٢) هذا إلى أن انعزالهم عن غيرهم وانطوائهم على أنفسهم وبفضهم لكل ما هو أجنبي عنهم ، لا يسمح بأى تطعيم يمكن أن يصيب لهجتهم من بيئة أخرى .

أما في البيئة الحضرية فعوامل التطور إن وجدت ، ليس لها نفس القوة التي تراها عادة في البيئة البدوية :

(١) ففي الحضر طبقات من الناس تقاس مراكزهم الاجتماعية بمقاييس لغوية في بعض الأحيان . وتتطلب حياة الحضر العمل على تحسين النطق وتخير العبارات ، حتى ينال المرء ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي . فلا تكاد تتم مراحل نمو اللغة عند أطفال الحضر حتى يرون أنه من الضروري لهم أن يعملوا على تجويد نطقهم ، وتحسين عباراتهم ، وتخير ألفاظهم كي يصلوا إلى ما يطمحون إليه ويصبح لهم شأن في وطنهم المتحضر . ولهذا لا يكاد ينحرف أحد منهم في نطقه أو تقليده للغة الكبار حولهم . فينشأ الطفل الحضري بين أحضان أهله مدللاً ، يكثر من الحديث إليه ، ويستمتعون بكل ما ينطق به ، ويراقبون في متعة وسرور نطق كلامه ، ويصلحون ما يزل فيه أو ينحرف عنه . ويترتب على مثل هذه الظروف حالة من الاستقرار في لهجة الكلام بين أهل الحضر تفوق نسبياً ما شهدناه بين البدو .

(٢) ومع هذا ففي الحضر ما يمكن أن يساعد على التطور كقبول أهله لكثير من العناصر الأجنبية التي تزح إليهم ، واتصالهم بكل جديد يطرأ على الحياة الإنسانية . فلمخترعات الجديدة صداها في ألفاظهم ، وللتجارة الأجنبية أثرها

في كلماتهم ، فهم مستعدون للإعارة والاستعارة في ألفاظ اللغة وأسايلها أكثر من استعداد البدو لمثل هذا . ولقد كانت مكة في عصور ما قبل الإسلام مهذاً لتجارة رائجة واسعة النطاق ، وكان ينزح إليها قوم من الأعاجم يؤسسون فيها بيوتاً تجارية عظيمة ، ويحلبون إليها منتجات من كل الأمم المعروفة حينئذ . ولا نستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يتم هذا دون أن يترك أثراً ما في لهجة مكة .

ولهذا كله لا ندهش حين نرى الروايات التي رويت عن لهجات البدو تتميز بخصائص تخالف تلك التي عرفت عن الحضر . كذلك لا ندهش حين نلاحظ أن لهجة البدو بوجه عام كانت أسرع إلى التطور والتغير ، وأن لهجات البيئة الحجازية ، قد حافظت في مجموعها على خصائص قديمة تنتمي إلى السامية الأولى .

— ٤ —

صفات اللهجة بين البدو والحضر

١ — الميل إلى الازمالة :

تحدثنا آنفاً عن طبيعة الإمالة من الناحية الصوتية ، وقلنا إنها المرحلة الثانية للصوت المركب الذي يسميه المحدثون Diphthong ، كما قررنا أنه قد تكون إمالة إلى الكسر في حالة ai ، وإلى الضم في حالة au . وقد وقفت القبائل البدوية عند مرحلة الإمالة ؛ ولم تتطور الإمالة في ألسنتهم إلى الفتح كما حدث عند الحجازيين ..

وإذا نسبنا الإمالة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها فليس معنى هذا أن جميع هذه القبائل يميل بنسبة واحدة ، بل يظهر أن إمالة قبائل وسط الجزيرة

كانت تلك الإمالة الشديدة ، أمّا إمالة القبائل المتاخمة لمدن العراق فقد كانت إمالة خفيفة ، أى قريبة من الفتح .

هذا حين تكون الإمالة نتيجة أصل يأتى أو واوى كما أشرنا آنفاً كما إمالة نحو « باع ، قام » ، أما حين تكون الإمالة نتيجة انسجام بين أصوات اللين كما فى إمالة نحو « كتاب » ، فتلك صفة كانت أكثر شيوعاً فى القبائل البدوية ، منها فى القبائل المتحضرة التى عنيت بتحقيق الأصوات ومنع تأثرها بعضها ببعض .

٢ — الميل إلى الضم أو الكسر :

مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخافى المسمى بالضمّة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية . فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم . والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ، لأنهما من أصوات اللين الضيقة ^(١) .

لهذا تحل إحداها محل الأخرى فى كثير من الظواهر اللغوية . غير أن الكسر دليل التحضر والرقّة فى معظم البيئات اللغوية . فهى حركة المؤنث فى اللغة العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة ، أو ضعف الأنوثة . ولاشك أن الحضرى أميل إلى هذا بوجه عام . هذا إلى أن الياء التى هى فرع عن الكسرة تعدّ العلامة الأساسية للتصغير فى لغتنا العربية . بل إن من المحدثين من يؤكد لنا أن الكسرة فى كثير من اللغات ترمز إلى صغر الحجم والرقّة وقصر الوقت ^(٢) .

ومما نلاحظه أن اللغة العربية فى تطورها إلى اللهجات الحديثة مالت فى غالب الأحيان إلى التخلص من بعض ضمتها ، وإبدال الكسرة بها حين استقرت فى المدن والبيئات المتحضرة .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٣٨ .

(٢) أسرار اللغة صفحة ٨٠ .

ولسنا نفى بهذا أن لهجات البدو قد دخلت من الكسرات ، أو أن لهجات الحضر لا تعرف الضمات ! وإنما كل الذى نهى عنه إليه هو أنه إذا رويت لنا الكلمة بروايتين : إحداها تشتمل على ضم فى موضع معين من هذه الكلمة ، والرواية الأخرى تتضمن الكسر فى نفس الموضع من الكلمة ، رجحنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمى إلى بيئة بدوية ، وأن المشتملة على الكسر تنتمى إلى بيئة حضرية . كذلك نرجح أن الروايتين أو الصيغتين كانتا تستعملان فى زمن واحد ولكن فى بيئتين مختلفتين . فليست إحداها بالأصل والأخرى فرع عنها ، أو ليست إحداها بمثابة التطور للأخرى ، بل إن الصيغتين قد وجدنا معاً وعاشتا فى عصور ما قبل الإسلام . ويشبه هذا ما نسمعه فى بعض اللهجات المصرية من النطق بكلمات مثل : (زهق وطهق وصفر) مرة بالضم وأخرى بالكسر ، غير أننا نلاحظ أن النطق بالضم يشيع فى البيئات البدائية وبين الحفاة الخشنين من الرجال ، فى حين أن النطق بالكسر نسمعه غالباً فى المدن وفى أفواه النساء بصفة خاصة .

فإذا استعرضنا ما روى لنا عن اللهجات العربية القديمة ، وجدنا قدراً كبيراً من الأمثلة التى تؤيد ما نذهب إليه هنا :

فهناك رواية تجمع عليها كتب اللغة وهى تلك الظاهرة التى تسمى بالمعاقبة^(١) الحجازية . ويفسرها علماء اللغة بقولهم إن الواو فى مثل « صوام » ينطق بها ياء عند الحجازيين فيقولون « صيَّام » . ويفهم من كلام النحاة وأصحاب المعاجم أن هذه الظاهرة كانت مطردة ، فكان الحجازيون يقولون : [صيَّام ، نيَّام ، صيَّاغ ، قيَّاد] بدلاً من : [صوَّام ، نوَّام ، صوَّاغ ، قوَّاد] .

فإذا تذكرنا ما نعرفه من دراسة الأصوات وطبيعتها ، وجدنا أن « الواو » ليست فى الحقيقة إلا امتداداً للضم مع فرق طفيف فى وضع اللسان ، وأن « الياء »

هى امتداد للكسر مع نفس الفرق الطفيف فى وضع اللسان . فكان الحجازيين كانوا يميلون إلى الكسر ، فى حين أن غيرهم من البدو كانوا يميلون إلى الضم .
انظر أيضاً إلى الروايات الآتية التى وردت فى لسان العرب :

١ — بعض من فزارة كانوا يقولون : كساين « بدلا من » كساوان .
وفزارة من غطفان تلك القبيلة التى عاشت بالقرب من الحجاز وربما قد تأثرت بما شاع فيه .

٢ — كلمة « حيث » رويت فى صورة أخرى هى « حوث » ونسبت هذه الصورة الأخيرة لقبيلة طيء وقيل تميم ، وكلاهما من القبائل البدوية التى آثرت الضم فى كثير من الصيغ .

٣ — يقال « ما أعيج به » أى ما أعبا به . ولكن بنى أسد كانوا يقولون « ما أعوج » .

٤ — حكى عن بنى « سليم » وهم من القبائل الحجازية أنهم كانوا يقولون « منذ » بكسر الميم فى « منذ » .

٥ — « مكيل » اسم المفعول من كان يكيل ، وينطق به بنو أسد « مكول » .

٦ — المشهور هو « نما ينمو » ولكن حكى عن بعض بنى سليم أنهم قالوا « ينمى » ، وسئل جماعة من بنى سليم عن الواوى فلم يعرفوه .

٧ — المشهور الشائع فى اسم الموصول لجمع المذكر هو « الذين » ، وقد روى لهذه الصيغة نظير هو « اللذون » ، وينسب بعض الرواة لهذيل وبعضهم ينسبه لعقيل . ويظهر أن نسبته لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهى أقرب إلى التأثير بلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ويروى الرواة شاهداً من الشعر وهو :

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

ولعل مما يؤيد نسبة هذه اللهجة إلى عقيل أن هذا الشاهد نسبة أبو زيد^(١) لأبي حرب بن الأعمى وهو جاهلى من بنى عقيل . ونسبه الصاغانى فى العباب إلى ليلى الأخيائية وهى أيضا من عقيل^(٢) .

على أننا لا نعتمد فى ظواهر اللهجات وخصائصها على لغة الشعر وأمثلةه ، فكما قلنا آنفا لقد نظم الشعر باللغة النموذجية المشتركة بين القبائل جميعاً ، ولا يصح لهذا أن يشتمل على الصفات الخاصة ببعض اللهجات . فاعل هذا البيت قد اشتمل فى أصله على « الذين » وقد غيره الرواة ليجعلوا منه شاهداً على أن « اللذون » قد سمعت من بعض القبائل .

٨ — يقال لنا إن بنى تميم يعربون « أمس » وعليه فيجوز فيها « أمس » ، ولكن الحجازيين يلتزمون فيها حالة واحدة هى « أمسر » .

ويظهر أن استقرار هذه الرواية قد اعتوره بعض النقص ، وأن الحقيقة هى أن تيمماً كانت تلتزم فى الكلمة حالة واحدة هى « أمسر » بضم السين .

٩ — قرأ يعقوب وحمزة وهما عراقيان أو ممن تأثروا بالبيئة البدوية الكلمات (عليهم ، إليهم) بضم الهاء بدلاً من المشهور الشائع فى البيئة الحجازية بكسرها . بل لقد روى فى القراءات القرآنية أن « قُبُلاً » فى قوله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شئ قبلاً » على لغة تميم ، وأن القراءة « قِبلاً » على لغة كنانة . كذلك قيل لنا إن قراءة « أُنْذا مُتْنا » على لغة تميم ، وقراءة « أُنْذا مُتْنا » على لغة الحجاز . كذلك قرئت الكلمة « سخرى » بضم السين وكسرها وروى لنا أن الضم على لغة تميم ، وأن الكسر على لغة قریش ، فى قوله تعالى : اتخذناهم سخرى » .

ومن أمثلة الضم والكسر : [إسوة ، مربة ، غلظة] بكسر الأول وضمه ، والكسر فى لهجات الحجاز والضم لتميـم^(١) . ومنها ما جاء عن اليزيدى فى المزهر

(١) نوادر اللغة . ص ٤٧ . (٢) جمهرة أنساب العرب ص ٨٠١ .

(٣) أدب الكاتب . ص ٤٣٤ ، الزهر ج ٢ ص ٢٧٦ .

أن تيمما تضم أوائل الكلمات : [عدوة ، عشوة ، أسوة ، قدوة] . وقرأ أبو عمرو وابن كثير « بالعدوة الدنيا » بكسر العين ، والباقون بضمها ، والضم أعرب اللغتين عن أبي عبيد ، وذكر اليزيدي أن الكسر لغة الحجاز ^(١) .

وكذلك « صنوان » بالضم لتيمم وقيس ، وبالكسر لأهل الحجاز ^(٢) .

١٠ — وأخيراً لعل من هذه الظاهرة ما روى عن بنى كلب وسمى « بالوكم » حيناً وبالوهم حيناً آخر ، فقد قيل لنا إنهم يكسرون كاف الخطاب في « عليكم » وهذا هو « الوكم » ، كما يكسرون ضمير الغيبة في « منهم » وهذا هو الوهم .

وبنو كلب هؤلاء فرع من قضاة ، ترددت مساكنهم بين تخوم الشام وما يقرب من بلاد العراق . فهل كان هذا لأنهم تأثروا بما انتشر في تلك البقاع من لغات سامية كالآرامية والعبرية وكلاهما أثر الكسر في مثل هذه الضمائر ؟

أو ربما يقال إن كسر هذه الضمائر كان صفة من صفات اللهجات الحجازية وأن ضمها قد شاع في لهجات البدو ، وأن النطقين قد عاشا معاً جنباً إلى جنب في عصور ما قبل الإسلام . ثم إن اللغة النموذجية قد انتهجت النهج البدوي في هذه الضمائر لأن المشهور الشائع في نطقها هو أن تكون بالضم .

أما كيف يمكن أن بنى كلب قد تأثروا باللهجات الحجاز ، فذلك لأنهم عاشوا على حدود الشام أى على الطريق الذى كان الحجازيون يسلكونه دائماً في تجارتهم مع بلاد الشام ، فيبشتم ليست إلا امتداداً طبيعياً للبيئة الحجازية .

تلك هى بعض الروايات التى توضح لنا بجلاء ميل البدو إلى الضم وإيثار الحضرة للكسر ، أى أن قبائل الحجاز بوجه عام كانوا يميلون إلى الكسر ، فى حين أن « تيمما » ومن على شاكلتهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كانوا يضمون . وهناك روايات أخرى كثيرة وردت فى لسان العرب وفى النحصر وتؤيد ما نذهب

(١) إمرأز المعاني ص ٣٣٤ .

(٢) البحر ج ٥ ص ٣٥٧ .

إليه هنا ، ولكن هناك أيضاً بعض الروايات التي تخالف في مجموعها هذا الرأي ،
والتي تحتاج إلى تحقيق مستقل أو تفسير خاص ، ولعلها تعزى إلى خطأ في الرواية
أو اختلاف في معنى الصيغتين .

على أنه حين نتساءل عن أى الصوتين أيسر في النطق أو أيهما الذى يحتاج
إلى جهد عضلى أكثر ، نجد أن الضمة هي التي تحتاج إلى جهد عضلى أكثر ،
لأنها تتكون بتحريك أقصى اللسان ، في حين أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى
اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه . وقد كنا نتوقع من أجل
هذا أن يشيع الكسر في بيئة البدو حيث الميل إلى الاقتصاد في المجهود
العضلى ، وبذل أقل جهد ممكن في أثناء النطق متى تحقق النطق أن مثل هذا
الجهد سيحقق له الهدف من الكلام . ولكن الضم كما قلنا آنفاً صفة من صفات
الخشونة التي يحرص عليها البدوى والتي يدرك أنها تميزه من غيره ، ولذلك
استمسك بها وتعصب لها في غالب الأحيان .

وقد حدث في النادر من الأحيان أن نسي البدوى نفسه وانطلق على سجيته
فنطق بالكسر حيث كنا نتوقع منه الضم . هذا هو ما يمكن أن يفسر لنا تلك
الروايات النادرة ، على افتراض صحتها ، التي جاء فيها الكسر منسوباً لقبيلة
بدوية .

وليس يقتصر أمر اللهجات على الضم والكسر ، بل لقد تروى الكلمة
بصيغتين تشتمل إحداها على الضم والأخرى على الفتح ، أو إحداها على الكسر
والأخرى على الفتح . وفي مثل هذه الرواية يجب أن نلجأ في تفسيرها إلى ذلك
القانون العام أو الظاهرة العامة التي نسميها بانسجام أصوات اللين في الكلمة
الواحدة Vowel — Harmony ، وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات
الكلمات . فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى
الانسجام بين هذه الحركات ، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح

في الحركات التتالية . وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات .

وللانسجام درجات بعضها أيسر من بعض : فتتوالى الضم ثم الكسر ثم الفتح أشق من تتوالى ضمتين ثم الفتح ، أو تتوالى كسرتين ثم الفتح . وربما كان أيسر من هذا وذلك أن تصبح هذه الكلمة مشتملة على ضم ثم فتحتين .
ولسنا في كل حال نتوقع أن يلتبس الناطق أيسر السبل ، وإنما نتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أياً كانت درجته من اليسر .

وقد استطعنا على ضوء هذه الظاهرة أن نفرس بعض الروايات التي رويت عن اللهجات القديمة ، ووجدنا بوجه عام أن لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي فيها تحقق الأصوات نتيجة التأتى والتؤدة في النطق . فالانسجام كظاهرة صوتية لا يقتصر أمره على لهجات البدو ، بل قد يوجد أيضاً في بعض لهجات الحضر ولكن بنسبة أقل :

١ — فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون « برأت من المرض » وسائر العرب يقولون « برئت » ، أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو « برئت » ، وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأخرى « برأت » .

ولا شك أن الراوى الذى سمع هذه الصورة من الحجازيين لم يسمعها في اليهود الجاهلية ، وإنما سمعها وقت تدوين اللغة أى بعد مرور ما يقرب من قرنين على ظهور الإسلام ، وفي خلال هذه الفترة قد تم مثل هذا التطور .

ففي ظاهرة الانسجام نستطيع دائماً أن نميز الأصل من الفرع ، وأن نقبين ما كانت عليه الكلمة وما صارت إليه .

٢ — وما يروى لنا أن الكلابيين كانوا ينطقون بكلمة « تفاوت » بفتح الواو . ولكن القرآن الكريم قد استعملها بضم الواو ، مما يؤكد لنا أن الصورة القرآنية هي الأصل وأن الأخرى فرع لها .

والكلابيون ممن تأثروا بالبيئة الحجازية .

٣ — وأهل تهامة وهم أقرب إلى البيئة الحجازية كانوا يقولون في « البَضْد » « المُضْد » بضمتين . وقد استعملت الصيغة الأولى في القرآن الكريم ، مما يبرهن على أنها الأصل .

تلك هي أشهر الأمثلة التي رويت للانسجام في البيئة الحجازية ، وهي إذا قيست بما روى عن البيئة البدوية تعدّ قليلة الأهمية :

١ — فقد روى عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل : [بعير ، شهيد ، زئير] بكسر الحرف الأول . وليس هذا في الحقيقة إلا نوعاً من الانسجام بين حركات هذه الكلمات . وعلى هذا لا معنى لما يشترطه بعض اللغويين من أن الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الخلق !! ويظهر أن الراوى قد سمع من تميم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الخلق ، وليست هذه الظاهرة التيممية إلا انسجاماً بين الحركات يشبه ما نسمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق [كبير ، بعيد ، نظيف] بكسر أولها .

٢ — « سكارى وكسالى » كلمتان وردتا في القرآن الكريم وقد ضم الحرف الأول في كل منهما ، ولكن المعاجم العربية تحدثنا أن بنى تميم وأسد كانوا ينطقون بهما وقد فتح الحرف الأول منهما ، ولا يمكن تفسير مثل هذا إلا على ضوء الانسجام بين الحركات في كل من الكلمتين .

٣ — « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، قيل لنا إن هناك قراءة لكلمة « سنفرغ » بفتح الراء على لغة تميم .

٤ — « غشاوة » قرئت بفتح الغين على لغة ربيعة . ولكن ربيعة شعب عظيم يشتمل على عدة قبائل بعضها ممن تأثر بالحضر في بلاد الحيرة وبعضها ممن البدو كبكر بن وائل . فإذا صحت هذه الرواية يمكن أن ينسب هذا النطق لقبيلة بادوية مثل بكر بن وائل .

٥ — هناك أمر مطرد تجمع عليه كتب اللغة وهو نطق قبيلة طيء لأفعال مثل : [بقى ، فنى ، رضى] بفتح الحرف الثانى فى كل منها .

٦ — « ما فتئت أذكره » ، قيل لنا إن بنى تميم كانوا يقولون فيها « ما فتأت » فيفتحون التاء من هذا الفعل .

٧ — المشهور فى الفعل « مات » أن مضارعه يموت أو يميت ، ولكن بنى طيء كانوا يقولون « يمت » .

٨ — المشهور فى الفعل « إخال » هو كسر همزة المتكلم ، ولكن بنى أسد كانوا ينطقون بها مفتوحة .

ويبدو أن بعض القدماء من العلماء كانوا يشعرون بأثر ظاهرة الانسجام بين الحركات فقد كان ابن جنى يعبر عنها بقوله [لضرب من تجانس الصوت] ^(١) ، ويعبر عنها ابن يعيش بقوله [لضرب من التشاكل] ^(٢) .

ولسنا ندعى بعد كل هذا أن ما سقناه هنا من مبادئ عامة ، تفسر لنا كل الروايات التى وردت فى المعاجم لكلمات رويت بحركات مختلفة ، فبعض الروايات التى عثرنا عليها لا تزال تحتاج إلى تحقيق ، ولعل بحوث المستقبل تكشف لنا عما غمض علينا .

٣ — الميل إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة :

مالت القبال البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها ، وهو أمر طبيعي يلتزم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع . لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها ، حاسمة ، ثم إن ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب .

وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآذان إنما هي فرقعات متعددة ، في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع يشتمهم وطبيعتهم .

فالباء والتاء والذال والكاف ، وغيرها من الأصوات الشديدة ، قد نسمعها في أفواه المتحضرين (على الترتيب) :

فاء . سينا . زايا . شينا

هذا إلى أن الأصوات الشديدة تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة . ولذلك نلاحظ أن الطفل الصغير قد يلتبس الصوت الشديد بدلا من نظيره الرخو ، فيقول مثلا : « تتى » بدلا من « ستى » ، وكذلك البدوى الذي يقتصد من الجهد العضلي في أثناء نطقه ، يميل في كثير من الأحيان إلى قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

فإذا رويت لنا الكلمة بروائتين : في إحداها تشتمل الكلمة على صوت شديد وفي الأخرى على نظيره الرخو ، أمكن أن ننسب الصيغة المشتملة على الصوت الشديد إلى بيئة بدوية ، وأن ننسب الأخرى إلى بيئة حضرية . هذا إذا لم نعرف أى الصيغتين هو الأصل وأيها هو الفرع . والطريق الوحيد لمعرفة الأصل والفرع في مثل هذه الحال هو الرجوع إلى النصوص القديمة الموثوق بها . فإذا وردت الكلمة في نص جاهلي ، أو نص منسوب إلى صدر الإسلام ، أو وردت في القرآن

السكريم ، دل هذا على أن صورتها التي ترد في مثل هذه النصوص هي الأصل في الأعم الأغلب ، وأن تطوراً ما قد أصاب الكلمة فيما بعد حتى صارت على الصورة الأخرى التي سمعها الرواة في عصر التدوين ، أي بعد ظهور الإسلام بنحو قرنين من الزمان . ومثل هذه الفترة من الزمن كافية لإحداث مثل هذا التطور .

نستعرض بعد هذا بعض تلك الروايات التي جاءت في معاجنا العربية مؤيدة لما نذهب إليه هنا :

١ — المشهور هو « عكوف الطير » ، وقد قيل لنا إن قبيلة عقيل تقول : « عكوب الطير » بالباء ! والفرق بين الفاء والباء هو أن الأولى صوت رخو نظيره الشديد هو ذلك الصوت الأوروبي P ، ولكن نظراً لفقدانه في لغتنا العربية اعتبرت الباء المألوفة لنا بمثابة النظير الشديد للفاء العربية . وقبيلة عقيل كما نعرف من القبائل التي عاشت بالقرب من تميم وتأثرت بها ، فهي من قبائل البدو الذين آثروا الأصوات الشديدة .

٢ — جاء في اللسان : « قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عدوفة ، قال وكنت عند يزيد بن يزيد الشيباني فأنشد بيت قيس بن زهير :

ومجنبات ما يذقن عدوفة يقذفن بالمهرات والأمهار

بالدال ، فقال لي يزيد صحفت أبا عمرو ، وإنما هي « عدوفة » بالدال ، قال فقلت له لم أحصف أنا ولا أنت ، تقول ربعة هذا الحرف بالدال ، وسائر العرب بالدال » .

نحن في هذه الرواية أمام كلمة رويت بروايتين وهي « عدوفة » بالدال أو الدال ، وهما حرفان متناظران : الأول منها شديد والثاني نظيره الرخو ، وقد نسبت الصيغة المشتعلة على « الدال » لشعب عظيم هو ربعة وفيها البدو وفيها من تأثروا بحضر الحيرة كإيادو النمر . ولذلك نؤثر أن نسب النطق بالدال لهاتين القبيلتين .

ولكن الغريب أن يرد في مادة « ذكر » أن الفراء يقول :
[وبعض بني أسد يقولون « مذّكر » فيقبلون الدال فتصير ذالاً مشددة .
وقال الليث « الذّكر » ليس من كلام العرب ، وربيعة تغلط في « الذكر »
فتقول « ذكر »] .

أما أن ينسب « الذكر » بالدال لربيعة فأمرهين ، لأن من قبائل ربيعة بكر
ابن وائل ، وهى المتوغلة فى البداوة ، فلعل الراوى قد سمع هذا النطق فيها .
ولكن نسبة « مذّكر » بالدال لبني أسد من الأمور التى يصعب تعليلها .
(٣) روى أن الأصمعى قال : إن « الخبيت » هو « الخبيث » ، وإن
النطق بالثاء لغة خيبر . ولكن هذه القبيلة اليهودية من القبائل التى تأثرت
بالبيئة الحجازية ، ولذا لم نكن نتوقع أن يروى عن لهجاتها قلب الصوت الرخو
إلى نظيره الشديد . على أن هذه الرواية كانت موضع شك من الخليل ، كما اعتبرها
بعض اللغويين تصحيفاً . جاء فى اللسان ما نصه :

[قال اليهودى الخيبرى :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث
وسأل الخليل الأصمعى عن « الخبيت » فقال له أراد « الخبيث » وهى لغة
خيبر ، فقال الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال « الكثير » ، وإنما كان ينبغى أن
تقول إنهم يقلبون الثاء تاء فى بعض الحروف . وقال أبو منصور فى بيت اليهودى
أيضاً أظن أن هذا تصحيف ، قال لأن الشئ الحقيق الردىء إنما يقال له « الخبيت »
بتاءين ، وهو بمعنى الخسيس فصحفه وجعله « الخبيت »] .

وهكذا نرى أن الخليل لم يرقه أن يسمع أن قبيلة حجازية ينسب لها قلب
الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

(٤) جاء فى اللسان أن قبيلة طيء كانوا يقولون « اللّصّت » بدلا من
« اللص » ، ويقولون « الطست » بدلا من « الطس » . ويؤيد هذه الرواية

ماورد في المخصص^(١) : الأَصْت هو اللص في لغة طيء. وجمعه « لصوت » وم يقولون طست وغيرهم طس .

وقبيلة طيء متوغلة في البداوة ، فلا غرابة أن يقلب في لهجتها صوت « رخو » إلى نظيره الشديد . فالسين صوت رخو نظيره الشديد التاء ، والصاد صوت رخو نظيره الشديد هو الطاء التي إذا رُققت أصبحت تاء .

(٥) جاء في المخصص^(٢) : [قال ابن دريد الحذف ماعمل من الطين وشوى بالنار فصار نخاراً واحده خزقة ، والحزب لغة في الحزف يمانية] .

فهذا مثل آخر للقاء الرخوة حين تناظرها الباء الشديدة في كلمة رويت بروايتين . ويمكن أن تنسب رواية الباء إلى قبيلة بدوية من قبائل اليمن المتعددة التي منها البدوى ومنها المتأثر بحضر اليمن .

(٦) جاء في اللسان أن [« اللازب » و « اللاتب » بمعنى واحد ، وأن قبيلة قيس تقول طين لاتب] .

فهذه مناظرة بين الزاى والتاء ، والأولى رخوة والثانية شديدة ، ولكنها مناظرة بين صوت مجهور وصوت مهموس ، مما يرجح أحد أمرين : إما أن صيغة « لازب » كان ينطق بها « لاسب » ، أو أن صيغة « لاتب » كان ينطق بها « لادب » . ومع هذا فقد نسب الصوت الشديد لقيس التي تأرجحت بين تميم والحجاز فتأثرت بهذه وتأثرت بتلك . ويبدو أنها هنا قد تأثرت ببيئة تميم البدوية .

(٧) جاء في المخصص^(٣) : فاضت نفسه خرجت تميمية . ولكن صاحب اللسان حين يتحدث عن هذا الفعل يذكر عدة روايات فيقول ما نصه [قال الفراء أهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه ، وقضاعة و تميم وقيس يقولون

(١) جزء ثالث صفحة ٧٨ .

(٢) جزء خامس صفحة ١٢٥ .

(٣) جزء ١٥ صفحة ٣٦ .

فاضت نفسه مثل فاضت دمعته . وقال أبو زيد وأبو عبيدة : فاضت نفسه بالظاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم . وروى المازني عن أبي زيد أن العرب تقول : فاضت نفسه بالظاء إلا بني ضبة فإنهم يقولون بالضاد [. .

فهذه مناظرة أخرى بين صوت رخو وهو الظاء ونظيره الشديد وهو الضاد ، ولكن الرواة لا يكادون يستقرون على أمر في نسبة الصيغتين . ويظهر من مجموع ما قالوا أن « الضاد » تنتمي إلى بيئة تميم البدوية ، وأن الظاء تنتمي لبعض من قيس ممن تأثروا بالبيئة الحجازية ، أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول القراء ، أى أن رواية أبي زيد هي أقرب الروايات إلى الصحة . ويؤيد ما نذهب إليه قول صاحب الخخصر^(١) حين يتحدث عن « اضرورى » أى انتفخ بطنه من الطعام ، [إنه قد حكى عن أبي عمرو « اطرورى » بالطاء ، ورواية أبي زيد « اظرورى » بالظاء وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه ، وقد سألت عنه بمض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد] .

فهذه مناظرة أخرى بين الضاد والظاء ، وفيها تنسب الظاء لأهل الحجاز ، مما يرجح لنا ميل البيئة الحجازية المتحضرة للأصوات الرخوة . ومن مظاهر اضطراب الروايات في كتب اللغة والأدب أن تنسب صفة خاصة من صفات اللهجات لشعب عظيم يتكون من عدة قبائل ، ثم في موضع آخر تنسب له صفة أخرى مناقضة للأولى .

ومحن نقف أمام تلك الروايات المتناقضة جيارى لا ندرى أيها نصدق ، وبأيها نأخذ ! ولكننا إذا نظرنا إلى تلك المجموعة من القبائل وجدنا بمضامنها قد تأثر ببيئة بدوية والبعض الآخر يبدو تأثره ببيئة حضرية . فعلينا في مثل هذه الحالة أن ننسب الصفة إلى ما يناسبها من قبائل ذلك الشعب العظيم مهتدين بتلك القاعدة العامة التي قررناها ، وهى أن ظواهر اللهجات في القبائل البدوية تخالف

إلى حد كبير ظواهرها في القبائل المتحضرة التي عاشت في المدن . فثلاً تنسب الروايات صفة الشدة في الصوت لليمن دون تعيين قبيلة فيها ثم في موضع آخر تنسب صفة الرخاوة لقبائل يمنية أيضاً ، فواجب الباحث المدقق أن يقسم قبائل اليمن إلى بدوية وحضرية ، ثم ينسب الشدة للبدوية منها ، والرخاوة للحضرية . وبذلك نستطيع بقدر الإمكان التوفيق بين تلك الروايات المتناقضة : —

(١) فثلاً روى أن « السين » تقلب « تاء » في لهجة اليمن ، فيقولون « الثات » في « الناس » ، و « لبات » بدلاً من « لابس » . ثم يروى الرواة شاهداً من الرجز :

ياقاتل الله بنى السمعاتِ عمرو بن يربوع شرار الثاتِ

غير أعفاء ولا أكياتِ

فنحن هنا أمام شعب عظيم من القبائل تنسب له صفة خاصة من صفات اللهجات وهي قلب صوت رخو إلى نظيره الشديد . فعلياً أن نبعث في مثل هذه الحالة عن أى قبائل اليمن تلك التي مالت إلى البداوة أو عاشت قريبة من الصحراء ، فنجد أن أقرب قبائل اليمن إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما : خثعم ، زبيد . وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن .

أما المبرر الصوتي لانقلاب « السين » « تاء » فهو هين واضح ، لأنها يكادان يكونان متماثلين في الخرج ، كما أن كلا منهما صوت مهموس ، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا المليا التقاء محكما به ينجس النفس حتى إذا انفصلا انفصلاً مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء ، في حين أنه في حالة النطق بالسين نلاحظ أن انحباس النفس لا يكون محكما ، بل هناك فراغ ضيق بين طرف اللسان وأصول الثنايا المليا ليتسرب منه الهواء . (ب) كذلك روى أن من قبائل اليمن من يظنون « بالميم » شديدة

لارخاوة فيها ، أى تماثل تلك الجيم الشائعة فى اللهجة القاهرية الحديثة . فإذا
قارنا بين « الجيم » اليمينية والجيم الفصيحة كما وصفت فى القراءات وجدنا فرقاً
من ناحيتين : الأولى أن « الجيم » اليمينية أكثر شدة ، والثانية أن مخرج « الجيم »
اليمينية هو أقصى الحنك ، ولكن مخرج « الجيم » الفصيحة هو وسط الحنك .
فما حدث فى نطق اليمينين « للجيم » هو انتقال المخرج إلى الوراء قليلاً ،
وانحباس النفس معها انحباساً كاملاً ، رغم احتفاظ كلا الصوتين بصفة الجهر .
حقاً أن « الجيم » الفصيحة تعد صوتاً أقرب إلى الشدة منها إلى الرخاوة ،
ولكن « الجيم » اليمينية قد كملت شدتها ، وذلك من صفات البيئة البدوية .
وقد نسبت هذه « الجيم » أيضاً لبعض قبائل طيء ، وهم كما نعرف من البدو
الذين عاشوا فى بعض نواحي نجد .

وإذا كان علينا أن نتخير من قبائل اليمن من ترجح نسبة مثل هذه الصفة
إليه ، لم نجد خيراً من قبيلتي : خثعم ، زبيد .^(١)

٤ — اليل إلى مبرر الأصوات أو همسها :

فى مثل تلك الصحراء الشاسعة الخالية من مظاهر المدنية ، قد يفنى الصوت
فى جو لا آخر له ، إذ يتحدث الناس غالباً فى العراء وقد اقترشوا الغبراء والتحفوا
بالسما ، وليس هناك من حائل يصد موجات الصوت أو يركزها ، بل تنساب
الأصوات فى محيط الفضاء تخفى فيه الأصوات فلا تكاد تبين أو تتضح .
ولا شك أن الأصوات المجهورة أوضح فى السمع ، تطلقها الأذن فى مسافة
عندها قد تخفى نظائرها المهموسة .

لهذا كان من المعقول ، بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدينة التى يتحدث
بين جدران المنازل ، والتى لا ترى داعياً لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه
السامع القريب ، تميل عادة إلى همس الأصوات .

(١) أنظر للدوائى بحث قضية الجيم فى بحوث مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٢ ص ١٠٧

ولقد دعت الحضارة منذ القدم ، بل ودعت آداب الإسلام إلى خفض الصوت ، مما ترتب عليه أن شاعت الأصوات المهموسة في البيئة العربية المتحضرة : قال تعالى : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير » ، وقال : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » ، وقال : « إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » وقال تعالى يخاطب الأعراب « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » ، فكل هذه الآيات الكريمة تدعو الناس ولا سيما البدو منهم إلى خفض الصوت . وروى أن رجلا من بني العنبر من تميم جاء إلى النبي وأخذ ينادى عليه بصوت مرتفع أجش فنزل قوله تعالى : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

وبما لاحظته المحدثون من علماء الأصوات أن النساء بصفة خاصة يملن إلى همس الأصوات وهو ما يتفق وطبيعتهن .

« فالسين » عند الحضريين قد ينطق بها « زايا » عند البدو ، « والتاء » عند الحضريين قد ينطق بها « دالا » عند أبناء البدو ... وهكذا . هذا إلى أن الأصوات المهموسة تتطلب جهداً أكبر في التنفس ، مما لا يتفق وطبيعة البدوى الهادىء الوداع الذى يقصد فى كل حركاته وسكناته . فما تحتاجه عبارة مثل « سكت شخص » من تنفس حين النطق بها أكثر مما تحتاجه عبارة مثل « زرع رجل » لأن كل أصوات العبارة الثانية مجهورة ، فى حين أن كل الأصوات الساكنة فى العبارة الأولى مهموسة .

ولاشك أن البيئة الصحراوية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافة شاسعة لا يعمقها عائق ، ولا يحول دونها حائل ، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بطرق عدة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحاً فى أذن السامع . لهذا

نلاحظ أن لهجات القبائل البدوية تميل إلى جهر بعض الأصوات ، في حين أن غيرها من قبائل الحضرة تبقى على همسها :

(١) فمثلاً روى عن هذيل أنهم يقلبون في لهجاتهم « الحاء » « عينا » ، فيقولون مثلاً « اللحم الأحمر أعسن من اللحم الأبيض » ، أى اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض ! وبلهجتهم روى أن ابن مسعود قرأ « عتي » في « حتى » ، فأرسل إليه عمر رضى الله عنه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرىء الناس بلغة قريش ! . ومثل هذه الرواية عن عمر بعيدة الاحتمال لأنها تناقض التفسير في القراءات القرآنية ، كما تخالف ما روى إليه الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون ، وما تميل إليه ألسنتهم ، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم كل لهجة هذيل في هذه القراءة .

وقد سمي القدماء هذه الظاهرة الصوتية لفحة هذيل .

على أننا نشك في نسبة هذه الظاهرة لهذيل : وذلك لما نعرفه عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالاً روحياً تجلى فيما رواه صاحب كتاب الأصنام من أنه كان لهذيل صنم على الساحل يسمى « مناة » وهو الذى ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله : « ومناة الثالثة الأخرى » . وكانت قريش تقدس هذا الصنم مع هذيل ، كما كانت هذيل تقدس « هبل » صنم قريش . هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة . بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك في وصف القدماء لهذه الظاهرة ، فكلمة « الفحفة » إذا نظر إليها في ضوء مصطلحات الكشكشة والمجمعة ، نرى أن الحرف الثانى في كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه . وكان مقتضى هذا أن يكون معنى « الفحفة » قلب العين إلى الحاء لا المكس . فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء لأمكن القول إن قبيلة هذيل المتأثرة ببيئة حضرية

قد قلبت صوتاً مجهوراً وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء . فنحن بين أمرين : إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء ، أو نغير نسبتها لهديل وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم .

ومما يبعث على الشك في نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود أنه روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة - ، أى قلب العين إلى حاء في قوله تعالى : [قالوا نعم] قرأ ابن مسعود [قالوا نعم] ^(١) .

أما قراءته [إذا بثر مافى القبور] إذا بثر ، فسيبه يرجع إلى أن الثاء المهموسة قد أثرت في العين وجعلتها مهموسة أيضاً . وحين تهمس العين تصبح حاء .

ويربط بعض الدارسين من المحدثين بين كلمة « حتى » التي قيل إن ابن مسعود قرأها « عتي » وبين الكلمة « عدى » الموجودة في بعض اللغات السامية وفي العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية « عد » بمعنى حتى .

فالحاء تقابل العين ، والثاء تقابل الدال . أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة إحداهما تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيرهما من الجهورات . وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة للشتملة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية .

ولا تكور هناك ظاهرة عامة تدعى الفحفحة ، بل إن الأمر لا يعدو أن يكون مثلاً واحداً أو كلمة واحدة رويت بصورتين .

(ب) نسب القدماء لتمييم وقيس عيلان ظاهرة صوتية سموها « العنقنة » وهى قلب الهمزة المبدوء بها « عيناً » ! وأنشد يعقوب :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لا بد عن ستصيرها

وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم
أراد الشاعر في البيت الأول « لا بد أن » ، وفي البيت الثانى « أن أن
ترسمت » .

وقد جاء فى رواية نسبت إلى الفراء قال :

إن بنى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف « أن » إذا كانت
مفتوحة « عيناً » فيقولون :

أشهد عنك رسول الله

فإذا كسروا رجعو إلى الهمزة !

فنحن نرى من هذه الروايات أنها جميعاً تجمع على قلب الهمزة المبدوء بها إلى
« عين » ، ثم قيد هذا فى رواية الفراء بأن تكون الهمزة مفتوحة ! ومثل هذا
الاضطراب فى الرواية ليس له من سبب سوى أن استقراء الرواة لأمثلة هذه
الظاهرة الصوتية كان ناقصاً ، وأن الأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكماً
خاصاً مبنيّاً على مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقى الحالات . فاشتراط
البدء بالهمزة ، أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية . وإنما
الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل وكلها من البدو
كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع ، أيا كان موضعها من
الكلمة ، وبأية حركة تحركت .

ويحسن إذن أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت ؛ لأن الهمزة ليست
من الأصوات المجهورة أو المهموسة ، إذ خرجها الزمار نفسه ، ولا عمل اللوتين
الصوتين معها . وقد وصفناها قبلاً بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن
أشدّها ، وأن أهل البادية يحققونها فى لهجاتهم . فحين يبالغ فى هذا التحقيق ويراد
أن تكون أوضح فى السمع ، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها

مخرجاً وصفة ، وأقرب أصوات الحلق إليها هو « العين » ؛ لأن « العين » صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً .

ويؤيد ما نذهب إليه أن هذه الظاهرة لاتزال شائعة في بعض اللهجات الحديثة التي تتأخم الصحراء . وقلب الهمزة « عيناً » في هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها بحركة مخرجة خاصة .

فنحن نسمع حتى الآن في كل مدن تهامة من يقولون [عالة] بدلا من [آلة] ، [العام] بدلا من [الإمام] .

ومن أمثلة العنونة التي رواها الأصمعي في وسط الكلمة [دأَم الحائط] = دعمه [،] [التأرض للشئ] = التعرض له [،] وفي آخر الكلمة [كنأ اللين] = كنع [(١)] .

ويظهر أن هذه الظاهرة لاتعدو أن تكون أقصى مراحل التحقيق للهمز . انظر إلى قول صاحب تهذيب اللغة (٢) [ومن تحقيق الهمز قولك يازيد من أنت كقولك « من عنت » ، فإذا عدلت الهمزة إلى التخفيف قلت يازيد من أنت فكأنك قلت « مننت » لأنك أسقطت الهمزة من أنت وحركت ما قبلها بحركتها] .

ويدل هذا على أن تحقيق الهمز كانت له صور مختلفة ، فقد قال الأزهري : « ومن تحقيق الهمز » أى أن هذا نوع معين من التحقيق وصفه لنا مكتوباً بالعين ، فكان الهمزة حين يبالغ في تحقيقها تصبح عيناً .

ويقول ابن دريد إن بنى تميم عندما يحققون الهمزة يجهلون بها عيناً (٣) .

فالتسهيل الهمز مراحل : سقوطها من الكلام ، ثم قابها إلى حرف مد ، ثم تسهيلها بما يسمى بين بين .

(١) أمالي القاني ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) جزء ١٨ صفحة ١٤٣ مخطوط . (٣) الجمهرة ج ١ ص ٢٣٧ .

ولتحقيق الهمز مراحل : أن ينطق بها النطق المألوف لنا ، ثم أن ينطق بها شبيهة بالعين .

وقد ذكرنا آنفاً أن الهمزة مالت إلى التسهيل في اللهجات الحضرية ، ومالت إلى التحقيق في اللهجات البدوية :

(١) فأهل المدينة كانوا يقولون « بدينا » بدلا من « بدأنا » ، وكانوا يقولون « كحضر » بدلا من « الأحمر » .

(٢) ويما يقول أهل الحجاز « جبريل » ، يقول بنو تميم « جبرئيل » .

(٣) وقراءة الكوفة « أئمة » بهزتين ، في حين أن أكثر القراء ولا سيما الحجازيين منهم « أئمة » .

(٤) كانت عقيل البدوية تهمز [الجؤنة والمؤسى والحؤت] بدلا من النطق الشائع بغير همز .

(٥) « السودد » الشرف ، وقد تهمز وتضم الدال أى « السودد » وهى لغة طي . كما يقول الأزهرى .

(٦) هناك قصة يسوقها أصحاب المعاجم ، ويشتم منها أن النبي صلعم كان لا يهزم أحيانا . فقد جاء باللسان فى مادة « دفا » ما نصه : [أدفأت الرجل إدفاء إذا أعطيته عطاء كثيرا ، والدفء العطية ، وأدفأت القوم أى جمعهم حتى اجتمعوا ، والإدفاء القتل فى لغة بعض العرب . وفى الحديث أنه صلعم أتى بأسير يرعد ، فقال للقوم اذهبوا به فآدقوه ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله صلعم ، أراد الإدفاء من الدفء وأن يدفأ بثوب ، فحسبوه بمعنى القتل فى لغة أهل اليمن ^(١)] .

أما أن الرسول من قريش وأن لهجة قومه كانت تميل إلى تسهيل الهمز ، فهذا مما لا جدال فيه . ولكننا نتردد قليلا أمام هذه الرواية ، ونسائل أنفسنا : كان

(١) ينسب صاحب المختص هذه اللغة لجهة .

صلعم يلجأ أحياناً إلى الحديث بلهجات الخطاب ، أم كان يلتزم في كلامه تلك اللغة النموذجية التي ألفناها في الآثار الأدبية والقرآن الكريم ؟

يبدو أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمو بكلامه فوق المستوى العام لقومه ، فقد أوتي من الفصاحة في القول والبلاغة في الأسلوب ما لم يؤت غيره ، حتى يمكن أن يقال إنه كان في الذروة إذا قيس بمن حوله من فصحاء قريش ، فكان لا ينطق إلا بسحر القول ورائع البيان ، وكان مزوداً بفيض رباني جملة أقدر العرب على التعبير بما شاء تعبيراً سامياً تنزهه عن صفات اللهجات ، وخلا من كل ما ينم عن بيئة معينة . فقد سيطر على اللغة الأدبية النموذجية سيطرة تامة ، وملك زمامها حتى أصبحت له وحده لغة سليقة ، لا يعتمد إليها عمداً ولا يتكلف القول بها ، بل تنساب إليه عباراتها انسياً ، وتواتيه منقاداً إليه كلما هم بطلبها . فكيف مع هذا يروى عنه أنه صلعم قد نطق بقول فيه صفة من صفات لهجة قومه وهي تسهيل الهمز ؟

ولكن العظماء يتنزلون أحياناً إلى مستوى الناس في خطابهم ، ويتبسطون معهم في الحديث ، ويخاطبونهم على قدر مستواهم اللغوي ، وهو ما كان يقوم به صلعم في القليل من الأحيان حين يفد إليه جماعة من البدو ليكلموه ، ويشرح إلى العامة من الناس أمور دينهم ، حينئذ نستطيع أن نتصور أنه صلعم كان يعود إلى سليقته الأولى وهي لهجة قريش ، فيخاطبهم بصفاتها ، ويشتمل كلامه على بعض من خصائصها .

وليس يعقل أنه صلعم كان على علم تام بكل خصائص اللهجات العربية القديمة بحيث يكلم كل قبيلة بحسب لهجتها ، ولكنه لكثرة تجوابه وأسفاره كان يعرف القليل من صفات تلك اللهجات ، أو بعبارة أدق المشهور من تلك اللهجات : فإذا وفد عليه جماعة من قبيلة اشتهرت بأمر معين في لهجتها ، كان يلتمس شيئاً مما يعرفه عن تلك اللهجة ، ويخاطبهم بها تأليفاً لقلوبهم وتنزلاً إلى (٨٢ - اللهجات)

مستواهم ، ولا تكاد تعدو مثل هذه المعرفة عبارات مشهورة تستعمل في التحية أ الترحيب ، أو كلمات معينة لا يعرفون غيرها في لهجات كلامهم . لا نستطيع إذن أن نتصور أنه كان يعرف دقائق تلك اللهجات ، وخصائص كل لهجة معرفة الدارس لها ، والواقف على كل شئونها . فلم يكن هذا من مهمة الرسل ، ولم يكن هذا ينتظر منه مع وجود اللغة المشتركة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم والتي كانت القبائل تتطلع إلى مستواها ، ويعمل الخاصة منهم على إتقانها .

فإذا تصورنا أن الذين أتوا له بالأسير كانوا من العامة وأنه صلعم رأى أن يخاطبهم على قدر مستواهم ، فكيف تأتى أن يخاطبهم ، وهم من الين على رأى قوم أو من جهينة على رأى آخرين ، بصفة من صفات لهجة قريش ؟ إن الحادث وملابساته وما صحبه من المفاجأة برجل ذليل مسكين يرتعد فرقا ، لما يحمل صاحب الرسالة ذا القلب الشفيق الرحيم ، يتأثر بمنظره وينطلق من فوره متحدثا بسليقته الأولى التي ألفها ونشأ عليها قبل الرسالة وهى لهجة قريش ، فكأنما قد نسى في مثل هذا المجال سليقته الثانية وهى اللغة النموذجية المشتركة . أو يقال إن العظيم حين يريد النزول إلى مستوى المخاطب لا يخاطبه بصفات من لهجة هذا المخاطب ، وإنما يخاطبه بصفات من لهجة هذا العظيم : ولتصوير هذا نفترض أن وزيراً مصرياً يزور بعض جهات الصعيد في مصر ، وقد صادفه في تجواله جماعة من الناس من أهالى تلك الجهات ، فأراد أن يتبسط معهم في الحديث ، نراه حينئذ ينطق مثلاً بالقاف همزة كما تعود هو النطق بها في لهجة القاهرة ، رغم أنه يسمعون ينطقون بها « جيما » غير معطشة . ولا ياجأ مطلقاً في مثل هذا المجال إلى القاف الفصيحة التي قد تظهره بمظهر المتعالى عليهم ، أو البعيد عن مستواهم .

فخلص من كل ما تقدم إلى أن البدوى كان يميل في نطقه إلى الأصوات

المجهورة لأنها أوضح في السمع ، وتنسجم مع بيئته وطبيعته .

على أن الأمر ليس مقصوراً على المقارنة بين الجهور ونظيره الهموس في نسبة

الوضوح السمعى . فقد نجد صوتين مجهورين ولكن أحدهما أوضح فى السمع من الآخر ، أو صوتين مهموسين وأحدهما أوضح فى السمع من المهموس الثانى ، هنا أيضاً نلاحظ أن البدو بوجه عام يميلون إلى المجهور الأكثر وضوحاً ، أو إلى المهموس الأكثر وضوحاً . فإذا قارنا النون والياء وجدناهما مجهورين وعرفنا أن الياء أوضح فى السمع من النون . ولهذا لا ندهش أن تروى لنا الكلمة بالياء منسوبة لقبيلة بدوية ، وبالنون منسوبة للحضر . فكلمة «إنسان» قد روى لنا أنها نطق بها «إيسان» عند طيء البدوية .

كذلك إذا قارنا بين صوتين مهموسين ووجدنا أحدهما أوضح فى النطق من الآخر ، تصورنا أن الكلمة حين تشتمل على المهموس الأكثر وضوحاً فى السمع تنتمى إلى بيئة بدوية مثل :

« تلم » عند تميم ، وعند غيرهم « تلفم » بالفاء ؛ وكذلك « الأثافى » روى أن بنى تميم كانوا ينطقون بها « الأثافى » .

ولاشك أن الثاء أوضح فى السمع من الفاء رغم أنها مهموسان .

٥ - التأثير بالأصوات المتجاورة :

تحدثنا آنفاً عن ظاهرة الأصوات المتجاورة وتأثير بعضها فى بعض ، وأن مثل هذا يشيع فى البيئات البدوية بصفة خاصة ، فى حين أن البيئة الحضرية تعمل على تحقيق الأصوات ، وتحول عادة دون تأثيرها بعضها ببعض فى أثناء النطق .

ولعل خير مثل يساق لتوضيح هذه الظاهرة ما روى لنا من أن « الميم » قد تقلب إلى « باء » حين تكتنفها الكلمة الواحدة أصوات مجراها إلفم ، وأن « الباء » قد تقلب إلى « ميم » حين يكتنفها أصوات مجراها الألف . وقد نسب الرواة لهذه الظاهرة لقبائل معينة فى حديث طويل يتلخص فيما يلى : —

(١) روى أن بعض القبائل العربية كانوا يقلبون فى لهجاتهم « الميم » إلى

« باء » و « الباء » إلى ميم ! وقد نسب الرواة هذه اللمحة إلى « مازن » من ربيعة ، كما نسبت إلى بكر بن وائل وهي من قبائل ربيعة كذلك ، ثم يروون قصة طريفة لا بأس من إيرادها هنا وهي :

« روى المبرد أن بعض أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني إمام الصرفيين في زمانه ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك . قال فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذه المنفعة ، مع فافتك وشدة إضاقتك ؟! فقال : هذا الكتاب يشتمل على ثمانمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن منها ذمياً غيرة على كتاب الله وحية له . قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الوائق بالله بقول العرجي :

أظلم إن مصابكم رجلا أهدي السلام تحية ظلم

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب « رجلا » ، فمنهم من نصبه ومنهم من رفعه ، والجارية مصرّة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقبها إياه بالنصب . فأمر الوائق بإشخاصه . قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه ، قال : بمن الرجل ؟ قلت من بني مازن . قال : أي الموازن ، أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة . قلت مازن ربيعة . فكلمني بكلام قومي وقال : « باسمك » ؟ لأنهم يقابون الميم باء والباء ميم ! قال فكهرت أن أجيبه على لغة قومي كيلا أواجه بالكر . فقلت بكر يا أمير المؤمنين ! ففطن لما قصدته وأعجب به . ثم قال : ما تقول في قول الشاعر : « ظلم إن مصابكم رجلا ؟ أترفع رجلا أم تنصبه ؟ فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين . فقال : ولم ذلك ؟ فقلت إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم . فأخذ اليزيدي في معارضتي ، فقلت هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيدا ظلم ، والدليل عليه أن الكلام يعاق إلى أن تقول : « ظلم » فيتم . فاستحسنه الوائق وقال : هل لك من ولد ؟ فقلت : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين . قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فقلت أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتا لا ترم عندنا فإننا بخير إذا لم ترم
أرانا إذا أضمرتك البلا د نجفى وتقطع منا الرحم
قال : فما قلت لها ؟ قال قلت قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
قال : على النجاح إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما .
قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة ، قال لى كيف رأيت يا أبا العباس ، ردنا الله
مائة فموضنا ألقا .

نحن هنا أمام رواية غربية لاتبررها القوانين الصوتية . فليس هناك لهجة من
لهجات اللغات فى العالم تلتزم قلب كل ميم إلى باء والعكس ، لأنها عملية متناقضة
لامبرر لها . بل يكون من المغالاة أن نفترض أن لهجة من اللهجات تلتزم قلب
أحد هذين الصوتين إلى الآخر .

حقاً أن هناك علاقة صوتية بين « الميم » و « الباء » إذ كلاهما صوت شفوى ،
ولكن مثل هذه العلاقة وحدها لا يكفى مبرراً لمثل هذه الظاهرة . نعم إن من
لهجات العالم ماتتضمن شيئاً من هذه الظاهرة ، وذلك حين نلاحظ قلب « الميم »
« باء » فى بعض المواضع ، أو « الباء » « ميا » فى مواضع أخرى ، ولكن
هذا مقيد بوجود « الميم » أو « الباء » فى مواضع خاصة من الكلمات ، وأن
يكتنفها أصوات خاصة تساعد على هذا الانقلاب .

فليست المسألة قاعدة مطردة فى كل « ميم » وفى كل « باء » .

فنحن فى تحقيق هذه الرواية بين أمرين :

١ — إما أن نشطرها شطرين : الشطر الأول وهو قلب الميم باء ، والشطر
الثانى هو قلب الباء ميا ، ثم ننسب كل شطر إلى قبيلة خاصة أو لهجة خاصة .

٢ — أو ألا ننسب هذه الظاهرة لبيئة خاصة ، وإنما ننظر إليها على أنها مما
يعرض للأصوات من تطور وتغير .

وعلى الرأى الأول وهو نسبة شطر من هذه الظاهرة إلى لهجة خاصة نرى أن القبيلة التى يمكن أن يشيع فيها قلب « الميم » « باء » ، قبيلة من القبائل البدوية التى تميل إلى الأصوات الشديدة ، والتى لم تتأثر بعنصر أجنبي عن اللغة العربية ، لأن « الباء » تختلف عن « الميم » فى شيتين : أحدها أن « الباء » صوت شديد ، وثانيهما أن مجرى النفس معها من الفم ، فى حين أن مجرى النفس مع « الميم » من الأنف ، وأنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين أى ليست بالشديدة ولا الرخوة .

أما الشطر الثانى وهو قلب « الباء » « ميم » فهو انتقال من صوت شديد إلى صوت متوسط هو أحد الأصوات المائة « Ligids » ، وربما كان هذا مما ينسب إلى بيئة بدوية أخرى .

والموارن كما اتضح لنا من القصة السابقة ثلاثة : مازن ربيعة ، ومازن تميم ومازن قس .

وعلى هذا يمكن أن ننسب لمازن ربيعة قلب « الباء » « ميم » ، وأن ننسب لمازن تميم أو قيس قلب « الميم » « باء » .

على أنه حتى فى هذا يجب ألا يعد هذا الانقلاب بمثابة ظاهرة مطردة ، نجدها فى كل « ميم » وفى كل « باء » ؛ بل يكفى أن نقول إن مازن ربيعة كانوا يقلبون « الباء » « ميم » فى بعض المواضع ، وإن مازن تميم كانوا يقلبون « الميم » « باء » فى بعض المواضع أيضاً ، وبشروط خاصة فى كل من الحالين ، وإلا ترتب على اطراد مثل هذه الظاهرة أن نجد لهجة من اللهجات العربية خالية من الميمات أو الباءات !

وعلى الرأى الثانى وهو الراجح فيمكن أن نفسر هذه الظاهرة على أنها لا تخص بقبيلة ما ، وإنما قد صادف أن سمعها بعض الرواة من قوم من مازن [أيا كانت مازن هذه] فنسبها إليها ، ثم جرى المؤلفون بعده على هذا ، دون تحقيق أو نظر فى صحة هذه الرواية .

والحقيقة أن مثل هذه الظاهرة مما يمكن أن ينسب إلى أية لهجة من اللهجات المنعزلة ، لاعلى أنها مطردة بل مقيدة بشروط خاصة .

وهذه الظاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة التي لا يجد فيها الطفل فرصة كافية لإصلاح أخطائه ، فيشب عليها وتصبح فيما بعد نطقاً جديداً في جيله .

فلنتصور بيئة منعزلة اجتماعياً أو غير مستقرة على حال ، لا يجد فيها الأطفال من رعاية الآباء ما يستحقونه ، وذلك لانشغال الرجال بأمور الحرب أو السفر في تجارة زمناً طويلاً ، كما أن النساء منصرفات عن أبنائهن بشئون الحياة العسيرة الشاقة ، ولا يجدن من الوقت مع ما هن فيه من مشقة وعسر ، ما يكفي للنظر في شئون أطفالهن والتحدث إليهن حديثاً هادئاً وادعاً يصلح من نطقهم ويرشدهم إلى طريق الصواب .

هنا نرى الأطفال ، ولما تكمل مراحل نطقهم ، يلزم بعضهم بعضاً ، ويتحدث بعضهم إلى بعض ، ونرى الطفل الكبير فيهم يأخذ مكان الأم أو الأب في تعليم الآخرين والتأثير في نطقهم . فإذا شب هذا الجيل الجديد احتفظ في لهجته ببعض أخطاء الطفولة التي تصبح فيما بعد عنصراً معترفاً به في لهجتهم ، وظاهرة من ظواهرها ، وتلك هي سنة التطور اللغوى . فما كان يعدّ بالأمس خطأ تنفر منه الأذان أصبح اليوم صواباً في جيل جديد من المتكلمين .

وليست تقتصر أخطاء الأطفال على ما يتعلق « بالميم » « والباء » ، بل هي أعم من هذا وأشمل ، ولها ظواهر كثيرة تحدثنا عن بعضها آنفاً .

فما يعرض « للميم » أو « الباء » في أخطاء الأطفال ليس إلا مثلاً منها . ومما أيدته تجارب المحدثين من علماء الأصوات أن الأطفال بصفة عامة يميلون إلى قلب أى صوت من أصوات الفم إلى نظيره من أصوات الأنف في بعض الأحيان ، كما أنه قد يحدث العكس عند الأطفال قبل أن تتم مراحل نمو لغتهم . لأن الطفل

في نطقه يتلمس أيسر الطرق ، وما لا يكلفه جهداً عضلياً . وهو لهذا لا يميل إلى الجمع بين صوتين أحدهما مجراه الأنف « كاليم » و « النون » والآخر مجراه الفم كباقي الأصوات . ولهذا يميل إلى جعل مجرى الصوتين اللذين من هذا النوع ، إما من الفم فقط ، أو الأنف فقط .

لهذا قد نسمع بعض أطفالنا في المراحل الأولى يقولون في « تين » « نين » . ففي هذا المثال جهر الطفل أولاً « بالباء » فأصبحت « دالا » ثم جعل مجرى الدال من الأنف فصارت « نوناً » . كما قد نسمع بعض أطفالنا يقولون في « موز » « بوس » فقد قلبت الميم هنا إلى نظيرها من أصوات الفم وهو « الباء » . ومثل هذا يمكن أن يقال في نطق بعض أطفالنا للكلمات الآتية :

دبان ، جبل ، بلكونة ، بنطلون

على الأوجه الآتية بالترتيب :

دمان ، جبل ، ملتونة ، منطلون

فإذا شب الأطفال في بيئة غير مستقرة ، ولم يجدوا من يصلح لهم مثل هذه الأخطاء ، فقد تصبح الكلمات الأخيرة مستعملة في لفهم مقبولة في جيلهم ، تكون عنصراً جديداً في اللغة .

فمن المحتمل أن بعض كلمات اللغة العربية التي اشتملت على «ميم» أو «باء» ، قد تعرضت لمثل هذه الظاهرة من أخطاء الجيل الناشئ في قبيلة من القبائل . فلما جاء جامعو اللغة وسمعوا تلك القبيلة تنطق « بالميم » في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بها « باء » ، ظنوا أن تلك القبيلة تلتزم هذه الصيغة في كل الكلمات ، وكذلك العكس حين سمعوا قبيلة تنطق « باء » في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بهذه « الباء » في تلك الكلمات « ميا » ، ظنوا أن من القبائل العربية من يلتزمون قلب « الباء » « ميا » وهكذا .

وبمثل هذا الشرح يمكن أن ننظر إلى جميع الكلمات العربية المشتركة

المعاني والأصوات ، والتي لافرق بينها سوى أن مكان « الميم » في بعضها ،
« باء » في البعض الآخر ، أو أن مكان « الباء » في بعضها ، « ميم » في البعض
الآخر . مثل :

قامطة = قاطبة . كمح = كبج
الطمش = الطبش . ثلمه = ثلمه

(ب) أما الظاهرة الثانية التي توضح تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض
فهي ماسماه الرواة بالكشكشة أو الكسكسة .

فقد أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبايل ربيعة سموها أحياناً بالكشكشة
وحيناً آخر بالكسكسة . ثم اختلقوا في تبيانها ، فقالوا مرة إنها قلب كاف المؤنثة
شيئاً أو شيئاً في حاله الوقف ، وفي موضع آخر قالوا إن هذه « الشين » أو « السين »
لا تحمل محل كاف المؤنثة ، وإنما تلحق بها في حالة الوقف . وضربوا لهذه الظاهرة
أمثلة من نثر وشعر فقالوا :

منش = منك . عlish = عليك

وروا الشاعر هذا البيت مخاطباً به الظبية :

فعيناش عينها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق
وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجارتها :

ارجعى وراءش فإن مولاش يناديش

ثم زعم بعض الرواة أن الكاف مطلقاً سواء كانت مؤنثاً أم مذكرة تقلب
شيئاً في لهجة ربيعة فيقولون :

منس = منك

كما نسب بعض الرواة قلب الكاف مطلقاً إلى شين في لهجة من لهجات اليمن .

وقد سمع بعضهم في عرفة يقول :

« لبيش اللهم لبيش »

وسموا هذه الظاهرة بشنشة اليمين . ثم زعم الرواة في مواضع أخرى أن الكشكشة في لهجة ربيعة هي أن يقفوا على الكاف المؤنثة بزيادة « شين » فيقولون مثلاً : « استجرتُ بكش » .

وقال آخرون إن ما ينسب إلى ربيعة هو « الكسكة » فيقفون على الكاف مطلقاً بزيادة « سين » !! ونقل الحريري أن « الكسكة » لبكر لا لربيعة ، وقصرها على زيادة « السين » في حالة المؤنثة فقط . وفي موضع آخر نسبت هذه الصفة لتميم أو أسد ... الخ .

ألا ترى معي أننا هنا أمام روايات متناقضة لما يبدو كظاهرة واحدة ؟ ! ونحن حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية نستطيع أن نستخلص أموراً :

- ١ — يظهر أن « الكسكة » التي تنسب لربيعة ليست إلا « الكشكشة » بالشين ، وقد رويت مصحفة ، فلا يعقل أن كلا من « الكشكشة » و « الكسكة » يمكن أن ينسب إلى قبيلة واحدة هي ربيعة .
- ٢ — أن ظاهرة الكشكشة أو الكسكة مقيدة بكاف مكسورة لما سنده فيما بعد .

٣ — ليست الكشكشة أو الكسكة مقيدة بحالة الوقف ، وإنما تصادف أن الكاف فيما روى من أمثلة كانت في آخر الكلمة أو الجملة .

- ٤ — لا بد في الكشكشة أو الكسكة أن تحل « الشين » أو السين محل الكاف ، ليمكن أن تمد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات . إذ ليس هناك ما يبرر أن تتصل الكاف بصوت آخر في حالة الوقف ، بل الأقرب إلى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر ، لما سنده من الأسباب .
- — أن ما خيل للقدماء أنه « شين » ليس « شيناً » خالصة كتلك التي

نعمدها ، وماظنوه « سيناً » ليس كالسين التى تألفها .
الآن وقد جردنا هذه الروايات مما قد لحق بها من تشويه ، علينا أن نشرح
هذه الظاهرة على حقيقتها فى ضوء ما تقرره طبيعة الأصوات وقوانينها .
وصل العلماء فى مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية
إلى قانون صوتى سموه « قانون الأصوات الحنكية » فى أواخر القرن التاسع عشر .
وليس يعنينا هنا شرح هذا القانون شرحاً مسهباً ، وإنما ينبغى الإشارة إلى عنصر
منه يلقى ضوءاً على ما نحن هنا بصددده . فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك
« كالكاف » و « الجيم » الخالية من التعطيش ، تميل بمخرجها إلى نظائرها من
أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامى (كالكسرة) . لأن صوت اللين
الأمامى فى مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك فتنتقل
إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصول الثنايا العليا . ولهذا وجدت بعض
الكلمات الهندية — الأوربية التى كانت تشتمل على « الكاف » ، قد
تطورت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسط الحنك الذى ينطق به كما
ينطق الصوت الأول فى الكلمة الإنجليزية « Chicken » أى « تَش » .
وهذا الصوت الذى قد ينجيل إلى بعض السامعين أنه مكون من صوتين ، ليس
فى الحقيقة إلا صوتاً واحداً كما برهنت التجارب الحديثة فى علم الأصوات ،
ويسمى الحدثون هذا الصوت وأمثاله « Affricative » . ويتكون هذا الصوت
الواحد من عنصرين : أولهما ينتمى إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء
وثانيهما إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين .

وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء فى تلك الظاهرة التى سموها
« الكشكشة » ، كما أنه هو نفس الصوت الذى لا تزال نسمعه فى بعض اللهجات
الحديثة بمصر ، مثل لهجة بلدتى شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية
الشرقية ، حين ينطقون بمثل هاتين الكلمتين :

كَلْب ، كِتَاب

ويبرر قلب الكاف إلى هذا الصوت أن يليها كسرة أو فتحة مرققة ،
 « أى صوت لين أمامى » يجتذب مخرجها إلى وسط الحنك . كذلك لا تزال
 نسمع هذه اللهجة فى بعض جهات العراق وفلسطين وسوريا ولا سيما بين البدو .
 فالذين رءوا هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة وقصروها على قلب
 كاف المؤنثة إلى « شين » كانوا أقرب الجميع إلى الصواب ، لأن الكثرة فى
 كاف المؤنثة هى العامل الأساسى فى هذا الانقلاب . أما جعلها فى آخر الكلمة
 وقصرها على كاف الخطاب فى حالة الوقف ، فليس له ما يبرره من الناحية
 الصوتية

فالكشكشة التى عاشت فى بعض اللهجات العربية القديمة ليست إلا ظاهرة
 لغوية شوهدت فى كثير من لهجات العالم ، وهى قلب الكاف التى يليها صوت
 لين أمامى ، أيا كان موضعها فى الكلمة ، إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك .
 وقد روى هذا فى غير كاف المؤنثة فى بعض الأشعار القديمة مثل :

علىَّ فيها أبتغى أبغيش بيضاء ترضينى ولا ترضيش
 وتطَّي ود بنى أيش إذا دنوت جعلت تنئيش
 وإن نأيت جعلت تدئيش وإن تكلمت حثت فى فئيش

حتى تنقى كنفئق الديش

وقد جهد الرواة يتحايلون بالتأويل والتخريج ليبرروا قوله « حتى تنقى
 كنفئق الديش » أى كنفئق الديك ، لأن هذه الكاف ليست للمؤنثة !
 وليست شنشة الين إلا كشكشة ربعية . ويجب نسبة هذه الظاهرة إلى
 القبائل اليمنية البدوية ، وإلى تلك القبائل من ربعية التى توغلت فى البداوة
 كبكر بن وائل .

أما الكسكسة فهى أن تقلب « الكاف » حين تليها الكسرة أو الفتحة

المارقة إلى « تش ». ولا نكاد ندرى شيئاً مؤكداً عن يثتها قبل الإسلام ، بل حين نبحت عنها في اللهجات العربية الحديثة. لا نكاد نعثر على أثر لها ، إلا في لهجة نجد ، فقد سمعت بعض النجديين ينطقون كلمة « عسكري » قائلين « عَسْتَسْرِي » .

والدليل على أن السبب الأساسي في ظاهرة الكشكشة هو وجود كسرة وفتحة مرققة بعد الكاف ، أننا لا نسمع الصوت « تش » حين تكون الكاف مضمومة ، فلا يقول أصحاب هذه اللهجة من المصريين في « كمّ النور » مثلاً « تُشَمّ النور » إلا إذا كسروا الكاف وقالوا « تُشِمّ النور » .

والذي يجعلنا نرجح أن ماسمعه الرواة ليس « شينا » وإنما هو « تش » ، شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة « تش » . ولا يعقل أنها كانت في اللهجات القديمة « شيناً » ثم تطورت في اللهجات الحديثة إلى « تش » ، فليس مثل هذا مما يبرره التطور الصوتي. ولو قد روى لنا أن اللهجات القديمة كانت تنطق « تش » ، ثم رأينا اللهجات الحديثة تنطق بها « شيناً » ، لقبنا هذا واعتبرناه تطوراً .

وهكذا ترى أننا نلتبس من اللهجات الحديثة تفسيراً لبعض الظواهر في اللهجات القديمة .

٦ — الميل إلى التفخيم أو الترفيق :

يبدو أن القبائل البدوية بوجه عام قد مالت إلى أصوات التفخيم ، واشتهر هذا عنهم فاستمسكوا بهذه الظاهرة في نطقهم وتعصبوا لها ، في حين أن القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر قد آثرت الأصوات المارقة . ويتضح هذا مما روى لنا عن ظاهرة مشهورة سماها الرواة بالمعجعة ، كما يظهر هذا بجلاء في معظم ما روى عن موقف كل من البيهتين حيال الأصوات المطبقة : —

١ — اشتهر بين صفات اللهجات العربية ظاهرة أطلق عليها القدماء اسم « العجمجة » . وقالوا عنها إنها قلب الياء جيمًا .

وتعدّ هذه العملية الصوتية انتقالاً بصوت لا هو بالشديد ولا الرخو ، أوفيه بعض الرخاوة وهو « الياء » ، إلى صوت آخر أميل إلى الشدة منه إلى الرخاوة وهو « الجيم » . ولعل هذه الظاهرة من صفات القبائل البدوية التي حرصت على تفخيم « الياء » فصارت « جيمًا » .

وقد نسب القدماء هذه الصفة إلى شعب عظيم هو قضاة . ولكننا نعلم أن قضاة قد تفرعت إلى سبعة أحياء .

بلي . جهينة . بنو كلب . عذرة . بهراء . بنو سهد . جرم

وبين هذه الأحياء السبعة من تأثروا بالحياة الحضرية ، كما أن بينهم من عاشوا عيشة البداوة . وخير من يمكن نسبة هذه الصفة إليه من أحياء قضاة :

جهينة أو جرم

فالعجمجة لم تكن في الحقيقة صفة كل أحياء قضاة ، وإنما يحتمل أنها كانت صفة هذين الحين فقط .

وقد قيد الرواة عجمجة قضاة بأن تسبق « الياء » « بالعين » !! وضربوا أمثلة لهذا مثل :

« الراعي خرج معج » أى « الراعى خرج معى » .

ويظهر أن « الياء » فيما ساقوه من أمثلة لم تكن فى نطق القضاة ياء مدّ ، بل كانت صوتاً ساكناً ، أى أنه كان ينطق بها « الراعى » ، حتى يمكن أن تتصور قلبها إلى جيم .

وقد تسبّت هذه الصفة أيضاً إلى « فقيم دارم » فى قبيلة تميم ، وهو ما يؤيد ما ذهب إليه من احتمال وجود هذه الصفة بين البدو من القبائل . ولم تقيد هذه الصفة بأى قيد حين نسبت إلى « فقيم دارم » ، فقد أنشد أبو زيد :

يارب إن كنت قبلت حجتجْ فلا يزال ساجح يأتيك بجْ
وقال الحماسي :

خالى عويف وأبو عاجْ المطعمان الضيف فى العشجْ
أما العلاقة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية فواضحة جلية ، لأن كلا
منهما صوت مجهور ، ومخرجهما واحد ، وإنما تختلف الجيم عن الياء فى أن الأول
صوت أقرب إلى الشدة منه إلى الرخاوة ، فى حين أن الياء من الأصوات المتوسطة
الشيبة بأصوات اللين ، وليست بشديدة ولا رخوة أو فيها بعض الرخاوة .
وربما قد التجأت تلك القبائل إلى الانتقال بالصوت من صفة اليسر إلى
صفة العسر قصد التغميم فى الكلام ، وهو ما لا نستطيع تصويره إلا بين
قبائل البدو .

علينا بعد هذا أن ننظر إلى ذلك القيد الذى قيدت به لهجة قضاة ، وهو
أن تسبق الياء بالعين !!
فى الحق أنه ليس لهذا القيد ما يبرره من الناحية الصوتية ، اللهم إلا أن
يقال إن كلا من العين والياء من الأصوات المتوسطة فى رأى علماء مخارج الحروف
من العرب ، وتغميم القول يقتضى أن يقلب أحدهما إلى نظيره شديد ، فكانت
الجيم بدل الياء .

ولكن لم كانت العين وحدها دون باقى الأصوات المتوسطة الأخرى من
ميم وراء ولام ؟! هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه الآن لنقص معرفتنا بكل طبائع
اللهجات العربية القديمة .

(ب) أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية فى الأذان ، مما يلائم
طبائع البدو وخشوتهم ، فلا عجب إذن أن تشيع تلك الأصوات فى لهجات البدو ،
وأن تأخذ فى الانقراض من ألسنة المتحضرين .

واللغة العربية بصفة عامة قد مالت فى تطورها إلى التخلص من أصوات

الإطباق ، أى الصاد . الظاء . الضاد . الطاء . إذ نسبة شيوع هذه الأصوات في الأسلوب القرآنى ضئيلة جداً . فنسبة شيوع الصاد ٨ مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة ، والضاد ٦ مرات ، والطاء ٤ مرات ، والظاء ٣ مرات ، في حين أن صوتاً كالنون مثلاً نسبة شيوعه مثلاً حوالى ١١٢ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة .

وقد مالت اللهجات الحديثة إلى التخلص من هذه الأصوات في معظم المواضع . ولقد روى عن تميم أنهم كانوا يقلبون « السين » « صاداً » مع بعض الأصوات المفخمة كأصوات الإطباق ، وكذلك مع القاف والغين والخاء إذا كنَّ بعد « السين » مثل :

سراط = صراط . سخر لكم = صخر لكم
سيقل = صيقل . سبغة = صبغة

ونحن حين نستعرض أشهر الروايات التى جاءت بالمعاجم عن موقف اللهجات القديمة من حروف التفخيم نراها تسكاد تنحصر في أمور ثلاثة :

١ — الصاد والسين : فقد روى أن بنى العنبر من تميم كانوا ينطقون بكلمة « الساق » قائلين « الصاق » . وبنو العنبر ممن توغلوا في البداوة ، ومالوا إلى تفخيم الأصوات . فإذا قارنا هذه الرواية بما روى في مكان آخر عن كلمة « الصقر » ، وأن لها نطقاً آخر غير منسوب هو « السقر » ، أمكننا أن نقسم هذه الظاهرة إلى نوعين : النوع الأول هو أن بعض الكلمات كان ينطق بها بين البدو مشتملة على صوت تفخيم ، وينطق بها في نفس الوقت بين الحضرة مشتملة على نظيره المرقق . وقد عاش النطقان جنباً إلى جنب قبل الإسلام مثل : الساق والصاق . أما النوع الثانى فهو أن الكلمة لم يكن لها قبل الإسلام سوى نطق واحد ورد في نصوص أدبية موثوق بها ، ثم تطورت بعد الإسلام وأصبح لها نطق آخر سمعه الرواة حين جمعوا اللغة . فالصقر هو النطق القديم لهذه الكلمة

ثم تطورت الصاد في بيئة حضرية وأصبحت « سيناً » .

ولا شك أن ماورد في اللسان من قوله : [الصماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تميمية ، والصماخ لغة فيه ... وسمخه سمخاً أصاب سماخه فققره ، ولغة تميم الصمخ] ، يعقبه من النوع الأول ، أى أن « الصماخ » بالصاد كانت تستعمل في بيئة بدوية ، جنباً إلى جنب مع « الصماخ » بالسين في بيئة حضرية .

أما ما روى عن الصراط والسرائط ، فيظهر أن الأصل هو النطق بالصاد بدليل ورودها في القرآن الكريم بالصاد ، ثم تطورت حتى شاع فيها نطق آخر بالسين . فليس الأمر كما ظن بعض الرواة من أن السين هي الأصل . جاء في اللسان : [والسرائط السبيل الواضح والسرائط لغة في السراط ، والصاد أعلى لمكان المضاربة وإن كانت السين هي الأصل ، وقرأها يعقوب بالسين . قال الفراء : ونفر من بنى العنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء . أوقف أو غين أو خاء صاداً] . ولسنا نوافق صاحب هذه الرواية على أن الأصل في الكلمة بالسين ، ولكننا نوافق على أن نطقها بالصاد أفصح ، لأنه الذي ورد في القرآن الكريم ، وأخذ به معظم القراء . وكلام الفراء عن لهجة بنى العنبر صحيح في جملته ، ولكنه لا يمت لهذه الكلمة بصلة ، بل ينطبق على مثل « الساق » و « الصاق » . أما قول صاحب اللسان بعد هذا : [إن النطق بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، وعامة العرب تجعلها سيناً] ، فيجب ألا يؤخذ دليلاً على أن النطق بالصاد مما ينتمي لهجة قريش ، وذلك لأن ورودها في القرآن بالصاد لا يقوم دليلاً قاطعاً على أنها أيضاً لهجة قريش ، فهناك فرق بين لهجة قريش وبين اللغة النموذجية المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم ، ولكن الرواة قد درجوا على اعتبارهما شيئاً واحداً . الأمر الذي نتردد في قبوله الآن .

ويشبه هذا ما حدث لكلمة أخرى هي حسب رواية اللسان [وقد صخب بالكسر يصخب صخباً ، والسخب لغة فيه ربعية قبيحة] . فالأصل هو الصخب ثم تطورت الكلمة وصارت بالسين في بعض قبائل ربعية التي تأثرت ببيئة الحيرة ، ولكن النطق « بالسخب » قد اقتصر أمره على منطقة صغيرة وبين قوم مغمورين ، ولذلك عده الرواة قبيحاً ، أما النطق « بالسراط » فقد شاع بين القبائل ، وجاء جامعو اللغة فوجدوه مشهوراً مألوفاً بل وجدوا من القراء من يقرأ القرآن به ولذلك لم يجعلوه في مستوى النطق « بالسخب » .

بقى بعد هذا أن نسوق ما جاء في اللسان مبرهنًا على أن « السين » قد ينطق بها صادًا حين يكتنفها أصوات معينة قال : [وصقوب الإبل أرجلها لغة في سقوبها حكاهما ابن الأعرابي قال : وأرى ذلك لسكان القاف ، وضعوا مكان السين صادًا لأنها أفشى من السين وهي موافقة للقاف في الإطباق ليكون العمل من وجه واحد ، قال وهذا تعليل سيئويه في هذا الضرب من المضارعة] . أليس هذا هو ما سميناه آنفًا بالمائلة أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؟ غير أنا لا نتفق مع صاحب اللسان حين يزيد على هذه الرواية قوله : [ومنه حديث على عليه السلام أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين حمل إلى أصقب القريتين إليه أى أقربهما ، ويروى الحديث بالسين ، بل ترجح الرواية الثانية للحديث أى بالسين ، لأن صاحب الحديث من قرش فهو ممن تأثروا بالبيئة الحضرية أكثر من تأثره بالبدو .

٢ — الطاء والتاء : فقد كانت القبائل البدوية تؤثر الطاء أحيانًا ، جاء في اللسان [وأفلاطنى الرجل إفلاطًا مثل أفلتنى ، وقيل لغة في أفلتنى تميمية قبيحة] . وجاء في المخصص ^(١) [وقد أبدلت الطاء من التاء في « فعلت » إذا كانت بعد

حرف من حروف الإطباق قال وهى لغة تميم قالوا « فخصطَ برجلك » يريدون فخصت [.

٣ - القاف والكاف : ويستخلص من روايات المعاجم أن البيئة البدوية كانت تؤثر القاف ، فى حين أن البيئة الحضرية قد آثرت الكاف . جاء فى اللسان قشط الجلّ عن الفرس قسطا نزع وكشفه وكذلك غيره من الأشياء ، قال يعقوب : تميم وأسد يقولون قشطت بالقاف ، وقيس تقول كشطت ، وليست القاف فى هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين [. وجاء فى المخصص ^(١)] كشطت عن جلده وقشطت ، قال أبو عبيدة : وقريش تقول كشطت ، وميم وأسد وقيس تقول قشطت [.

فوقف « قيس » من هذه الظاهرة غامض بعض الغموض ، ولكن المناظرة بين تميم وقريش فى رواية صاحب المخصص توضح لنا بجلاء أن المقارنة كانت بين يثتين : إحداهما بدوية والأخرى حضرية ، وأن يعقوبا فى رواية صاحب اللسان قد قصد « بقيس » بعض القبائل الحجازية .

وقد بين لنا يعقوب فى كلامه أن هناك فرقا بين نطقتين عاشا جنبا إلى جنب فى يثتين مختلفتين ، وبين أن يتطور نطق عن آخر أصلى . وهكذا نرى أن من الرواة القدماء من فطنوا إلى ما ندعو إليه هنا من التفرقة بين الكلمات التى تروى بروايتين ، فقد شاع لبعضها نطقان قبل الإسلام وفى صدر الإسلام واختصت البيئة البدوية بأحد النطقين ، واختص الحضر بالنطق الآخر وعاش النطقان فى زمان واحد ولكن فى يثتين مختلفتين ولا ندرى الأصل منهما أو الفرع . وهناك كلمات أخرى ذات نطقين ولكن أحدها يعتبر الأصل ، ويعتبر الآخر تطورا له .

(٥)

السرعة فى النطق

تميل القبائل البدوية إلى السرعة فى نطقها ، وتلمس أيسر السبل ، فتدغم الأصوات بعضها فى بعض ، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع . ولا شك أن حياة السكينة والهدوء فى البادية لا تتطلب نشاطا كذلك الذى قد تحتاج إليه حياة الحضرة ، لما بها من صخب وأمور دينوية معقدة تدفع للمرء إلى حل تلك المشاكل التى كثيراً ما تعترض الحضرة بحكم بيئته ، وخضوعه لنظام من الحكم متعدد القوانين . ولا يستطيع المرء أن يشق طريقه بنجاح فى حياة الحضرة إلا بأن يظهر نشاطاً فى عمله ، وأن يلقي جهداً فى موارد رزقه . أما البدوى الذى يقنع بالقليل ، ويخلد إلى السكينة والهدوء فحياته مليئة بالترخى ، وما يشبه الكسل حتى فى نطقه . فهو يقتصد فى الجهد العضلى وفى التنفس ، ويميل إلى الاختصار فى القول ، لا يكاد يبدأ الكلام حتى ينتهى منه . لهذا كله صبغت لهجات البدو بصفات صوتية خاصة تخالف لهجات الحضرة .

ولذلك نلاحظ فى البيئة البدوية أنه حين يلتقى صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس ، يتأثر أحدهما بالآخر ليصبح الصوتان إما مجهورين أو مهموسين . ويغلب على اللغة العربية أن يتأثر الصوت الأول بالثانى ، فإذا كان الأول مجهوراً والثانى مهموساً أصبح الصوتان مهموسين . فإذا روى لنا أن من اللهجات العربية لهجة يقول أصحابها فى « اجتمعوا » « اشمعوا » ، أدركنا أن الأمر هنا لا يعدو أن يكون قاب « الجيم » المعطشة إلى صوت مهموس ، وذلك لتأثرها « بالتاء » بعدها فأصبح الصوتان بهذا مهموسين . وإذا قيل لنا إن من القبائل من يقلبون « الصاد » حين يليها « دال » إلى « زاي » مطبقة كما فى « أصدق ، يصدون » ،

علمنا أن المسألة لاتزيد على أن تكون تأثر الصوت الأول المهموس بالثاني المجهور فأصبح الصوتان مجهورين ، وهذا هو التأثر الرجعى . أما التأثر التقدمى وهو الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول فهو قايل الشيوع بين اللهجات العربية رغم أن النحاة قد جعلوه قياسياً فى صيغة « افتعل » ، حين تصاغ من بعض الأفعال التى فاؤها صوت مجهور أو مطبق : مثل ازدان واصطبر ... الخ^(١) .

ويكفى دليلاً على قلة شيوع هذا النوع من التأثر ، أن النحاة قد قصروه على أفعال خاصة ، يعرضون لها دائماً فى كتبهم ، ولا تطرد هذه الظاهرة فى كل فعل فاؤه صوت مجهور . ومع ذلك فقد روى لنا أن بعضاً من تميم يقولون فى « معهم » « محم » . ويدل هذا على أن تلك الطائفة من تميم قد أسكنوا أولاً « العين » من كلمة « معهم » ، فالتقت العين والهاء ، وبما أن « العين » صوت مجهور « والهاء » صوت مهموس ، تأثرت العين بالهاء فقبلت إلى نظيرها المهموس وهو الحاء ، وهذا تأثر رجعى شاع فى اللهجات العربية ، ثم لم يقف الأمر عند هذا ، بل تأثر الصوت الثانى وهو الهاء بالأول وهو الحاء تأثراً كاملاً ، وفيت الهاء فى الحاء وصارت الكلمة « محم » ، وهذا هو التأثر التقدمى النادر فى اللغة العربية . فهد المثال التقدمى الذى روى لنا عن بعض من تميم قد مر فى دورين : أحدهما شائع بين اللهجات والآخر نادر .

هذا وقد رويت لنا بعض لهجات غير منسوبة لأصحابها ، منها عرفنا أن التأثر التقدمى قد لعب دوراً هزليلاً فى اللهجات العربية : فقد قيل لنا إن من القبائل العربية من كانوا يقولون فى « اجتمعوا » « اجدمعوا » ، وفى « الكعبة » « الجعبة » . ففى المثل الأول اجتمعت « الجيم » وهى مجهورة بالتاء وهى مهموسة فتأثر الصوت الثانى بالأول وأصبح الصوتان مجهورين ، وفى المثل الثانى اجتمعت

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ١٢٨ الطبعة الثالثة .

اللام وهي مجهورة بالكاف وهي مهملة ، فتأثر الثانى بالأول وأصبح الصوتان مجهولين .

وقد نسب الرواة صفة الشذوذ لمثل هذه اللهجات ، وأنكروا عليها الفصاحة ، لأن الغالب الشائع في التأثر العربي هو ذلك النوع الذى نسميه بالتأثر الرجعى . والتأثر ، أيا كان نوعه ، مما يميل إليه البدو لأن فيه اقتصاداً في الجهد العضلى . على أن أظهر نتائج السرعة في النطق ، هو سقوط بعض الأصوات من الكلمات في أثناء النطق بها .

وبعد هذا أيضاً من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلى ، أو إن شئت فسمه كسلاً ، ولكنه على كل حال يحقق الغرض بين المتكلم والسامع ، ولا يحل بهدف الكلام وهو الفهم ، فقد ينطق البدوى دون تمهل في نطقه ودون انتظار لنهاية الكلمات ، فتصدر عنه الكلمات مبتورة الآخر . وهو لا يحفل بهذا لأن كل ما يرمى إليه هو إفهام السامع ، وقد وصل إلى غرضه مع اقتصاد في الجهد وبطريقة أيسر وأسرع . وهذا هو السر فيما روى لنا من ترخيم النداء ، وفي تلك اللهجة التى سماها القدماء قطعة طيء . ولا بأس أن نورد هنا طرئاً من تلك الروايات التى ظهر فيها سقوط بعض الأصوات نتيجة السرعة في النطق : —

١ — روى أن قبيلة طيء كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون « يا أبا الحكم » ويريدون يا أبا الحكم . وهذه الصفة تشارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة ، إلا أن الحذف في الترخيم وارد على آخر الاسم المنادى ، أما هنا فقد يرد على أى كلمة ، اسماً كانت أو فعلاً ، منادى أو غير منادى . وقد روى الق ماء البيت الآتى مثلاً لقطعة طيء .

درس المنا بمقالع نابان فتقدمت بالحيس والسربان

(أى المنازل)

كما روى قول الشاعر :

تضل منه إيلي بالهوجل في لجة أمسك فلاناً عن فلي
(أى عن فلان)

(٢) ذكر القدماء في معايب الاخلخانية في لهجة الشحر، عمان أنهم قد مالوا
إلى حذف بعض الأصوات، فكانوا يقولون في « ماشاء الله » « مشالله » !
(٣) روى أن قبيلتي خثعم وزبيد من قبائل اليمن، كانوا يميلون إلى حذف
نون « من » الجارة إذا وليها ما كن فيقولون « خرجت من المسجد » !
وقال شاعرهم :

لقد ظفر الزوار أقفية العدا :ـ
أجاوز الآمال ملأسر والقتل
(٤) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يسقطون نون « اللذين » و « اللتين »
وعليه قول الفرزدق :

أبنى كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا
وقول الأخطل :

ها اللتا لو ولدت تميم لقيل فخر لهمو صميم
هذا ولا ندرى كيف وقعت مثل هذه الصفات اللمجية في شعر الأخطل
والفرزدق مع ما نعرف من « رص كل منهما على النظم باللغة النموذجية الأدبية ؟ !
أليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلي :

أبنى كليب إن عمى اللذين قتلا الملوك وفككا الأغلالا
أى أن يروى الشطر الأول منتهياً بما يشبه نون الترم، ولا أظن أن الأذن
الموسيقية تلاحظ حينئذ انحرافاً في وزن البيت .

كذلك يمكن أن يروى بيت الأخطل رواية أخرى تنسجم مع صفات
اللغة الأدبية التي نظم بها الشعراء في كل العصور، ولا تشذ في الوقت نفسه عن
مقاييس الشعر العربي .

على أن هذه الصفة قد نسبت أيضاً إلى قبيلة بلحارث من قبائل اليمن .

(٥) نسب إلى قبيلة بلحارث حذف اللام والألف من « على » الجارة إذا وليها ساكن ، فيقولون (ركبت علفرس) أى على الفرس .

(٦) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يقفون على المنصب المنون بالسكون فبدل أن يقولوا « رأيت محمداً » يقولون « رأيت محمد » .

(٧) روى أن قبيلة طيء كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها « هاء » . وقد سمع بعضهم يقول : « دفن البناء ن المكرمات » أى « البنات من المكرمات » ؟!

وليست هذه الظاهرة في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هي حذف الآخر من الكلمة . وما ظنه القدماء « هاء » متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يسمى عد القدماء ألف المد . وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهى بما يسمى بالياء المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة ، بل يحذف آخرها ، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) ، فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء .

ولقد تطورت تاء التأنيث في اللغات السامية على مراحل ليس هنا مجال تفصيلها ، وإنما يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

(١) الأصل في علامة التأنيث هو التاء المتحركة ، وقد ظلت على حالها في الفعل الماضي وجمع الإناث في اللغة العربية .

(ب) تطورت في الأسماء المؤنثة المفردة إلى حال وسطى وهي : النطق بها تاء في حالة الوصل ، وحذفها في حالة الوقف .

(ج) الطور الثالث لهذه العلامة هو حذفها مطلقاً وصلاً ووقفاً في كل اسم مفرد مؤنث . وقد شاع هذا الطور الأخير في معظم اللغات السامية كالعبرية وفي اللهجات العربية الحديثة . فحين نسمع كلمة مثل « الشجرة » في لهجات

الكلام الآن يخيل إلينا أن التاء المربوطة قد قلبت «هاء»، والحقيقة أنها حذفت من النطق، وامتد التنفس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء .

وعلى هذا فإذا روى لنا أن من القبائل من كانوا يققون على هذه التاء المربوطة «بالتاء»، مثل أولئك الذين سمع عنهم من قال «يا أهل سورة البقرة» فأجابه آخر «ما أحفظ منها آيت». فليس هذا إلا احتفاظاً بالأصل في ظاهرة التأنيث.

وقد احتفظت بعض اللهجات العربية الحديثة بهذا الأصل . وامتداد التنفس الذي يخيل للسامع أنه هاء متطرفة هو في الحقيقة ماسمء القدماء بهاء السكت . وإننا حين نستعرض أحكام هاء السكت كما شرحها النحاة ، نراها تنحصر في الوقف على الكلمة التي تنتهى بصوت لين طويل كما في مثل «البناء والمكرماه»، أو صوت لين قصير كما في الوقف على الاسم المفرد المؤنث بعد حذف تاء التأنيث منه ، وكما في الوقف في الفعل المجزوم بحذف حرف العلة . وما الاستفهامية .

والغالب الشائع في اللغة العربية أن تلتحق هاء السكت أصوات اللين القصيرة (أى الحركات) بشرط أن تكون جزءاً من بنية الكلمة . وعلى هذا لا تلتحق هاء السكت حركة الإعراب ، لأنها لا تلزم صورة واحدة كحركات البناء^(١) .

نرى كل هذا في البيئة البدوية ولا نكاد نعثر على مثله في البيئة الحضرية التي تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية ومن بينها اللغة . فالحضرى يعنى بتخسير لفظه ، وحسن أدائه ، ويعمد إلى نطق كل صوت دون تداخل بين الأصوات . فالجمهور يظل مجهوراً ، والمهموس يحافظ على همسه ، لأن من مظاهر التحضر الباقية في القول وحسن النطق ومراعاة قواعده ، وذلك هو ما شاع في البيئة الحجازية على العموم ، وفي مكة بصفة خاصة .

فلا غرابة أن وصفت قريش بالفصاحة ، ونسب إليها الإحكام في النطق وحسنه . ولا غرابة أيضاً أن اتخذت اللغة العربية التي نظم بها الشعر ، ونزل بها

(١) انظر تفاصيل الوقف في كتاب «أسرار اللغة» للمؤلف صفحة ١٤٢ .

القرآن الكريم ، كثيراً من صفاتها الصوتية من البيئة الحجازية ، أو بعبارة أدق من لهجة قريش ، فتكونت منها اللغة النموذجية التي اعتزت بها كل القبائل ولا سيما الخاصة منهم ، وحافظوا على كل أثر أدبي كتب بهذه اللغة .

وليس معنى هذا أن الصفات الصوتية لهذه اللغة الأدبية هي نفسها الصفات الصوتية لللهجة قريش ، وإنما تشترك معها فقط في الكثير منها .

وتختلف اللغة الأدبية عن لهجة قريش في القليل من الصفات الصوتية ، كتحقيق الهمزة الذي لم يكن شائعاً بين الحجازيين ولكنه يعد أصلاً في اللغة النموذجية التي رويت لنا بها أشهر القراءات ، وقرأ بها أشهر القراء ، وتلقاها الرواة في عصور التدوين معترزين بآثارها فخورين بخصائصها ، فوضعوا لها القواعد الدقيقة ، وجعلوها الأساس الذي يبنى عليه ويقاس عليه ، وعدّوا ما عداها شاذاً . ولكنهم لسوء الحظ قد خلطوا فيما بعد بين هذه اللغة وما سمعوه من قبائل بدوية تعودت أن تغد إلى مدن العراق ، وتعود الرواة أن يرحلوا إليهم . وقد كان الرواة في الأخذ عن تلك القبائل متأثرين بفكرة خاطئة وهي أن كل ما كان يروى عن البادية حتى أواخر القرن الرابع الهجري يحتج به ويرجع إليه .

(لهجات متناثرة)

رويت لنا بعض صفات صوتية لللهجات متناثرة في شبه الجزيرة . وبعض هذه اللهجات منسوبة إلى جهات معينة ، والبعض الآخر لا نعرف لها صاحباً ، بل قد رواها الرواة بمجولة النسب ، مبتورة حيناً ومشوهة حيناً آخر . فلا عجب أن قد اعترى تلك اللهجات في تفسيرها كثير من التحريف أو التصحيف . وسنعرض هنا طرفاً من هذه اللهجات ، دون أن نحاول تحقيق نسبتها إلى قبائلها ،

ولأننا سنكتفى بشرحها وتحليلها على ضوء ما يقرره علم الأصوات اللغوية :

أولاً : المشهور في حرف المضارعة للفعل الثلاثي أن يكون مشكلاً بالفتح في كل الحالات ، بهذا جاء القرآن الكريم ، وهذا هو المؤلف في اللغة النموذجية الأدبية . غير أن الرواة يؤكدون لنا أن كثيراً من القبائل تنطق بحرف المضارعة حين يكون « تاء » أو « نونا » أو « همزة » ، مكسوراً فيقولون مثلاً « تَعْلَمُ » . وقد جاء في اللسان^(١) : [قال أبو عمرو : وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب . وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون « تَعْلَمُ » بالفتح ، والقرآن الكريم عليها . قال وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا « تَعْلَمُ » بالكسر]

ويبدو من كلام اللغويين أن جميع العرب يلتزمون الفتح حين يكون حرف المضارعة « ياء » فيما عدا قبيلة بهراء التي عرفت لهجتها بكسر هذا الحرف مع الياء أيضاً ، وقد سميت هذه الظاهرة بتثنية بهراء . وبهراء هذه قبيلة في قضاة وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام ، فهل تأثرت في هذه الظاهرة بما جاورها من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطردهما كسر حرف المضارعة ؟

على أن الرواة كعادتهم يأبون إلا أن يسوقوا لنا شواهد من الشعر حتى في مثل هذه الظاهرة التي تنتمي إلى اللهجات ولا تمت للغة الشعر بصلة . فقد قالوا إن أحد الشعراء يقول :

لو قلت ما في قومها لم تيشم بفضلها في حسب وميسم

فبدلاً من أن يقول « تَاشِمُ » كسر حرف المضارعة ، ثم سهلت الهمزة فصار الفعل « تِيشَمُ » . ومع هذا لا يصح مثل هذا البيت أن يكون شاهداً على تثنية بهراء لأن حرف المضارعة هنا « تاء » وليس « ياء » !

هذا مثل آخر يدل على أن الرواة كانوا يتخبطون أحياناً في وصف لهجات العرب لنا .

ويظهر أن حركة حرف المضارعة قد خضعت في اللهجات إلى قانون صوتي، وأنه كان لطبيعة فاء الكلمة أثر في شكل حرف المضارعة . فحين كانت فاء الكلمة من حروف الحلق ، مال حرف المضارعة إلى الفتح ، أما في غير ذلك فقد التزم الكسر في معظم اللهجات .

وحين نستعرض اللهجات العربية الحديثة نرى معظمها يلتزم كسر حرف المضارعة ، مما يبرهن على أن هذا هو الذي شاع في معظم اللهجات القديمة أيضاً . على أننا نلاحظ أن بعض اللهجات الحديثة تؤثر الفتح حين تكون فاء الكلمة من حروف الحلق .

ولهذا كله نرجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات . وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية ، غير أن تطوره في لهجات العرب لم يشمل حالة « الياء » لأن الياء المشكلة بالكسر نادرة الشيوع في النطق العربي ^(١) . ولأن الياء مع الكسر أشق منها مع الفتح ، مما قد يتعارض مع حكمة التطور إلى الكسر . لذلك احتفظت معظم القبائل التي تطور في لهجتها شكل حرف المضارعة ، بفتحه حين يكون « ياء » .

أما بهراء فأغلب المظن أنها تبعت اللغات السامية المجاورة لها .

ثانياً : نسب الرواة لقبيلة حمير أنها كانت تقلب اللام في أداة التعريف « ميأ » ، ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مخاطب بعض الحميريين « ليس من امبر امصيام في امسفر » ، وسموا هذا طمطانية حمير .

ونسب الرواة أيضاً إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنهم

(١) أنظر أسرار اللغة للمؤلف صفحة ١٧٨ .

كانوا يقلبون « العين » فى الفعل « أعطى » إلى « نون » فيقولون « أنطى » ، وقد قرئ « إنا أنطيناك الكوثر » وقد سى الرواة هذه الظاهرة بالاستنطاء . وفى كل من هاتين الظاهرتين قد قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف . وقد تقدم القول إن قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف ، أو العكس ، أمر معترف به فى معظم اللهجات ، وأنه فى الغالب نتيجة أخطاء الأجيال الناشئة ، حين يحاولون التوفيق بين مجرى الأصوات ، فيجعلونها إما من الفم أو الأنف فقط .

ولكننا حين نستعرض الأمثلة التى رويت لنا بصدد هاتين الظاهرتين لا نكاد نعثر على مبرر صوتى قوى ، كذلك الذى لاحظناه من قبل فى مثل نطق أطفالنا للكلمتى :

« دبّان » و « بلكونة » حين يقلبونهما إلى « دمان » و « ملتونة » . فكيف تأتى إذن أن قلبت لام التعريف إلى « ميم » وهما لا يختلفان فى الجرى نحسب ، بل وفى الخرج أيضاً ؟؟ وكذلك كيف تأتى أن قلبت العين إلى نون فى « أعطى » مع اختلافهما فى الجرى والخرج أيضاً ؟؟

لهذا كله نرجح أن الرواية مبتورة أو ناقصة ، ولا يستطيع الحكم على مثل هاتين الظاهرتين من مثل أو مثلين رددها الرواة .

وليس هناك ما يمكن أن يبرر هاتين الظاهرتين سوى اشتراك « اللام والميم والنون والعين » فى الصفة ، فكل من هذه الأصوات صوت مجهور متوسط لا هو بالشديد ولا بالرخو . على أنه إذا ما أمكن أن تنلمس أسباباً أخرى فى طمطانية حير ، فمن العسير أن نبرر استنطاء هذيل فى فعل واحد من بين أفعال اللغة . وليس فى مجاورة العين للطاء أمر غير عادى ، فقد رويت هذه المجاورة فى كثير من الأمثلة ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . فلم اختصت « أعطى » بهذه الصفة ، فى حين أنها لم تنسب لأية كلمة اشتقت من المواد الآتية :

« عطش ، عطس ، عطل ، عطر ، عطن ، عطف » ؟ !
ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل « أعطى » ، بل يتعاق بنطق كل « عين » سواء وليها « طاء » أو صوت آخر . ففعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقاً أنفياً ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فسمع العين متمزجة بصوت النون وليست في الحقيقة نونا ، بل هي « عين » أنفمية^(١) . وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل « أعطى » فأشككت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها . ويميل بعض المستشرقين إلى أن أنفية العين كانت صفة صوتية ملازمة لها منذ السامية الأولى . ويفسر « راين » الاستنطاء بأنه لا شأن له بالفعل أعطى ، بل هو فعل سامى آخر معروف في العبرية هو « نطا » بمعنى مد يده إلى ، وقد زادت عليه الهمة أى صار على صورة أفعل^(٢) .

أما في حالة طمطممانية حير فإن أداة التعريف في اللغات السامية قد رويت حيناً « باللام » كما في العربية ، وحيناً آخر « بالنون » كما في العبرية . فقد أجمع المستشرقون على أن أداة التعريف العبرية كانت في الأصل « هـ » . واستدلوا بتشديد أوائل الأسماء المعروفة في اللغة العبرية على إدغام نون « هـ » في الحروف الأولى من الأسماء ، بشرط ألا تكون حروف حلق . فليس بغريب بعد هذا أن تروى أداة التعريف في بعض اللهجات السامية « بالميم » كما في طمطممانية حير ، لأن العلاقة الصوتية بين « اللام والنون والميم » واضحة جلية : فهي أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات السامية ، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبهة بأصوات اللين . ولهذا كانت من أسبق الأصوات في نطق الطفل . فهذه الأصوات الثلاثة أصوات قديمة سبقت في نطق الإنسان الأول غيرها من الأصوات ، وقد استغلت في ظواهر لغوية متعددة ، فهي أحياناً تعبر عن النفي وأحياناً تفيد التعريف فهي مجموعة متميزة بين أصوات اللغة يحل بعضها مكان بعض ، وقد تنقلب جميعها إلى أصوات لين طويلة .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٦٣ .

(٢) Oucient West Arabian. p: 32

ثالثاً : صوت اللين المركب الذى يسميه المحدثون « Diphthong » ، « قدسمة »
 فى اللغة العربية فى أدوار ثلاثة : « ai » أو « au » ، ثم تطور الأول إلى : e
 والثانى إلى : o وأخيراً صار الاثنان : a .
 فى الأفعال المعتلة الآتية :

بان . كان . رمى . سما

بدأت أولاً على الصور الآتية بالترتيب :

بَيْنَ . كَوْنٌ . رَمَى . سَمَوُ
 Samau Ramai Kauna Baina

ثم صارت :

بَيْنَ . كَوْنٌ . رَمَى ، سَمَوُ
 Samo: Rame: Ko : na Be : na

ثم صارت جميعها بألف لين خالصة كما نعهدها الآن . على أن القبائل قد
 اختلفت فى هذا ، فمنها قبائل احتفظت بالطور الأول ، وأخرى وصلت إلى الطور
 الثانى ووقفت عنده ، أما الطور الأخير فهو أحدثها وأفصحها لكثرة شيوعه بين
 القبائل المشهورة ، ولأنه الصفة التى شاعت فى اللغة الأدبية النموذجية ، وهذا هو
 السرى فى الروايات الآتية :

روى أن قبائل بلحارث وخثعم وكنانة تلزم المثنى الألف ، وعلى هذه اللهجة
 قول القائل :

« قد بلغا فى المجد غايتها »

وروى أيضاً أنهم كانوا يقلبون كل ياء بعد فتحة ألفاً فيقولون فى « جئت
 إليك » « جئت إلاك » . وقد قال الشاعر « طاروا علاهن فطر علاها » ، أى
 « عليهن وعليها » .

وهذه اللهجة هى الطور الثالث لصوت اللين المركب ، ولهذا تعد من أحدث
 مظاهر اللهجات العربية . إذ يظهر أن الأصل فى المثنى التزام الياء ، ثم تطور هذا

الى الإمالة التى لا تزال شائعة فى معظم اللهجات العربية الحديثة ، وأخيراً صار
الثنى بالألف^(١) .

وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال الثنى من لهجات مختلفة ، ثم خصص
النحاة حالة الياء بالنصب والجر ، وحالة الألف بالرفع .

ولقد قررنا قبلاً أن اللغة النموذجية قد اتخذت بعض صفاتها من لهجات
متعددة . لهذا نرجح أن أحكام الثنى كما رويت لنا فى اللغة الأدبية النموذجية
ترجع فى الأصل إلى أكثر من لهجة واحدة .

ومثل هذا يمكن أن يقال فى لهجة « فزارة » وبعض « قيس » حين يقفون
على الألف المتطرفة بالياء فيقولون فى « الهدى » « الهُدَى » . فلهجة فزارة هى
الطور الأول ، أما الطور الثانى فهو الإمالة ، وأخيراً أصبحت الكلمة كما نعهدها
الآن بألف اللين الخالصة ، وهو أفصح الجميع وأكثرها شيوعاً بين القبائل .
وعلى هذا إذا قيل لنا إن قبيلة هذيل كانت تقول « عَصَى » بدلا من
« عَصَا » ، علمنا أن الأمر لا يعدو أن قبيلة هذيل التزمت الطور الأول
لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها .

وبهذا يمكن أن نفسر قول شاعرهم :
سبقوا هوىً وأعنقوا لهواهموا فتخرموا ولكل جنب مصرعُ
ويظهر أن الوقف على أصوات اللين المتطرفة ، كان عسيراً على اللسان العربى ،
قليل الشيوع فى معظم اللهجات العربية ، فقد روى أن بعضاً من تميم كانوا يقفون
على مثل كلمة « الهدى » قائمين « الهدو » ، وبعض من قبيلة طيء كانوا يقولون
« الهدأ » بالهمزة . ولعل هذه هى اللهجة التى يشير إليها الأزهري صاحب تهذيب
اللغة فى قوله ج ١٨ ص ١٤٠ [ومنها همزة الوقف فى آخر الفعل لغة لبعض العرب
نحو قولهم للمرأة « قولى » وللرجلين « قولاً » وللجميع « قولو » ، وإذا وصلوا

(١) أنظر الخصائص الجزء الأول صفحة ٤١٢ .

الكلام لم يهمزوا ، ويهمزون « لأ » إذا وقفوا عليها .
فإذا أضيف إلى هذا مانع من وقوف معظم القبائل على ما آخره صوت
لين بهاء السكت ، أدركنا بسهولة كيف فرت معظم اللهجات العربية من الوقوف
على أصوات اللين طوليلها وقصيرها .

رابعاً : اختلاف موضع النبر :

تخضع اللغات لقواعد خاصة في موضع النبر من الكلمة أو الجملة . والنبر
هو الضبط على مقطع من المقاطع بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ويزداد
وضوحه في السمع ^(١) .

ولم يعن المتقدمون بالبحث في مواضع النبر العربي ، وإنما هي إشارات روهها
في ثنايا كتبهم نستطيع منها الحكم على أثر النبر فيما يعرض لبعض اللهجات من
ظواهر صوتية . وقد اختلفت مواضع النبر في اللهجات العربية الحديثة اختلافاً
يجعلنا نرجح أن اللهجات القديمة قد اختلفت أيضاً في هذا . وحين نعتمد على
قراءة المجيدين من المصريين في العصر الحاضر ، ونحاول استنباط مواضع النبر في
قراءتهم ، نستطيع أن نثبته في واحد من مواضع ثلاثة :

إما أن يكون على المقطع الأخير بشروط خاصة ، أو على المقطع الذي قبل
الأخير بشروط معينة أيضاً ، فإذا لم تتوفر شروط هذا أو ذاك كان النبر على المقطع
الثالث حين نعد المقاطع من نهاية الكلمة .

ومثال الموضع الأول « المستقر » حين نقف على قوله تعالى « إلى ربك
يومئذ المستقر » ، « نستعين » حين نقف عليها في قوله تعالى : « إياك نعبد
وإياك نستعين » .

ومثال الموضع الثاني :

١

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٩٧ .

يَكْتُبُ ، بَحْرٌ ، أَصْفَرُ

ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الذي قبل الأخير وهو على الترتيب .

تُ ، بَيْحٌ ، غَ

ومثال الموضع الثالث وهو القليل الشيوع في اللغة العربية كما نسمعها من أفواه القراء في عصرنا الحاضر :

ضَرْبٌ ، اشْتَهَرَ ، اجْتَمَعُوا

ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الثالث من الخلف وهو على الترتيب :

ضَ ، تَ ، تَ

على أن هناك موضعاً رابعاً للنبر نادر الشيوع ، يقع على المقطع الرابع حين نعدّ المقاطع من نهاية الكلمة . ونلاحظ هذا في كلمات مثل :

عَرَبِيَّةٌ ، بِلْحَةٌ ، رَقِيَّةٌ

ففي مثل هذه الأمثلة يكون النبر على المقاطع الآتية على الترتيب :

عَ ، بَ ، رَ

والذي نلاحظه بوجه عام هو أن اللهجات العربية تميل في حالة الوقف إلى نقل النبر إلى المقطع الذي قبله ، فحين نقف على الأمثلة الآتية :

يَكْتُبُ ، خَالِدٌ ، مُسْتَفْهِمٌ

نلاحظ أن النبر ينتقل من المقاطع الآتية :

تَ ، لَ ، هَ

إلى المقاطع التي قبلها وهي :

يَكُ ، خَا ، تَفُ

وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظر بنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع ،

بل يتر غالباً المقطع الأخير أو جزءاً منه ، من آخر كلمة في جملته . وقد ترتب على هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقف بالسكون ، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها ، والكلمات المحركة الآخر سواء كانت تلك الحركة حركة إعراب أو بناء ، تحذف حركتها ، فالقبائل بصفة عامة تقف على الكلمات الآتية :

خالدٌ ، معلمٌ ، يزلُّ

هكذا :

خالدٌ ، معلمٌ ، يزلُّ

ونلاحظ في حالة الوقف انتقال موضع النبر إلى المقطع الذي قبله في معظم الحالات . على أن معظم القبائل قد اختصت النون المنصوب بحكم خاص ، وهو الوقف عليه بالألف ، إلا قبيلة ربيعة التي اشتهر عنها الوقف عليه بالسكون أيضاً . وقد روى لنا أن بعض القبائل قد التزموا في لهجاتهم حكماً خاصاً في حالة الوقف مثل :

(١) روى أن قبيلة الأزد من القبائل اليمنية كانت تقف على الكلمات المنونة بحركة من جنس حركة آخر الكلمة فيقولون : جاء خالدو ، رأيت خالداء ، مررت بخالدى .

وعلى هذا فلا شك أنهم كانوا يبقون النبر في موضعه في حالة نرقف ، وهو في كل من الأمثلة الثلاثة المتقدمة « ل » في خالد .

(ب) — كما نستنتج أن قبيلة سعد بن بكر كانت تبق النبر في موضعه أيضاً في حالة الوقف ، ولكنهم مع هذا كانوا يحذفون التنوين . ولم يكن من الممكن حذف التنوين وإبقاء النبر في موضعه إلا بتشديد الحرف الأخير من الكلمة ، وإلا خالف هذا ما عرف عن نسج المقطع الأخير من الكلمات العربية حين يكون منبوراً . فشرط المقطع الأخير حين يقع عليه النبر أن يكون أحد نوعين :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن
أو :

صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان

ففى حالة الوقف على مثل « خالد » بالسكون ، مع بقاء النبر فى موضعه ،
ينجب أن تصبح الكلمة على أحد وجهين : إما (خالد) أو (خاليد) .
وقد اتخذت لهجة سعد بن بكر الوجه الأول وهو « خالد » فى حالة الوقف ،
وذلك حين يكون المقطع الذى قبل الأخير متحركاً ، أما إذا كان ساكناً فالنبر
لا يتغير موضعه فى حالة الوقف فى أية لهجة من اللهجات . ولهذا روى أن لهجة
سعد بن بكر تقول (هذا بكراً) فى حالة الوقف ، كما هو الشائع فى اللهجات
الأخرى .

هذا وقد روى أن قبيلة سعد بن بكر لا يلتزمون لهجتهم هذه فى حالة الوقف
على ما آخره همزة مثل « رشاً » ، لأن تضعيف الهمزة ثقيل على السمع ويحتاج
إلى جهد عضلى كبير ، أو لعل السبب الحقيقى هو أن كلمة « رشاً » على صيغة
لا يتغير معها موضع النبر حين يوقف عليها بالسكون ، فوضع النبر من هذه
الكلمة فى حالتى الوصل والوقف هو المقطع « رَ » وقد سُمى القدماء هذه الظاهرة
الوقف بالتضعيف ، ولم يرو عن أحد من القرّاء ، إلا ما نسب لعاصم فى قوله تعالى
« وكل صغير وكبير مستطر » وما نسب لأبى عمرو « وتواصوا بالصبر » ،
كما قرأ سلام « والعصر » .

ويظهر أن هذه القبيلة قد التزمت فى معظم الأحيان نبر المقطع الأخير من
الكلمة فى حالة الوقف عليها ، مما أدى إلى تضعيف الحرف الأخير .

وهناك قبائل أخرى يضغطون على المقطع الأخير من الكلمة فى حالة الوقف
عليها ، وأولئك هم الذين يفتنون بما سماه النحاة الوقف بالنقل . ففى مثل الوقف على
بكر وعمرو ، ينقلون حركة الراء إلى الساكن قبلها ويقولون « هذا بكراً » ومررت

بيكر الخ ... وقد ترتب على التزام نبر المقطع الأخير في لهجتهم شيان : أولهما ماسمى بالنقل ، وثانيهما تضعيف الحرف الأخير . فأولئك الذين يقفون بالنقل كانوا في الغالب يضغطون في نفس الوقت الحرف الأخير من الكلمة . ولعلّ النطق الصحيح لهذه القبائل هو أنهم كانوا يقولون « هذا بكُـرّ » ، ولم يفتن النحاة لهذه الصفة وظنوها الوقف بالنقل فقط .

ومما يؤيد ما نذهب إليه تلك الرواية التي رويت عن أبي عمرو في وقفه على قوله تعالى « وتواصوا بالصبر » . وقد ذكرها النحاة مرة في الوقف بالتضعيف ، ومرة أخرى حين أشاروا إلى الوقف بالنقل ، مما يدل على أن الوقف بالنقل يستلزم أحياناً التضعيف ، ولكن ليس كل وقف بالتضعيف يتضمن نقلاً ، إلا في لهجة « نخم » وبعض من « طى » أولئك الذين يلتزمون النقل ولو كان الحرف الذي قبل الأخير متحركاً . وقد مثل النحاة للهجة نخم وطيء أولاً بقول الشاعر :

من يَأْتِمْرُ للخير فيما قصده تحمد مساعيه ويعلم رشده

وثانياً بقول القائل :

« والكرامة ذات أكرمكم الله به » .

ويظهر أنهم كانوا يشددون الهاء في كل من « قصده ، رشده ، به » ، لأن النقل يصحبه في الغالب تضعيف .

على أن ما يسميه النحاة وقفاً بالنقل ليس في الحقيقة إلا تخلصاً من التقاء الساكنين حين يقعان في آخر الكلمة . فبعض القبائل قد سيطرت عليها عادة التخلص من التقاء الساكنين سيطرة تامة إلى حد أن التزموه أيضاً حين يكون الساكنان في آخر الكلمة ^(١) .

(ح) اختلفت القبائل العربية في أحكام الفعل المضعف ، أي الذي فيه العين واللام من نوع واحد ، مثل « ردّ ، عدّ » . وليس لهذا الاختلاف من

سر ، سوى اختلاف موضع النبر بين هذه القبائل .
وقد نظر النحاة إلى مثل هذا الفعل من وجهين : أولاً حين يكون مجزوماً ،
وثانياً حين يتصل بضمير رفع :

١ — روي لنا أن لهجة الحجازيين تلتزم فك الإدغام في حالة الجزم فيقولون
« لم يردد » ، في حين أن بني تميم يقولون الإدغام ويقولون « لم يرد » . وعدّ
النحاة كلا من الوجهين جائزاً صحيحاً .

أما السرّ في التزام الحجازيين فك الإدغام فهو أن يترتب على الجزم عادة
نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذي قبله ، لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات .
ففي قولنا « يكتب » نلاحظ أن النبر على المقطع « ت » ، ولكن إذا جزم الفعل
كما في مثل « لم يكتب » ، انتقل النبر إلى المقطع « يك » . وعلى هذا كان
من الواجب في حالة جزم الفعل « يرد » أن ينتقل النبر من المقطع « رد » إلى
المقطع « ي » لتصبح الكلمة لم « يرد » ، ولكن التباس هذا الوضع بوضع
الفعل المعتل العين ، والحرص على إظهار تضعيف الفعل ، جعل العرب من
الحجازيين يفتكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الورا بسبب
الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل .

وهكذا جاء الوضع « لم يردد » . ولهذا عاد الحجازيون إلى الإدغام حين
بقي النبر في موضعه ، مثل « لم يردوا » .

أما بنو تميم فلم ينقل النبر في لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقي الإدغام . فكانوا
يقولون في حالة الوقف « لم يرد » ، أما في الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية
بحركة لالتقاء الساكنين ، سواء أكانت تلك الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة على
اختلاف بين النحاة . وربما كان هذا من المواضع القليلة التي يتخلص فيها من
التقاء الساكنين بتحريك الثاني منهما .

نخلص من كل هذا إلى أن فك الإدغام عند الحجازيين في مثل « لم يردد »

ليس له سرّ ، سوى نقل النبر من موضعه فلما جرى بالأمر من هذا الفعل كان من المقبول أن يأتي على هذا الوضع « اردد » ، في حين أن الأمر عند بني تميم هو « رد » .

أما تلك اللهجة التي رويت عن « عبد القيس » واختص بروايتها الكسائي فهي أنهم كانوا يقولون في حالة فعل الأمر. «أرد» ، «أغض» . ومن المحتمل هنا أن يكون هذا الوضع من أنواع القياس الخاطئ ، رغبة في اطراد الصيغ والأوضاع في اللهجة الواحدة . وبهذا قاس بنو عبد القيس فعل الأمر هنا ، على الأمر من الفعل الثلاثي الصحيح الذي يلتزم فيه البدء بهزة الوصل .

٢ — أما في حالة اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع فقد أجمع النحاة على وجوب فك الإدغام في الكثرة الغالبة من اللهجات العربية . وربما لم يكن هذا إلا عن طريق قياس أمثال « رد » على الأفعال الصحيحة ، وبهذا يقال « رددت » كما يقال « ضربت » . وإذا أمكن قبول قول النحاة إن لام الفعل الصحيح قد سكنت حين اتصاله بضمير الرفع لكرهه توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، فليس من المقبول أن يلتزم هذا في مثل « رد » الذي لا يترتب على اتصاله بضمير الرفع أن يتوالي أربع متحركات .

فالسرّ إذن في فك الإدغام ، هو القياس على الفعل الصحيح لا أكثر ولا أقل . وعلى هذا فما روى لنا من أن ناساً من بكر بن وائل كانوا يقولون « ردّت » ، قد جاء على الأصل . وقد ترتب على اتصال الضمير بالفعل في لهجة بكر بن وائل ، انتقال النبر إلى الأمام ، من المقطع « رد » إلى المقطع « د » . وانتقال النبر إلى مثل هذا المقطع قد يطيل صوت اللين فيه فيصبح « دا » . ولهذا جاءت بعض الروايات بأن لهجة قيس عيلان تزيد ألفاً بعد المدغم قبل الضمير ، فيقال « مدّأت » . وإذا نطق مثل هذا الوضع الأخير بالإمالة ، نتج هذا الوضع الذي التزمته معظم اللهجات العربية الحديثة والذي نلاحظه في لغة كلامنا .

هذه إشارات منها نرجح أن القبائل العربية تلتزم في لهجاتها قانوناً واحداً لمواضع النبر من الكلمات . ولعل بحوث المستقبل تكفل لنا الكشف عن صفات أخرى للنبر في اللهجات العربية القديمة . وليس اختلاف مواضع النبر فيها بالأمر الغريب ، بل هو طبيعي . وإننا لنشهد الآن آثاره في اللهجات الحديثة ، فموضع النبر في لهجة الصعيد يختلف عن موضعه في لهجة القاهريين وسكان الوجه البحري ، لا في لهجات الكلام فحسب ، بل حتى في النطق بالعربية الفصيحة أيضاً .

— ٧ —

أشهر القبائل في اللهجات العربية

حين نستعرض أسماء القبائل التي ذكرت في روايات اللهجات ، نراها تشمل طائفة كبيرة من القبائل العربية المشهورة في التاريخ والأدب . على أن روايات اللهجات قد خلت في كثير من الأحيان من ذكر أسماء قبائل معينة إليها تنسب اللهجة . وقد تفاوتت القبائل في نسبة اللهجات إليها ، فمنها قبيلة نسبت إليها صفة واحدة وأخرى نسبت إليها صفات عدة . وربما كان أشهر القبائل في روايات اللهجات قبائل ثلاث هي : تميم وهذيل وطيء ، وكلها من القبائل التي نسب الرواة لها الفصاحة وإجادة القول ، واحتجوا بأقوالهم وأخذوا عنهم في رواياتهم عصر تدوين اللغة . ولكن الغريب أن نلاحظ أن هذه القبائل الثلاثة كانت من أقل القبائل نصيباً في الشعراء الجاهليين ، إذ لم ينسب إلى واحدة منها شاعر من شعراء الطبقة الأولى ، وإنما نسب إليها شعراء مقلون ، روى عنهم القليل من الشعر الجاهلي . فقد نسب لتميم : « أوس بن حجر ، والأسود بن يعفر ، والبراق ابن روحان ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبيدة ، وعمر بن الأهم » .

ونسب لقبيلة هذيل من الشعراء الجاهليين : « المنتحل بن عويمر ، وعامر ابن حليس ، وخويلد بن خالد ، وأبو ذؤيب الهذلي » .
ونسب لقبيلة طيء : « حاتم الطائي ، وإياس بن قبيصة ، وأبو زبيد الطائي ، والطرماح بن حكيم » .

والروايات الأدبية التي رويت لنا عن العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام ، تمثل لنا كما أشرنا آنفا لهجة واحدة منسجمة الصفات ، قد ترفعت عن معظم صفات اللهجات التي رويت لنا ، فقد خلت من العنفة والكشكشة والمعجمة ونحو ذلك . مما نفر منه خاصة العرب قبل الإسلام . وبعده . وقد اتخذت تلك اللغة الأدبية معظم صفاتها من لهجة قريش مع ما استحسنه خاصة العرب من صفات اللهجات الأخرى . فهي إذن مزيج من عدة صفات نسبت إلى قبائل عدة ، ولكنه مزيج منسجم القواعد والأصول ، نراه في أسلوب القرآن الكريم ، كما نراه في الآثار الأدبية الأخرى من شعر ونثر وصحت روايته وتحققت . وكما يسرت القراءات على العامة من العرب نطق القرآن الكريم بما تستطيعه ألسنتهم وبما يوافق لهجاتهم ، كان من الطبيعي أيضاً أن ينطقوا الآثار الأدبية نطقاً يوافق ألسنتهم وما جبلوا عليه من لهجات ، لأن تلك الآثار الأدبية وإن كتبت بلغة الخاصة ، شاع تداولها بين العامة ، وتغنوا بها واعتزوا بما اشتملت عليه من جمال الأسلوب والمعاني . فلم تكن في تداولها وفقاً على الخاصة من العرب ، بل كان يتلقفها العامة أيضاً بشغف كبير ، ويرددونها في أغانيهم ومجالسهم ، وإن لم يفهموا الكثير منها .

وإذا تصورنا تلك القبائل المتعددة اللهجات ، تردد الآثار الأدبية في أغانيها ومسامراتها ، أدركنا بسهولة أن لابد من وقوع بعض الاختلاف في النطق ، فلما جاء عصر تدوين اللغة وأخذ الرواة عن قبائل عدة ، جاءتهم أشعار الشاعر الواحد بروايات عدة في بعض النواحي . هذا هو سني قول ابن هشام في شرح

الشواهد : [كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكل يتكلم على مقتضى
سجيته التي فطر عليها ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات] .

ولنضرب هنا بعض الأمثلة التي توضح ما نرى إليه :
تصور معى أن رجلا من القبائل التي تميل إلى الإدغام وتأثر الأصوات
التجاورة بعضها ببعض ، ينشد قول امرئ القيس :

وإذهى تمشى كمشى النزيد ف يصرعه بالكثيب البهر
فلاشك أننا سنسمعه منه :

وإذهى تمشى كمجنى النزيد ف يظارعه بالكثيب البهر
أى أنه سيقاب الشين في « مشى » إلى جيم كثيرة التعطيش ليجعلها مجهورة
كالياء . كما أنه يشم « الصاد » صوت الزاى فتصبح تلك « الظاء » المعروفة بين
العوام في مصر ، لأن الراء التي تليها صوت مجهور . بل قد ينطق بهذا البيت
رجل ممن اشتهر بالعجاجة فنسمع منه كلمة « كمشى » « كمج » أى يقاب كلا من
الياء والشين ، جيا .

وتصور أيضاً أحد العامة في قبيلة من تلك التي تؤثر الإدغام ولا تحقق
الأصوات ، ينطق بقول امرئ القيس :

غداثره مستشزرات إلى العلا تفضل المدارى فى مثنى ومرسل
فلا شك أنه سيتلمس أيسر الطرق للنطق بتلك الكلمة « مستشزرات » ،
التي اتخذها علماء البيان مثلاً للتعقيد اللفظى ، ويقول « مستزرات » بادغام
الشين فى الزاى ، بل وربما قال « متزرات » بادغام السين فى التاء أيضاً .

كذلك حين تصور رجلا من أصحاب الكشكشة ينشد بيت امرئ القيس :
أعرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
فلاشك أنه سيقول :

أعرتش منى أن حبتش قاتلى وانتش مهما تأمرى القلب يفعل

ولا يترتب على هذا إخلال بوزن البيت ، كما قد يتبادر للذهن ، على الأقل
في هذا البحر بالذات .

بل ويقول أيضاً في مطلع معلة امرئ القيس :

قفا نبش من ذكرى حبيب ومنزل

فإذا أنشد بدوى من يميلون إلى الإدغام قول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

فنسمع منه الفعل [يخزن] [يغزن] بالغين لا بالخاء .

أو قول النابغة :

لئن كنت قد بلغت غنى وشاية لمباك الواشى أعش وأكذب

فنسمع منه كلمة [أكذب] [أجدب] ، بحم خالية من التعطيش .

أو قوله :

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته وإن تك ذا عتي فثلك يعتب

فنسمع الفعل [يعتب] [يحتب] ، بالخاء لا بالعين .

أو قول طرفة بن العبد :

كالجوابى لا تنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر

ثم لا يخزن فينا لمها إنما يخزن لحم المدخر

فنسمع البيتين هكذا :

كالجوابى لا تنى مدرعة لقرى الأضياف أو للمحتضر

ثم لا يغزن فينا لعمها إنما يغزن لحم المدخر

ثم تصور شاعراً كزهر بن جناب وقد ربي في قبيلة كلب من قضاة ،

أولئك الذين اشتهروا « بالوهم » « والوكم » ، قد نظم قصيدته الحماسية التي

يقول فيها :

أبي قومنا أن يقبلوا الحق فانتخوا إليه وأنياب من الحرب تحرق

فلما وصل إلى قوله من هذه القصيدة :

فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفر فيه المضرحي المذائق
سمعنا قومه ينشدون هذا البيت بكسر الهاء في رئيسهم .

* * *

تلك هي أمثلة قليلة، مما قد تصنعه اللهجات في الآثار الأدبية، ومما قد يترتب
عليه اختلاف في روايات البيت الواحد، بل وقد يترتب عليه نشأة مترادفات
وهية للمعنى الواحد .

الفصل الخامس

— ١ —

اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات

الدلالة :

روت لنا المعاجم العربية مئات من الكلمات التي اختلفت معانيها بعض الاختلاف تبعاً للهجات المتباينة . ولم يحاول أصحاب هذه المعاجم تنظيم مثل هذه الكلمات على أساس علمي يلقي ضوءاً على تطور المعاني بين اللهجات ، وعلى الحياة الاجتماعية في القبائل ، بل كان كل همهم هو سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها ، فكانوا يقولون مثلاً :

- ١ — وثب بمعنى جلس حميرية ، وبمعنى قفز عدنانية .
- ٢ — الشائع في معنى السرحان والسيّد هو « الذئب » ، ولكن قبيلة هذيل تستعملها بمعنى « الأسد » .
- ٣ — الشائع في معنى « الكتّع » هو ولد الثعلب ، ولكن معناه في اليمن ولد الذئب .

بل إن المعاجم لتؤكد لنا أن بعض القبائل قد اشتهرت بكلمات معينة واختصت بها دون غيرها من سائر القبائل الأخرى مثل .

- ١ — « اللج » معناه عند طيء وقيل أيضاً هذيل ، السيف .
- ٢ — « غنج على شنج » معناها عند هذيل ، شيخ على جمل .
- ٣ — نفّاح المرأة زوجها ، يمانية .

(٤) الهرج معناه القتل عند الحبشة .

وقد وردت كل الأمثلة السابقة في لسان العرب لابن منظور ..

ويروى صاحب المخصص أمثلة أخرى منها :

١ — العيش معناه الطعام عند اليمن^(١) .

٢ — السدفة الضوء عند تميم والظلمة عند قيس^(٢) .

* * *

ولاشك أن حصر كل تلك الكلمات وتنظيمها ، والنظر إليها على ضوء ما يقرره البحث الحديث الذي يسمى عند الأوربيين Semantics ، سيطلعنا على نواح من اللهجات جلية الشأن ، بل ويقسر لنا أيضاً كثيراً من الأمور الغامضة علينا كصلات القبائل بعضها ببعض ، ونظام حياتهم قبل الإسلام .
وليس يتسع المقام هنا لمثل هذا البحث ، فترجو أن تحققه بحوث المستقبل^(٣)

البقية :

قد تبين لنا من بحث الصفات الصوتية المختلفة بين القبائل أنه قد ترتب على معظمها تغيير في بنية الكلمات ، وتلتزم القبائل هذا التغيير في مواضعه ولا يستطيعون غيره إلا مع كثير من التكلف والعنت ، والعربي في لغة مخاطبه يطلق نفسه على سجيته ، وينطق كما تعود في بيئته ، فتبرز في نطقه تلك الصفات التي أشرنا إليها آنفاً .

وتغير بنية الكلمات نتيجة تغير صوت من أصواتها ، يعدّ في معظم الأحيان تغييراً طفيفاً لا يصعب معه التعرف على الكلمة في صورتها الأصلية ، أو بعبارة أدق في صورتها الأكثر شيوعاً ، والأفصح استعمالاً .

ولئن نسب القدماء بعض الروايات لقبائل معينة ، فلقد أهملوا ذكر القبائل

(١) جزء ٤ صفحة ١١٩ . (٢) جزء ٩ صفحة ٤١ . (٣) انظر كتاب دلالة الألفاظ

في كثير من رواياتهم . فهناك صور مختلفة للكلمة الواحدة رويها على أنها كلها صحيحة جائزة ، في حين أنه من السهل اليسير الحكم على تلك الصور بأنها تنتمي إلى أكثر من لهجة من لهجات العرب . وقد ملئت معاجم اللغة بكلمات جوزوا فيها أكثر من وضع واحد أو صيغة واحدة . ولنضرب مثلاً لما جاء في معظم المعاجم العربية ، حين الإشارة إلى كلمة « أصبغ » ^(١) فقد روى فيها عشر لهجات هي :

إِصْبَغ ، إَصْبِغ ، إَصْبُغ ، أَصْبَغ ، أَصْبُغ ، أَصْبَع ، أَصْبُوع .
ويظهر أن بعض هذه اللهجات كان من اختراع الرواة أمثال :

إِصْبُغ ، أَصْبُغ

لأن الانتقال من كسر إلى ضم أو العكس مما كانت العرب تنفر منه بصفة عامة . وعلى هذا يمكن إرجاع الباقي من لهجات هذه الكلمة إلى ثلاثة أنواع من القبائل .

قوم يؤثرون البدء بالهمزة مفتوحة ، ولكنهم يختلفون في حركة الباء فبعضهم يؤثر ضمها ، والآخرون يؤثرون كسرها ، فقبيلة كانت تقول « أَصْبُغ » وأخرى كانت تقول « أَصْبِغ » ؛ ثم تطورت لهجة كل منهما إلى « أَصْبُغ » ، للانسجام بين الحركات في الكلمة .

وهناك قبائل كانت تؤثر البدء بالهمزة مكسورة ، ولهجة هذه القبائل كانت « إِصْبَغ » ثم تطورت إلى « إِصْبِغ » للانسجام بين الحركات أيضاً .
أما القبائل الأخيرة ، فقد آثرت فيما يظهر ، ضم الهمزة فجاءت لهجتها

(١) قال أستاذنا على الجارم : ولا يصح في الرأي أن قبيلة واحدة تنطق بكلمة الأصبغ إلا على صورة واحدة ، غير أن الناس شغلوا عن تحقيق هذه اللهجات وعن نسبة كل لهجة إلى قبيلتها . وهذا بحث شريف خلى بعناية اللغويين « مجلة مجمع اللغة » صفحة ٣٢١ جزء أول .

الأصلية «أَصْبَع» ، ثم تطورت لانسجام الحركات إلى «أَصْبُع» . ولعل هذه اللهجات الأخيرة كانت من اللهجات التي تقف بالتضعيف ، أى أنها تجعل النبر على المقطع [بُع] . ونبر المقطع الأخير يؤدي إلى أحد وجهين إما تضعيف العين أو إطالة الحركة قبلها مما أدى إلى الصورة الأخيرة وهى «أصبوع» .

هذه هى آراء سريعة ، نرجح احتمالها فيما يتعلق بكلمة [أصبع] . أما الذى لا يَحتمل الشك فهو أن ماصح من هذه اللهجات العشر ، ينتمى إل لهجات مختلفة بعضها أفصح من بعض .

ولا بأس من أن نسوق هنا بعض الروايات التى جاءت فى المعاجم مشيرة إلى اختلاف البنية باختلاف اللهجات .

جاء فى اللسان :

- ١ — مضى الأمر وأمضى ، والثانية تميمية .
 - ٢ — فتنه المرأة وأفتنته ، الأولى حجازية والثانية نجدية .
 - ٣ — «حزنه» لقريش ، أحزنه تميم .
 - ٤ — عُقر الدار أصلها ، حجازية ، وبالفتح عند أهل نجد .
- وجاء فى الخخص :

- ١ — «هلك» يستعمل متعديا عند تميم ^(١) .
- ٢ — الأيم هو الثعبان عند هذيل ، وفى الحجاز بالتخفيف ، وفى تميم أين ^(٢) ويمكن أن نلخص العوامل التى دعت إلى اختلاف بنية الكلمات فى اللهجات العربية القديمة فيما يلى :

- ١ — قبائل تميل إلى صوت لين خاص وهذا لا يكون إلا فى الاختيار بين الكسرة والضمة ، لأن كلا منهما صوت لين ضيق ^(٣) .

(٢) جزء ٨ صفحة ١٠٩ .

(١) جزء ٦ صفحة ١٢٧ .

(٣) أنظر كتاب الأصوات صفحة ٣٧ .

وعلى هذا إذا روى لنا أن فعلاً من الأفعال الثلاثية الصحيحة جاء من باب «ضرب ونصر»، رجحنا أن إحدى القبائل كانت تنطق به من باب «ضرب»، وأخرى كانت تنطق به من باب «نصر». وأمثلة هذه الأفعال كثيرة في المعاجم العربية. وقد أشرنا آنفاً إلى أن القبائل البدوية كانت تميل إلى الضم، في حين أن القبائل المتحضرة كانت تميل إلى الكسر.

٢ — الميل إلى نسيج خاص في مقاطع الكلمة. فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة، ومن هذه قبيلة «تميم» التي روى عنها أنها كانت تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك. جاء في اللسان إن مثل: «خمر جمع خمار، فرش جمع فراش، رسل جمع رسول، ينطق بها عند تميم بتسكين الوسط أي خمر، فرش — الخ.

ويذكر في موضع آخر أن تسكين «نخذ» وأمثالها مثل «كبد وعضد ورجل» والفعل «كرم وعلم» للتخفيف، وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم. وإلى هذه القبيلة يمكن أن ننسب تلك اللهجة التي تجوز تسكين عين الفعل الماضي الثلاثي، فيقولون في «كتب» «كتبَ».

والحقيقة أن معظم اللهجات العربية تنفر من توالي المقاطع المتحركة، ولكنها تختلف في نسبة هذا النفور. فإذا روى لنا أن كلمة «نخذ» يجوز في نطقها «نخِذ»، «فخذ»، أدركنا أن الصيغة الثانية لقبيلة مثل تميم تلك التي تؤثر المقاطع الساكنة.

٣ — سبق أن أوضحنا أن القبائل المتحضرة بوجه عام تميل إلى تحقيق كل أصوات الكلمة، وإعطاء كل صوت حقه في النطق، في حين أن القبائل البدوية تميل إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض. ومثل هذا يؤدي إلى اختلاف بنية الكلمة الواحدة بين هذين النوعين من القبائل، وفيما تقدم من الأمثلة القدر الكافي. كذلك سبق أن شرحنا أن بعض القبائل تؤثر صفات خاصة (١١ م — اللهجات)

للأصوات الساكنة ، فبعضها يؤثر الأصوات الشديدة المجهورة ، وآخرون يؤثرون الأصوات الرخوة المهموسة ، ومرجع كل هذا البيئة الاجتماعية .

٤ — العامل الأخير الذى يعد أهم العوامل فى تغيير بنية الكلمات بين اللهجات المختلفة هو أخطاء الأجيال الناشئة وما يترتب عليها :

(أ) فقد يصعب على الطفل تقليد الكبار فى نطقهم لكلمة من الكلمات ثم يهمل أمر هذا الطفل فينشأ على الخطأ وتصبح الكلمة ذات صورة جديدة فى لهجته .

(ب) كذلك قد يخطئ الطفل فى سمع الكلمة فيرتب أصواتها ترتيباً مختلفاً ، وتصبح فيما بعد ذات وضع مختلف عن الكلمة الأصلية .

(ج) قد يقيس الطفل قياساً خاطئاً فيشتق وضعاً جديداً غير معروف فى لهجة آبائه ، ثم يصبح هذا الوضع معترفاً به بين أبناء جيله .

إلى غير ذلك من مظاهر أخطاء الأطفال وما يميلون إليه فى النطق ^(١) .

ولا يظهر مثل هذا إلا فى البيئات المنعزلة التى أهمل إصلاح أخطاء الأطفال فيها .

٥ — ويمكن أن يضاف إلى كل ما تقدم عامل آخر كان السبب فيما روى لنا من اختلاف فى بنية الكلمات . وهذا العامل هو احتمال خطأ الرواة فى النقل ولا سيما بعد تدوين اللغة ، ذلك الخطأ الذى سماه القدماء بالتصحيف ^(٢) .

واختلاف بنية الكلمات قد يكون طفيفاً ، لا يصعب معه التعرف على علاقة الكلمات بعضها ببعض . أما الكلمات التى رويت مختلفة البنية ، فبعضها جامد وذلك كأمثال « أصعب ، ونخذ » ، وغير ذلك من الأسماء الجامدة التى اختلف نطقها بين القبائل ، لعامل من العوامل الساقطة الذكر ، كما أن منها كلمات اختلف صيغ الاشتقاق فيها ، فمثلاً تشتق معظم القبائل مؤنث الصفات المنتهية بالألف

(١) كتاب الأصوات ١٤٦ . (٢) أنظر أسرار اللغة ٦٨ .

والنون الزائدين مثل « سكران » ، على وزن سكرى ، ثم يروى لنا أن قبيلة أسد ، قد شاع فيها اشتقاق مؤنث هذه الصفة ، بناء التأنيث فيقولون في مؤنث سكران : سكرانة . كذلك اتفقت الروايات على أن اسم المفعول من فعل أجوف مثل [باع] هو [مبيع] ، ولكن عرفت قبيلة تميم بأنها لا تفرق بين الفعل الأجوف والصحيح في اشتقاق هذه الصيغة ، فهم يقولون [مبيع] ، [مديون] بدلا من مبيع ومدين .

ومن السهل تعليل تلك الظاهرة التي شاعت في أسد وتميم ، بالقياس الخاطيء الذى يلعب دوراً هاماً في خصائص اللهجات ، فقد قاسوا اشتقاق المؤنث من سكران ، على اشتقاقه من معظم الصفات الأخرى ، لأن الكثرة الغالبة في الصفات العربية تؤنث بالتاء . وليس بغريب أن يقاس على اشتقاق الكثرة اشتقاق القلة .

وكما قد يقول الطفل بيننا [أحمره] بدلا من حمراء ، قياساً على معظم الصفات قال الطفل الأسدى سكرانة بدلا من سكرى . ثم صار خطأ الأطفال لهجة معترفا بها بين قبيلة أسد . وكذلك قاس الطفل التميمي صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح ، لأن الأفعال الصحيحة هي الكثرة الغالبة في اللغة .

وعلى هذا ، إذا روى لنا اختلاف في بنية الكلمات عند الاشتقاق ، فعلينا أن نحاول نسبة كل صورة من صور الكلمة الواحدة ، إلى قبيلة خاصة ، أو مجموعة من القبائل . وبذلك تتحدد خصائص كل لهجة وتتميز اللهجات بعضها من بعض ، فهناك اشتقاق المؤنث من المذكر ، وهناك اشتقاق الجمع من المفرد ، وهناك الأسماء المحسة واختلاف بنيتها بين القبائل ، وهناك اشتقاق المضارع من الماضي ، إلى غير ذلك مما نلاحظ اختلاف اللهجات في وضعه ، الاشتقاق .

رأى القدماء في اختلاف البنية :

لعل أظهر علماء العربية في بحث هذا ، هو « ابن جنى » في كتاب « الخصائص » الجزء الأول ، إذ عقد فصولا أربعة^(١) سمي الأول : « باب في الفصحیح مجتمع في كلامه لفتان فصاعدا » ، والثاني « باب في تركيب اللغات » ، والباب الثالث « في الأصلين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » أما الرابع فسنشير فيما بعد إلى ما جاء فيه . وقد وفق ابن جنى في بعض ما قال في هذه الفصول الأربعة ، ولكنه لم يوفق في البعض الآخر . فقد زعم في الفصل الأول أن الفصحیح قد يجمع بين لهجتين في كلامه ، ثم ضرب أمثلة من الشعر لا تكفى حجة لما يدعى ، فلعلها من ضرورات الشعر . وفوق هذا لم يبين لنا ابن جنى ما عني بكلام الفصحیح ؟ ألفة مخاطبه بين أبناء قبيلته تلك التي تخضع لصفات خاصة مميزة عن غيرها من القبائل ، أم كان يعنى لغة الأدب والشعر ، وهى اللغة النموذجية التي اكتسبت معظم صفاتها من لهجة قريش ؟

ونحن نؤثر أن ننسب لكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن مجتمع في اللهجة الوحدة صفتان مختلفتان في أمر واحد ، وكل ما في الأمر أن المرء من خاصة العرب قد يلتزم شيئا في لغة مخاطبه بين أبناء عشيرته ، فإذا عمد إلى بيئة الأدب فنظم الشعر أو خطب الناس في المواسم والأسواق ، فإنه قد يلجأ إلى صفة مغايرة للهجة قبيلته . لأن اللغة النموذجية خصائص قد تخالف خصائص كثير من لهجات الكلام ولغات التخاطب .

وقد روى ابن جنى أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل :

بغداد	بغدان	مغدان .	طبرزل =	طبرزن .	أيم =	أين .
رغوة اللبن	رغوته	رغوته =	رغاته =	رغاوته	:	رغايته .

الذَّرُوح = الذُّرُوح = الذَّرِيح = الذَّرَّاح = الذَّرَّح = الذَّرْنُوح
الذَّرَّح الح .

ومن السهل الحكم على أن مثل هذه الكلمات المختلفة البنية تنتمى إلى لهجات متعددة ، وقد ينتمى بعضها إلى لهجة واحدة ، ولكن في جيلين مختلفين من أبناء هذه اللهجة . وقد اختتم ابن جنى هذا الفصل بقصة رويت عن الأصمعى قال :
اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد وقال الآخر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقرا !

وليس من المعقول أن هؤلاء الرجال الثلاثة من أبناء لهجة واحدة ، بل إنهم ينتمون إلى لهجات متعددة ، وقصة ابن جنى لهذا تقوم حجة عليه لاله . وقد نلتبس العذر لابن جنى لأنه ممن لا يفرقون بين لهجة وأخرى في الاستعمال ، ويرون جميع اللهجات صحيحة يحتج بها ، وقد عقد فصلا خاصاً بهذا في الخصائص سماه [باب اختلاف اللهجات وكلها حجة] .

ثم انتقل ابن جنى في الفصل الثانى إلى ما سماه (تركيب اللغات) ، فزعم أن قبيلة كانت تقول قِنَط يقِنَط ، وأخرى تقول قِنِط يقِنَط ، ثم تداخلت اللغتان فقال من قال (قِنَط يقِنَط) .

على أن ابن جنى لم يحدثنا عن كيف تتداخل اللغات ، ولا عن الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل .

ويظهر أن ابن جنى قد مال إلى الناحية الصناعية البحتة في تفسيره أفعالا مثل (قِنَط ، يقِنَط) و (نَعِمْ ، ينْعَم) و (فُضِّل ، يَفْضُل) وأمثالها مما أعيا القدماء تعليله في ضوء تلك المقاييس التى وضعوها لأبواب الثلاثى .

ولكن ابن جنى كان موقفاً كل التوفيق حين عرض في هذا الفصل إلى قانون المغايرة ، الذى اعترف به المحدثون وأشاروا إلى أهميته في الاشتقاق . فقد

قال مانصه : [وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع]
ثم قال : [وإنما دخلت يفعل في باب فعمل بفعل ، من حيث كانت كل واحدة
من الضمة والكسرة ^(١) مخالفة للفتحة] .

وليس تداخل اللغات الذي زعمه ابن جني إلا نوعاً من الصناعة لا تبرره
تلك الأمثلة التي رواها . وإنما الواجب أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ، ماضيها
ومضارعها ، ثم تبوب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمي إلى لهجات متعددة .
فإذا قيل إن المراد بتداخل اللغات استعارة بعضها من بعض ، واستعارة اللغات
بعضها من بعض أمر معترف به بين المحديثين من علماء اللغات ، قلنا إن اللغات
قد تستعير الكلمات لا الصيغ ، وليس هناك من مبرر يمكن معه أن تنتقل القبيلة
أو الرجل منها ، من قوله (نعيم نعيم) إلى (نعيم نعيم !!)

وعما يؤيد ما نذهب إليه أننا نلاحظ في اللهجات الحديثة ، أن الرجلين من
أبناء لهجتين مختلفتين ، قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زماناً طويلاً . وكل
منهما يلتزم لهجته ، وما نشأ عليه ، فإذا تأثر أحدهما بالآخر ؛ وأخذ يقلده في
لهجته لسبب من الأسباب ، تسكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة
لهجة واحدة . أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة ، فليس مما يقره
المحدثون من الباحثين في اللغات ^(٢) .

وقد ذكر ابن جني في هذا الفصل بعض القصص التي تقوم حجة عليه لاله .
فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال : [قرأ على أعرابي بالحرم طيبي لهم وحسن
مآب ، فقلت طوبي . فقال : طيبي . قلت : طوبي . قال طيبي ، فلما اشتد على
قلت : طوطو . فقال : طي طي] .

وقد تعرض ابن جني في الفصل الثالث إلى كلمات رويت بمختلفة البنية ،

(١) أظن كتاب الأصوات صفحة ٣٧ .

(٢) إلا في حالة الغزو .

وذلك بأن اختلف ترتيب الأصوات فيها مع اتحاد معناها . وقد فرق ابن جنى بين هذه الكلمات ، فجعل بعضها مقلوياً عن نظائرها ، والبعض الآخر كلمات مستقلة بعضها عن بعض وكل منها أصل مستقل بذاته .

ومثل للكلمات المقلوية عن نظائرها بمثل (امضحل) فهي مقلوية عن (اضمحل) ، ومثل (اكرهف) مقلوية عن (اكفره) ، ولكنه قال إن كلا من (جذب وجبذ) أصل مستقل بذاته وليس أحدهما مقلوب الآخر .

والحقيقة أن مثل هذه الكلمات متى كانت تنتمى للغة واحدة ؛ يجب أن ينظر إليها على أن بعضها أصل والبعض الآخر مقلوب عنه ، ولا معنى للترقية بينها . وتكاد هذه الظاهرة تشترك في معظم لغات العالم التي اشتملت على كلمات متحدة المعنى والأصوات ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف . وهذه الظاهرة هي في الأصل من أخطاء السمع بين الكبار ، أو من أخطاء الأطفال ، ثم صار الخطأ صواباً .

وأخيراً تعرض ابن جنى في الفصل الرابع إلى أن بعض الكلمات قد تختلف بنيتها ، وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ، ثم ضرب أمثلة لهذا مثل :

طبرزل : طبرزن . دهمج : دهنج . خامل : خامن . بنات مخر : بنات بخر .

ومثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى إلى لهجات متعددة ؛ أو إلى لهجة واحدة ولكن في جيلين مختلفين من أبنائها .

على أن ابن جنى لم يحدثنا في هذا الفصل عن معنى تقارب الصوتين ، ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية . وقد ملئت المباحم العربية بهذا النوع من الكلمات ، وسنفرد فصلاً مستقلاً لما جمعناه منها .

أبواب الثلاثى :

وربما كان أظهر المواضع التى توضح اختلاف البنية فى اللهجات ، هو اشتقاق مضارع الفعل الثلاثى من الماضى ،

وقد جاءتنا كتب النحاة بعلاج مضطرب لما سموه بأبواب الثلاثى ، خلصوا منه إلى أن تلك الأبواب سماعية ، ولا تكاد تخضع لقاعدة مطردة ، بل كل ما يمكن عمله بصدها هو استنباط قواعد غالبية شواذها كثيره جداً . ولعمري كيف تصور القدماء أن لغة منسجمة مطردة كاللغة العربية يمكن أن تتضمن كل هذه الأبواب فى اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى ، فى حين أنهم يرون أن جميع الصيغ الأخرى للفعل تلتزم حالة واحدة مطردة فى جميع المواضع .

يجب إذن أن ننظر إلى أبواب الثلاثى كما رواها النحاة ، على أنها تنتمى إلى أكثر من لهجة واحدة ، وأن الذى رووه ، إن هو إلا مزيج من لهجات عدة ، لأن أساس الفهم فى أية لهجة من اللهجات هو الخضوع لقاعدة مطردة نادرة الشذوذ .

والذى نستطيع أن نتصوره هو أن كل لهجة من اللهجات ، أو مجموعة منها قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى على هيئة خاصة ، لا تشذ عنها إلا فى النادر . فأبواب الثلاثى تنتمى إلى عدة لهجات كل منها كانت تلتزم باباً أو بابين من بينها ويؤيد ما يذهب اليه اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى فى كل اللغات السامية الأخرى شقيقات اللغة العربية .

ولن نحاول هنا فصل تلك الأبواب بعضها عن بعض ونسبة كل منها إلى قبيلة خاصة أو مجموعة من القبائل ، لأن هذا يتطلب جمع كل ما ورد فى المعاجم العربية من أفعال ثلاثية والبحث فيها بعد تبويبها وتنظيمها فى مجموعات متناسقة على أننا قد جمعنا كل ما ورد فى القرآن الكريم من أفعال ثلاثية صحيحة غير

مُعْتَلَةٌ ، ماضِها ومضارعها ، لَرى ما يمكن أن تكون قد خضعت له قراءة حفص ، التي لا نشك في أنها تمثل لهجة واحدة منسجمة مطردة في اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي.

ورد في كل القرآن الكريم من الأفعال الثلاثية الصحيحة مستعملة في الماضي مرة وفي المضارع مرة أخرى (نحو ١٣٤ فعلا) ، وقد تركنا تلك الأفعال التي استعملت في الماضي فقط أو المضارع فقط .

وحين استعرضنا تلك الأفعال التي جاءتنا في قراءة حفص في الماضي مرة والمضارع مرة أخرى ، اتضح لنا أنها لا تشتمل على ذلك الباب الذي سماه النحاة (فَعِلْ يَفْعِلْ) ؟ بل لقد خلت أيضاً من ذلك الباب الذي سموه (فَعُلْ يَفْعُلْ) ؛ إلا فعلين اثنين هما : « كَبُرَ يَكْبُرُ ، وبَصُرَ يَبْصُرُ » في مثل قوله تعالى : [كبرت كلمة تخرج من أفواههم] وقوله [فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون] .

ولا شك أننا نلاحظ في مثل هذا الفعل معنى من معاني المبالغة ، أو شدة في الحدث ، يرجح عندنا أن مثل هذه الصيغة متفرعة عن [فَعَلْ] ؛ وأندلاً يُلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة في معنى الحديث الذي تتضمنه الصيغة الأصلية [فَعَلْ] . فليست إذن من أبواب الثلاثي ، بل يجب أن ينظر إليها على أنها فرع مستقل ، زاد معناه بتحول الصيغة الأصلية [فَعَلْ] إليه .

أما باقي الصيغ الثلاثية التي وردت في القرآن الكريم ، فهي أحد وجهين لا تخرج عنهما وهما : [فَعَلْ] ، [فَعِيلْ] .

والصيغة الأولى هي أكثر شيوعاً في الأسلوب القرآني ، لأن به حوالى ١٠٧ فعلاً ماضياً صحيحاً صيغته [فَعَلْ] ، وحوالى ٢٤ من صيغة [فَعِيلْ] .

والقاعدة التي خضعت لها قراءة حفص في اشتقاق المضارع من هذه الأفعال ، هي المغايرة التي أشرنا إليها آنفاً . فصيغة [فَعَلْ] في الماضي يناظرها صيغة [يَفْعِلْ] أو [يَفْعُلْ] في المضارع ، لأن الفتحة كما قال ابن جني تقابل الضمة

أو الكسرة . إذ الفتحة صوت متسع ، في حين أن كلا من الضمة والكسرة صوت ضيق^(١) . أما صيغة [فَعِل] في الماضي فقد قابها دائماً [يَفْعَل] في المضارع ، لم يشذ عن هذا فعل من الأفعال التي جاءت في قراءة حفص .

تلك هي القاعدة التي يمكن استنباطها من أفعال القرآن ، وهي واضحة جلية . لا تعقيد فيها ، ومن الطبيعي أن تكون كذلك .

أما تلك الأفعال التي وردت من صيغة [فَعَل] في الماضي و « يَفْعَل » في المضارع ، فقد دعا إليها عوامل صوتية في بنية الفعل نفسه ، وذلك أن عين الكلمات أو لامها من أصوات الخلق ، تلك التي تؤثر في كل اللغات السامية ، الفتحة على غيرها من الحركات .

وقد فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الخلقية إلى الفتحة ، وأقرم على هذا المستشرقون . وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية . أما السريانية ، فهو أن كل أصوات الخلق بعد صدورها من مخرجها الخلق ، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا الجرى في زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً ، وتلك هي الفتحة . ولم يشذ عن هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة هي :

نكح ينكح ، نزع ينزع ، رجع يرجع ، بلغ يبلغ ، قعد يقعد ، زعم يزعم ، نفخ ينفخ ، وأخيراً قنط يقنط .

وكان حق مضارع الأفعال السبعة الأولى أن يكون بالفتح ، وأن يكون مضارع الفعل الأخير بالكسر أو الضم .

وقد أثار الفعل « قَنَظَ يَقْظُ » دهشة بين القدماء ، وبدأوا يتأولونه على أنه من تداخل اللغات .

والحقيقة أن اللهجة الواحدة يجب أن تخضع لقاعدة مطردة في الكثرة الغالبة

(١) كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٣٧ .

من صيغها ، ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التي تسمى عادة بالشاذة .
وفي مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على افراد ، وأن يبحث
عن مصدرها أو سر شذوذها .

ويغلب أن يعزى هذا الشذوذ إلى انحدار الفعل من لهجة أخرى لها قواعد
أخرى تخضع لها .

وليس معنى هذا استعارة الصيغة ، وإنما معناه استعارة الفعل بصيغته . ولهذا
نرجح أن الأفعال :

[نزع ينزع . نكح ينكح . رجع يرجع . قنط يقنط . نفخ ينفخ . بلغ
يلغ . قعد يقعد . زعم يزعم .]

تنتمى إلى لهجة أخرى غير اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم .
وربما كان يعبر عن معاني هذه الافعال قبل استعارتها في لغة القرآن
الكريم ، بمثل الافعال الآتية على الترتيب :

قلع يقلع . تزوج يتزوج . عاد يعود . . . الخ
أو أن هذه الأفعال فيما عدا [قنط يقنط] قد غلبت عليها المغايرة لظروف
لغوية خاصة باستعمالها .

ولا بأس بعد هذا من أن نورد الأمثلة القرآنية من أفعال بابها «فعل يفعل» :
عقل يعقل . ظلم يظلم . عرف يعرف . فرض يفرض . عزم يعزم . ضرب
يضرب . حرص يحرص . ربط يربط . قبض يقبض . سبق يسبق . بطش
يبطش . كسب يكسب . ملك يملك . حلف يحلف . لبس يلبس . كذب
يكذب . صبر يصبر . صدق يصدق . صرف يصرف . نبذ ينبذ . غلب يغلب
كهن يكهن . نفر ينفر . سرق يسرق . حمل يحمل . قدر يقدر . كشف يكشف
خسف يخسف . فصل يفصل . غفر يغفر . ختم يختم . قن يفتن . قذف يقذف
عدل يعدل . نعم ينعم . قسم يقسم . هلك يهلك . نكص ينكص . نزل ينزل .

وهاهى ذى الأفعال التى بابها « فعلل يفعل » :

خلف يخلف . كتم يكتم . مكث يمكث . عمر يعمر . حسد يحسد .
نكث ينكث . سكن يسكن . سلك يسلك . شكر يشكر . طرد يطرد .
نظر ينظر . ترك يترك . سجد يسجد . حشر يحشر . مكر يمكر . درس يدرس .
عبد يعبد . بسط يسط . خرج يخرج . حكم يحكم . حضر يحضر . ذكر يذكر .
فسق يفسق . نقض ينقض . نصر ينصر . دخل يدخل . خلق يخلق . برزق
يرزق . قتل يقتل . كتب يكتب . كفر يكفر .

أما الأفعال التى جاء مضارعها مفتوح العين بسبب حرف من حروف
الحلق فهى :

ذهب يذهب . نفع ينفع . لعن يلعن . فعل يفعل . بعث يبعث .
قطع يقطع . طبع يطبع . فتح يفتح . جحد يجحد . نصح ينصح .
سحر يسحر . خضع يخضع . جمع يجمع . رفع يرفع . ذبح يذبح .
جعل يجعل . صنع يصنع . ظهر يظهر . جهر يجره . زهق يزهق .
شرح يشرح . منع يمنع .

وهاهى ذى الأفعال التى لاشدوذ فى أمثلتها القرآنية والتى جاءت من
باب « فعيل يفعل » :

نفذ ينفذ . عجل يعجل . شرب يشرب . رحم يرحم . سمع يسمع . شهد يشهد .
علم يعلم . حسب يحسب . عمل يعمل . فشل يفشل . بخل يبخل . عهد يعهد .
ركب يركب . ثقب يثقب . حبط يحبط . خطب يخطب . سخط يسخط . سخر
يسخر . لبث يلبث . ضحك يضحك . عجب يعجب . حفظ يحفظ . كره يكره .
طعم يطعم . فرح يفرح .

من كل هذا نستطيع أن نرجح أن اللهجات العربية القديمة قد خضعت
لقواعد مختلفة فيما يتعلق باشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى . ولعل من القبائل

من كانوا يؤثرون صيغة «فَعَلْ يَفْعَلْ»، أو لعل منها من كانوا يقولون «فَعُلْ يَفْعَلْ» إلى غير ذلك من الاحتمالات التي ستكشف عنها بحوث المستقبل .

وكل الذي نستطيع أن نؤكد ههنا ، هو أن كل لهجة كانت تخضع لقواعد خاصة بها لا تحيد عنها إلا فيما تستعيره من لهجات أخرى . وقد لاحظنا في كل ما تقدم من تغيير في بنية الكلمات أن التغيير طفيف لم يمنعنا من التعرف على أكثرها شيوعاً وأفصحها استعمالاً^(١) .

(١) أنظر استيعاب هذا البحث في أسرار اللغة صفحة ٣٣ .

الفصل السادس

الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد

- ١ -

الترادفات

شهد القرن الرابع الهجرى خلافاً بين علماء اللغة في فكرة الترادف ، منهم من ينكرون الترادف في ألفاظ اللغة ، ويلتمسون فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات لا تخلو في بعض الأحيان من التكلف والتعسف ، ومنهم من ينادون بالترادف أو يعترفون بوقوعه في الألفاظ ، وبعض هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف ، يغالون في رأيهم إلى حد أن سمحوا بمئات الكلمات المعنى الواحد في بعض الأحيان .

وقد خلاص السيوطي في كتابه المزهر رأى هؤلاء وهؤلاء . ويبدو من كلام السيوطي أن رواة اللغة وجامعيها كانوا في القرن الثاني الهجرى يسامون بقضية الترادف ولا يرونها محلاً لنزاع أو جال ، فقد روى أن أبا زيد سأل أعرابياً : ما المحببى ؟ قال هو المتكأ كى . ، قال أبو زيد وما المتكأ كى ؟ قال هو المتأزف ! قال وما المتأزف ؟ فسم الأعرابي من مساءلته وقال له : أنت أحق !!

من هذا نرى أن عالماً جليلاً كأبي زيد الأنصارى كان لا يرى غضاضة في أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ بل كان فيما يظهر يؤمن أن الأعرابي قد يحتفظ في ذاكرته بألفاظ عدة للتعبير عن معنى واحد .

على أن بعض العلماء في أواخر القرن الثالث الهجرى بدأوا يلتمسون فروقاً بين الكلمات التي عدّها من سبقوهم من المترادفات مثل « ثعلب » . ثم جاء

القرن الرابع المحرى ونشب الجدل بين علمائه : فانتصر ابن فارس لرأى شيخه « ثعالب » وأنكر الترادف ، كذلك أنكره معه أبو على الفارسى . ولكن ابن خالويه وآخرين كانوا يؤمنون بفكرة الترادف ، ويعتزون بما جمعه من كلمات كثيرة ذات معنى واحد . وكثر بعد هذا العصر أنصار الترادف ، وإن مال بعضهم إلى الاعتدال فى حصر الكلمات الترادفة . فالإمام الرازى كان يرى وجوب تقييد الترادف بعدم التباين فى المعنى وبعدم الإلتباع ، فليس من الترادف : « السيف والصارم » ، لأن فى الثانية زيادة فى المعنى ، وليس منه « عطشان نطشان » ، لأنه لا معنى للكلمة الثانية . ولكنه مع هذا اعترف بفكرة الترادف ونعى على الاشتقاقيين تعسفاتهم .

كذلك يروى أن التاج السبكى قال : لا معنى لإنكار الترادف ، والقول إن الإنسان من النسيان ، وإن البشر من البشارة . بل إن من هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف من قسم هذه الظاهرة إلى فرعين ، فقد ذكر السيوطى « أن ألكيا قال : هناك ألفاظ متواردة مثل : سبع وأسد وليث ، أما الترادف فى العبارات والجل مثل : أصلح الفاسد ولمّ الشعث ورتق الفتق » .

ونحن لا يعنينا هنا إلا البحث فى الكلمات ، ولا ننظر إلا إلى ما سماه فى تقسيمه بالألفاظ المتواردة ، وهى التى اصطاح معظم العلماء على تسميتها بالترادفات . وكان الأصهبانى يرى الترادف فى اللهجة الواحدة ، وينكره فى لهجتين مختلفتين . وهذه وجهة نظر سليمة تتجه إلى ما يتجه إليه المحدثون فى نظرهم إلى الترادف .

أما هؤلاء المؤيدون لفكرة الترادف فكانوا يرون أن الاستعمال يؤيدهم ، فمثلا : « لاريب » لاتعنى شيئا أكثر من « لاشك » . وكان ابن خالويه يفخر بأنه يعرف خمسين اسما للسيف ، وعشرات فى أسماء الأسد ، كما ألف لنا

الفيروز بادی کتبیا فی أسماء العسل .

أما الذين أنكروا الترادف فكانوا يفرقون بين معانى الألفاظ ، فيقولون مثلاً : [جلس وقعد] يختلفان بعض الاختلاف ، لأن في « قعد » معنى ليس في « جلس » ، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذ المقيم المقعد ، ثم نقول : كان مضطجماً فجلس .. فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ! وكانوا يصفون تلك الكلمات الكثيرة التي قيل عنها إنها أسماء للجمل ، أو للشعبان ، أو للأسد ، أو للعسل ، بأنها صفات يلحظ في كل منها أمر معين . تلك كانت حجة أبي على الفارسي في جدله مع ابن خالويه ، فقد روى عن أبي على الفارسي أنه قال : [كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ قال أبو على هذه صفات] .

ويروى أصحاب الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على رأيهم ، منها :

١ — أن أبا هريرة لقي النبي صلعم وقد وقعت من يده السكين ، فقال له ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ . فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ذلك . ثم قال : « ألمدية تريد ؟ » ، فقليل له نعم . فقال أو تسمى عندكم سكيناً؟ . ثم قال والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ ! . على أننا نتردد في قبول هذه القصة لأن كلمة « السكين » وردت في سورة يوسف وهي مكية ، أي كانت موضع مدرسة وحفظ قبل الهجرة وبعدها ، ولا تغيب عن ذهن أحد من المسلمين الذين اتصلوا بالرسول وتأدبوا بأدبه . والقصة فيما يظهر قد تمت وقائعها في المدينة لأن أبا هريرة أسلم في السنة الثامنة للهجرة . ولا نستطيع أن نتصور أن رجلاً مثل أبي هريرة وهو من هو في رواية الحديث ، والاتصال بالنبي ذلك الاتصال الوثيق ، لم يكن على علم بما نزل من سور مكية

كانت محفظ وتدرس ويتعبد لها بين المسلمين في المدينة .

هذا إلى أن أناهريرة كان من « دوس » وهي بطن من قبيلة بلعارث التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة ، وكان أهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الإسلام ، فكيف غاب عنه مثل هذا اللفظ الشائع هناك .

٢ — كذلك يسوقون قصة أخرى أجمعت عليها كتب الأدب وهي : أن رجلا من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة ، خرج إلى ذي جلدن من ملوك اليمن فاطلع إلى سطح والملك عليه . فلما رآه الملك اختبره فقال له : « ثب » يريد أقعد . فقال الرجل : ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح ودقت عنقه . فقال الملك ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ، إن الوثب في كلام نزار الطمر « أي الوثوب إلى أسفل » . فقال الملك : ليست عريتنا كعريتهم ، من دخل ظفار خمر « أي من دخل مدينة ظفار اليمنية فليتكلم الحميرية ! » ويستدلون من هذا على أن « وثب وقعد » يعبران عن معنى واحد ، وتشير إليهما المعاجم على أنهما مترادفتان ! .

وهنا تبدو مبالغة أصحاب الترادف ، لأن البيئتين مختلفتان ، وشرط الترادف كما يقول الأصفهاني أن يكون في بيئة واحدة كما سنرى .

٣ — كُتِبَ النبي صلعم إلى القبائل قد اشتملت على كلمات لم تكن مألوقة بين قومه . ويتخذ أصحاب الترادف من هذه الكتب دليلا على وقوع الترادف في اللغة لأن الكلمات التي استعملها صاعم كانت لها نظائر في لهجة قریش . فهي مع نظائرها تعتبر من المترادفات . ومن ذلك كتابه لوائل بن حجر أحد ملوك حمير : [إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشايب ^(١) ... الخ] .

وعلى هدايتي رأى أصحاب الترادف أو الذين فغالوا فيه ، أن الأقيال والوزراء

(١) القير ولهجة نعيم كالوير و لمهود الإسلامه . و اماهله الدين استقر مدكمهم ، والأرواع الساداب ، والمشايب الأدكيا .

مترادفتان ، وأن الأرواح والسادات مترادفتان أيضاً وهكذا ... فإذا تذكرنا أن من شروط الترادف أن تنتمي الكلمات المترادفة إلى بيئة واحدة ، استطعنا بسهولة استبعاد هذا النوع من الكلمات .^(٢)

أولـة الترادف لدى المحررين :

يجمع المحذون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف في أى لغة من لغات البشر ، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة . ولكنهم يشترطون شروطاً معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً :-

١ - وما يشترطونه الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً ، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة . ويكتفى اللغوي الحديث بالفهم العادي لمتوسطى الناس حين النظر إلى مثل هذه الكلمات . فإذا تبين لنا بدليل قوى أن العربى كان حقاً يفهم من كلمة « جلس » شيئاً لا يستفيدة من كلمة « قعد » ، قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف .

٢ - الاتحاد في البيئة اللغوية ، أى أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات . ولذلك أعجبنا برأى الأصفهاني الذي أشرنا إليه آنفاً . يجب إذن ألا نلتبس الترادف من لهجات العرب المتباينة ، فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة ، الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر في معنى واحد . يختار هذه حيناً ، ويختار تلك حيناً آخر ، وفي كلتا الحالين لا يكاد يشمر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول .

ولم يفتن المغالون في الترادف إلى مثل هذا الشرط ، بل اعتبروا كل اللهجات وحدة مماسكة ، وعدو كل الحزيرة العربية بيئة واحدة . ولكننا نعتبر

اللغة النموذجية الأدبية بيئة واحدة ، ونعتبر كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة .

٣ - الاتحاد في العصر : فالحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين ، وتلك هي النظرة التي يعبرون عنها بكلمة Synchronic ، لا تلك النظرة التاريخية التي تتبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة ، ثم تتخذ منها مترادفات ، وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها Diachronic . فإذا بحثنا عن الترادف يجب ألا نلتزمه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع إلى العهد المسيحي مثلاً . هذا هو ما جعل ابن خالويه وأمثلة يرون للسيف ونحوه أسماء عدة . فالتنبى حين استعمل « الصارم والبتار والهندي واليماني » ، لم يكن يعمد إلى كلمة « الهندي » وفي ذهنه صفات خاصة تتصل ببيئة الهند التي صنع فيها ، ولم يكن يعمد إلى كلمة « الصارم » وفي ذهنه اعتبار آخر لا يراه في كلمة أخرى كالبتار مثلاً .

٤ - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر : حين نقارن بين « الجنل والجنفل » بمعنى النمل ، نلاحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلاً والأخرى تطور لها ، فإذا كان الأصل هنا هو الكلمة الأولى قلنا إن « الجنفل » صيغة حضرية نشأت في بيئة تراعى خفوت الصوت والتقايل من وضوحه ، أما إذا كانت الثانية هي الأصل رجحنا أن « الجنل » قد نشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحاً في السمع . وسنورد فيما بعد مجموعة كبيرة من أمثال هذه الكلمات التي يعدها الحدثون مترادفات وهمية . « فالجنل والجنفل » ليست في الحقيقة إلا كلمة واحدة . وهكذا يتبين لنا مغالاة أولئك الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات من المترادفات .

فإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية ، اتضح لنا أن الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة ، وإنما يمكن أن ياتمس في اللغة النموذجية

الأدبية . ففي القرآن الكريم الذى نزل بهذه اللغة ، والذى نطق به الرسول للمرة الأولى ، نرى الترادف فى بعض ألفاظه . ولا معنى لمفالة بقض المفسرين حين يلتصقون فى كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يرونه فى نظرائه من الألفاظ الأخرى . ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآيات الكريمة التى تترهن على وقوع الترادف فى كلمات القرآن :

١ — « تالله لقد آثرك الله عليا » : وأنى فضلتكم على العالمين ،

١ — حتى إذا حضر أحدهم الموت : حتى إذا جاء أحدكم الموت ،

٣ — بعث فيهم رسولا : فأرسلنا فيهم رسولا ،

٤ — البلد : القرية ،

٥ — وماوهم النار وبئس مثوى الظالمين : فإن الجحيم هى المأوى .

٦ — فلا تأس على القوم الكافرين : ولا تحزن عليهم .

٨ — وأقسموا بالله جهد أيمانهم : ثم جاءوا يخلفون بالله .

٨ — فتوبوا إلى بارئكم : قل الله خالق كل شيء .

ويظهر أن السر فى إنكار الترادف ، أن أصحاب هذا رأى كانوا من الاشتقاقين الذين أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه ، حتى الأسماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية ، أبوا إلا أن يجعلوها لها أصلاً اشتقت منه . فنراهم يقولون إن « إبليس » مشتق من كيت ، « جهنم » مشتقة من كذا !!!

ويقولون إنما سعى الإنسان إنساناً لأنه ينسى ، وسعى الشيطان شيطاناً لسبب تلمسوه هم واخترعوه !

ولعل ابن دريد فى كتابه الاشتقاق ، هو المسئول الأول عن هذه المدرسة ، فقد حاول إرجاع جميع أسماء القبائل والأمكنة المشهورة إلى أصل اشتقت منه أو سميت من أجله . فكان يقول إن قضاة إمام من قولهم انقضع الرجل عن أهله إذا بحد

عنهم ، أو من قولهم تقضع بطنه إذا أوجعه !!
ثم جاء ابن فارس فبلغ بهذا الاشتقاق الذروة ، وألف معجمه الذى سماه
مقاييس اللغة ، واضعاً نصب عينيه أن يجمع أكثر ما يمكن جمعه من كلمات يمكن
أن تشتق لها أصول .

فإذا قلت لهم إن « القمح والبر » كلمتان مترادفتان ، فربما قالوا لك : إن
« القمح » من قحمة أى استقته ، ولكن البر من أصل آخر معناه الصلة والخير !!
هذا إلى أن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين
يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراءى
غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ويرعونها رعاية
كبيرة ، ينقبون عما وراء المدلولات ، ساجدين فى عالم من الخيال يصور لهم من
دقائق المعانى وظلالها ، ما لا يدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم . وفى كل
هذا من المبالغة والمغالاة ما يأباه اللغوى الحديث فى بحث الترادف .

فإذا أبعدت من المترادفات تلك الكلمات التى تحايل عليها من أثبتوا
الترادف ، وخلقوا بينها مماثلة المعنى ، كما أنه إذا أبعدت تلك الكلمات التى
لم ترد فى نص لغوى صحيح النسبة ، وجدنا أنفسنا أمام عدد مقبول من المترادفات
فى اللغة العربية :

ويجدر هنا أن نشير إلى أهم الأسباب التى ولدت الترادف فى كلمات اللغة
العربية ولدى علماء العربية :

(١) إثثار بعض القبائل لكلمات خاصة تشيع بينها وتكاد تكون مجهولة
فى القبائل الأخرى ، كما لاحظنا فى الروايات التى أشرنا إليها آنفاً مثل :

١ — شلحاء = السيف عند أهل الشَّحَر .

٢ — قحح الشيء = سفّه عند أهل اليمن .

٣ — نفّاح المرأة زوجها يمانية .

٤ — إبل صحصح بمعنى كثير عند هديل .

وتولد مثل هذه الكلمات ترادفاً في اللغة العربية على أساس أن الجريرة العربية كلها بيئة لغوية واحدة ؟ أما حين نطبق عليها شروط المحدثين في الترادف فإنها تستبعد من بين الكلمات المترادفة .

(ب) استعارة كلمات من لهجة من اللهجات ، أو لغة من اللغات ، بسبب الغزو أو لهجات ، أو الاحتكاك بين القبائل ، فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة ، وفي هذه الحالة لا تتساوى نسبة الكلمتين في الشيوخ ، بل ينظر عادة إلى الكلمة المستعارة نظرة أرقق وأسنى في الاستعمال ، وذلك لأنها احدثت من قوم أرقق في الناحية الاجتماعية أو السياسية ، أو لأنها أخف على السمع وألطف في الجرس .

وقد أجمع الرواة على أن قريشاً كانت تتخير من كلمات القبائل في مواسم الحج والأسواق ، ما خف على اللسان وحسن في السمع ، حتى لطفت لهجتهم ، وحاد أسلوبهم :

كالخيزر مع السندس والاستبرق ، وكاليم مع البحر . وقد ذكر صاحب شفاء الغليل أن [الأسطول بمعنى سفن القتال ، مما استعارته العرب وقد وقع في أشعارهم بعد العصر الأول . وأن البند بمعنى : « العلم » تسكلمت به العرب قديماً . وأن « الجؤذر » معرب ، وتسكلمت به العرب قديماً .] .

هذا إلى الفردوس مع الجنة ، والصراط مع الطريق والسبيل ، قال الجاحظ في البيان والتبيين : أهل المدينة نزل فيهم ناس من الفرس فعلقوا بألفاظهم فيسمون السوق الزار .

(ج) هناك صفات تفقد عنصر الوصفية مع مرور الزمن ويصبح أسماء لا يلاحظ الكاتب أو الشاعر ما كان عليه ، ويؤدى هد إلى الترادف ونحن نلاحظ هذا بصفة خاصة ، في تلك العلامات العربية التي تعبر عن أشياء ذات

اتصال وثيق بالبيئة البدوية ، والحياة الاجتماعية فيها .

وفما روى للجمل والسيف والعسل من كلمات عربية كثيرة ، خير شاهد على ماقول ، ولا سيما حين يراعى مفهومها بين الناس في عصر معين . فالسيف كان يمانياً وكان هندياً وكان لكل من النوعين سمات خاصة تميز هذا من ذاك ، ولكن مثل هذه السمات قد تنوسيت وأصبح الشاعر فيما بعد يستحل لنفسه استعمال كل من اليماني والمهند ، ولا يعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السياف .

(د) من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء ، وتختلف في البعض الآخر ، ويمكن تشبيهها بدوائر متحدة المركز ، ومختلفة في جزء من سطوحها ، أو مشتركة في جزء من السطح فقط . فإذا مر عليها زمن طويل ، ودعت عوامل تغير المعاني أن تنطبق الدوائر بعضها على بعض ، أصبحت تلك الكلمات مترادفة . لأن المعاني لا تبقى على حالة واحدة ، فقد يصبح الخاص عاماً أو يصبح العام خاصاً .

فإذا قارنا بين الكلمة [هلك] في العربية ، وجدنا معناها في العبرية لكل نوع من الذهاب ، في حين أن معناها في العربية قد تحدد فأصبح مقصوراً على نوع واحد من الذهاب وهو [الهلاك] ، وقد أدى مثل هذا التطور إلى الترادف بين الموت والهلاك .

(هـ) المجازات المنسية قد تولد نوعاً من الترادف في الكلمات ، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالاً مجازياً ، يطول العهد عليه ، فيصبح حقيقة . وهنا نرى كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية ، جنباً إلى جنب مع تلك التي أخذت معانيها عن طريق المجاز .

والمعاني الأصلية الحقيقية ، هي المعاني الحسية ، التي يتفرع عنها عادة عن طريق المجاز ، ما يشيع من معنويات . فالرحمة مثلاً قد اشتقت من [الرحيم] موضع الولد ، والمكان الذي يلد الأبناء والأحوات ، فتشأ بهم صلة من الحب

والعطف . فلعل الرحمة في الأصل هي عملية النسل من الأرحام ، ثم استعملت في قديم الزمان عن طريق المجاز في الصلة بين الذين يولدون من رحم واحد . وقد تقدمت الجهود على هذا المعنى المجازي حتي أصبح حقيقة ، وبهذا نشأ الترادف بينها وبين كلمة مثل (الرأفة) .

لا نريد بعد هذا أن ننساق مع بعض العلماء حين عددوا فوائد المترادفات للكاتب والشاعر والخطيب ، لأن مثل هذا البحث قد يخرجنا عما نهدف إليه في هذا الكتاب ، وإنما نريد الإشارة إلى ذلك النوع من الكلمات التي ظنها بعض العلماء من المترادفات ، في حين أن اختلاف الصورة بينها ، ليس إلا ظاهرياً ، وأنها كلمات ذات أصل واحد ، وتطورت صورتها لعامل من عوامل تطور الأصوات .

وليست هذه الكلمات بمترادفات على حسب المعنى الدقيق للترادف . وقد مثل القدماء لقليل من هذه الكلمات ، دون أن يشرحوا لنا العلاقة الصوتية بينها . لهذا قمت بجمع عشرات من تلك الكلمات ، وأوردها هنا مبوبة مع شرح العلاقة الصوتية بينها ، وكيف تطورت إلى صور متعددة .

الشدة والرخاوة

١ — الهززة والهاء :

هلبت السماء القوم مطرتهم مطراً متتابعاً : ألبت السماء دام مطرها .
 أتته بالحجة : ألت سرد الكلام ، والهتات الكثير الكلام .
 الأرز ، رمى السلاح : هرّ سلحه استطلق .
 الأصر العطف : المصّر عطف شيء رطب .
 أنزّ : هنزّ الألسي اختلاط العقل : مهتلسي العقل مسلوبه ،

- الأبش الجمع : الهبش . يأش : يهش .
أضه كسره : هضه وطئه فشدخه . أضّ كسر : هضّ .
أراق : هراق . أزم القوم استأصلهم : هزم .
بدهه بأمر : بدأه به . درأ الرجل خرج فجأة : دره هجم وطلع .

٢ — الهززة والعين :

- بدأ الله الخلق خلقهم : بدعهم . الخباء : الخباع .
دنع الصبي خضع وذل ولؤم : الدنى . شناه كرهه : شنيع كرهه .
الأزر التقوية : التعزيز . ألاك الفرس اللجام : علكه .
الآثم زيتون البر . العُثم .

٣ — الباء والجيم :

- كبح الدابة : كبجها . الطّـبش الناس : الطمش .
رأيته عن كئيب : رأيته عن كئيم . ثلبه : ثله . اطمأن : اطمأن .
المبخور : المخمور .

٤ — الباء والقاء :

- ناقة زفون : زبون . إقانة : إبانة . القسكل : البُسكل .

٥ — الضاد والقاء :

- عظّته الحرب : عضته .
ظجّ : صاح في الحرب صياح المستغيث وبالضاد في غير الحرب .
فاظّهات : فاضت روحه .

٦ — الدال مع الزاي :

دشّ الرجل سار : دشّ . الدغدغة : الزغزغة
فشرّد بهم : فشرذ بهم (قراءة) .

٧ — الجيم والباء :

شجرات : شيرات

٨ — التاء مع السين :

اتخذ : استخذ

الجهر والهمس

١ — الدال والتاء :

المدّ : المت .

هرد اللحم أنعم إنضاجه أو طبخه حتى يهراً : الهرّت الطبخ البالغ .
فدغه شرخه : فتفة . فدرّ الفحل : فتر .

٢ — الذال والتاء :

بثّ الخبز نشره وفرقه : البذ من التمر المنتثر . الجثّ القطع : الجذ .
المثّ الوعد تلاية الوفاء : المذّ الكذب . تلعم : تلعمذ .
جذوة : جنوة . جذا : جثا .

٣ — الجيم والسبن :

جزر قطع : الشرز القطع . حظه طرده : شطّ القوم طردهم .
الجفن : شفن نظر بمؤخر عينه .

٤ — العين والحاء :

الفلح الشق وفتح الأرض شقها : فلمه شقه .
لطحه ضربه بيطن كفه أو ضرباً ليناً على الظهر : اللطع أن تضرب مؤخر
الإنسان برجلك .
أمتع النهار ارتفع : متع النهار ارتفع قبل الزوال . حطب سمن : عذب
الحوّس الجوّس : العوس الطوفان بالليل .
حنشه عن الشيء عطفه : عنش . الحبكة : العبكة .

٥ — الفين والحاء :

زاغ في المنطق جار : زاخ . الخود الناعمة الراقية : الغيد .
خرز الجلا بالخرز ثقبه : غرز الإبرة . الأخن : الأغنّ .
الخنة : الغنة .

٦ — الزاي والسبن :

الخرز الموضع الحصين : حرس الشيء . غرس : غرز .
سنخ الدهن : زنج . رد الدرع : مردها .
الزلع شقاق في ظاهر القدم وناطنه : السمع الشق في القدم .
زفت الريح السحاب طردنه واستخففته : سفت الريح التراب . الزفت : السفت

الاطباق والاستفال

١ — الصاد والسین :

- الدخيس اللحم المكتنز : دخست الجارية امتلأت شحماً .
 الرعس الارتعاش والانتفاض : الرعص النفص والهز وارتعص انتفض .
 المنص : المنس . ما ينبس ما يتكلم : ما ينبص .
 السقُب ولد الناقة : الصقب .
 سفح الجبل عُرْضه المضطجع : صفح الجبل مضطجعه .
 الصراط : السراط . الصعوط : السعوط .
 السنط : الصنط . سلطه : صلطه . سفغ : صفع .
 صلفت الشاة : سلفت . السخب : الصخب . البساق : البصاق .

٢ — الطاء والذال :

ذأته خنقه : ظأته

٣ — الطاء والتاء أو الدال^(١) :

- غته في الماء : غطه . هتلت السماء : هطلت .
 الفلت : الفلط . دلغ لسانه أخرجه : طلع .
 دحه دفعه شديداً : الطأحوم الدفعوع .

(١) الطاء كما تنطق الآن هي الصوت المطبق للتاء ولكن يظهر أنه كان ينطق بها قديماً كطبطي الداه . أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٥٣ .

نسبة الوضوح في السمع

هناك أصوات اتحدت في الصفة ولكنها اختلفت في نسبة وضوحها في السمع وهذه الأصوات، يحل بعضها محل بعض ، كالراء مع اللام ، فإن الأولى أوضح في السمع من الثانية ، مع أن كلا منهما من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين . وكذلك السين مع الفاء ، والحاء مع الهاء ، والثاء مع الفاء .

١ - الراء واللام .

الرَّخْفُ الزَّيْدُ : اللَّخْفُ . رمقه لحظه : اللق النظر .
رَبَّكَ خَلَطَهُ : اللَّبَّكَ الْخَلَطُ . الرمز واللمز : الإشارة .
رتب رتوباً ثبت : اللَّتْبُ الزَّيْدُ والثبات .
الخيزرى مشية خاصة : الخيزلى . رَبَدَ أَقَامَ : لَبَدَ .
الركود السكون : لكد عليه الوسخ لزمه . جرفه : جلفه
رعل : لعل . تبرص : تهلص .

٢ - الثاء والفاء .

جذث : جدف . الجثث النمل : الجفل .
ثار : فار . اشجر الماء : انفجر .
الثفر الفم : ففر الفم بابه . ثلع رأسه شدحه : الفلح الشق .
مغفور : مغثور . نجل عظم بطنه واسترخى وغلظ .

٣ - السين والفاء .

رجست السماء رعدت شديداً : رجف الرعد ترددت هدهدته في السحاب .

وارتجس البناء : رجف .

الشوس النظر بمؤخر العين تكبراً أو تقيظاً : الشَّنْف النظر إلى الشيء
كالاعتراض عليه أو كالكاره له .

الوجس الفزع : وجف يحف اضطرب خوفاً . سطح فطح .
السلع الشق في القدم : الفلع . السحَم : الفحَم .

٤ — الحاء والهاء .

التحريش بين الناس الإفساد : التهريش .

ويمكن أن نعزو معظم ماتقدم من أمثلة ، إلى الاختلاف بين البيئة البدوية
والبيئة الحضرية ، كما أشرنا في موضعه . على أن منها ما يمكن أن يعزى إلى
أخطاء الأطفال ، أى أنها كانت تستعمل في البيئة الواحدة ولكن في أجيال
مختلفة منها .

أمّا الكلمات التى سنوردها فيما بعد فهى تختلف إما في مجرى الصوت من
الفم أو الأنف مع الاتحاد في الصفة ، أو تختلف في مخرج الصوت ، وذلك بانتقاله
من موضعه إلى موضع آخر أيسر في النطق ولا يحتاج إلى جهد عضلى ، أو قد
تختلف في ترتيب أصواتها .

اختلاف المجرى

الشتل غلاظ الأصابع : الشثن . غملَ الجلد : غممه .

امتقع لونه . التقع . لعلَّ . لمنَّ .

أصيلالا : أصيلانا .

اختلاف المخرج

١ — الطاف والتاء .

بتسكه قطعه : بتته . عرت أنفه ذلكة وحكه : عرك ذلكه وحكه .
الأعفت الأحق : عيفك حَمَقَ جداً .
تخ زجر للدجاج : كخ كخ زجر للصبي .

٢ — القاف التي كان ينطق بها في الأصل كالغين^(١)، حلت الغين محلها في بعض الكلمات ، ثم همست كما تنطق بها الآن فحلت الكاف محلها في بعض الكلمات :
غثم له من المال دفع له دفعة جيدة : قثم .

القمس القوص : القمس . قرته الأمر : كرفته .
الدك : الدق . الدعكة : الدعقة .

حزقه صغفه وشده : حركه عصبه وضمغه .
القُحَّ : الكح . القهر : الكهر .
الفسق : الفسك . القحط : الكحط .

٢ — السين والسين .

الرْعَس : الرعش . الغبس الظلمة . الغبش .

معسه ذلكه شديداً : المعش ذلك الرقيق .

النس السوق والزجر : النش السوق الرقيق .

مهشه : أخذه بأضراسه وبالسين أخذه بأطراف أسنانه .

سثفت يده تشققت وتشعث ما حول الأظافر : شثفت أصابعه تشعث

ماحول أظافرها .

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٧٢ .

اختلاف ترتيب الأصوات

اللجيز : اللزج . جذب : جبد . ربص : رصب .
صاغة : صاعة . عميق : معيق .
لبكت الشيء : بلكته . سحب مكفر : ومكهرب .
اضحل : امضحل .

— ٢ —

المشترك اللفظي

لابد في الحديث عن اللهجات العربية من التعرض لنوع من الكلمات ،
رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . وقد تعود القدماء أن يسموا هذا النوع
من الكلمات بالمشارك اللفظي ، لأن الكلمة الواحدة مع محافظتها على لفظها
وأصواتها ، تعبر عن أكثر من معنى واحد .

وقد عرض القدماء في محوهم لهذه الكلمات ، فأنكروها بعضهم ، وتأول
ما ورد منها بأن جعل أحد المعنيين حقيقة والآخر مجازياً ، وعلى رأس هذا
الفريق ابن درستوريه . ولكن الكثرة من علماء اللغة ، قد ذهبوا إلى ورود
المشارك اللفظي ، وضربوا له أمثلة كثيرة ، وعلى رأس هؤلاء الأصمعي ، والخليل ،
وسيبويه ، وأبو عبيدة ، وغيرهم . بل لقد أفرد بعض هؤلاء مؤلفات خاصة
سردوا فيها أمثلة المشارك اللفظي^(١) .

ويظهر أن كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه . وبعد عن جادة
الصواب في عنده ، إذ لا معنى لإسكار المشارك اللفظي مع ما روى لنا في الأساليب
العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة . لا تنطرق إليها الشك . كذلك لا معنى

(١) انظر دلالة الألفاظ ٢١٢ — ٢١٥ .

للمعلاقة في رواية أمثلة له مع ما في هذا من التمسك والتكلف . ولكن كما اختلف القدماء في ورود الترادف اختلفوا أيضاً في ورود المشترك اللفظي ، وذلك لأن كل فريق قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة ، فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة والمجاز ، قد نظروا إليها نظرة تاريخية ، وتبعوها في عصورها المختلفة ، وتلك هي الطريقة التي سمينها آنفاً Diachronic . أما الآخرون فنظرتهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا في الكلمات ومعانيها في عصر خاص ، وتلك النظرة التي سمينها Synchronic .

وليس الأمر من البساطة بالقدر الذي تصوره القدماء من علماء اللغة ، إذ وقع المشترك اللفظي في كل لغة ، وقد دعت عوامل متعددة لوقوعه . فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير ، قد تتطور معانيها وتتغير ، مع احتفاظها بأصواتها . وتطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات ، هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى .

ولعل أهم عامل في تغير المعنى هو الاستعمال المجازي ،^(١) وليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازي مقصوداً متعمداً ، كما نلاحظه في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد في البيئة اللغوية في وقت واحد . ودون مواضع أو اتفاق بينهم . فالناس في لغة تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم وإبرازها في صورة جليلة ، دون أن يعمدوا إلى هذا عمداً ، أو يرغموا في إظهار براعة في الكلام . فكما تعودوا أن يقولوا رأس الانسان ، قد يقولون أيضاً رأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيراً رأس الحكمة ! ولا يفتنون بكلمة (رأس) في كل استعمال من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كل شيء ، وإن اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها . ونحن في فهمنا لمعاني الأشياء لا نتطلب الدقائق والتفاصيل فيها ، بل سكتني عادة بفكرة سريعة ذات ارتباط بتجاربنا السالفة .

(١) انظر دلالة الألفاظ ١٢٨ - ١٣٣ .

فحين نسمع للمرة الأولى استعمالاً مثل « رأس الجبل » لا نحاول تحليله إلى دقائقه ، وإنما نربطه ربطاً سريعاً بتجارينا السابقة التي منها فهمنا أن رأس الإنسان هو أعلى جزء فيه وأبرزه ، فنقبل هذا الاستعمال الجديد متى كان يمت بعلاقة ما لاستعمال قديم ، وهكذا تنتقل معاني الكلمات من محيط إلى آخر . وقد يكون الاستعمال الجديد من عمل فرد ممتاز في البيئة اللغوية كشاعر أو كاتب ، كما قد يكون من عمل مجموعة من الناس دون مواصفة أو اتفاق بينهم . وانتقال الكلمات من محيط دلالي إلى محيط آخر هو الذي اصطلاح على تسميته بالمجازات . على أن المجازات تخضع عادة للذوق العام ، فإذا أسرف الشاعر في مجازاته ، أو غالى فيها أو بعد بها عن يئسه لم يقبلها الذوق العام : ولا تلبث أن تموت . وحين تمر الأيام على تلك المجازات ، ويكثر استعمالها ، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها ، وتصبح معانيها حقيقية . والبحث عن تلك المجازات المنسية أمر ليس باليسير ، لأنه يتطلب التوغل في العصور التاريخية للبحث عن نصوص قديمة فيها استعملت الكلمات بشكل مجازي واضح ؛ أو يتطلب البحث في تاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم لنستطيع الوصول إلى أن المعنى الذي يبدو لنا الآن حقيقياً ، كان في بدء استعماله مجازياً ، لما كانت عليه تلك الأمة من تقاليد كذا وكذا . وكل تغير في الحياة الاجتماعية يستتبع تغيراً في معاني بعض الكلمات التي قد تحتفظ بصورتها ، وينشأ من هذا ما نسميه بالمشارك اللفظي . فمثلاً الكلمة التي تعبر في كل اللغات الأوربية عن [الكهرباء] قد اشتقت من كلمة إغريقية قديمة كانت تعني ذلك الحجر المسمى بالكهرمان ؛ وذلك لأن الكهرمان كان معروفاً منذ القدم بأنه يجذب بعض المواد الصغيرة بعد حكه . ولنا الآن شك في أن الكلمتين اللتين تعنيان في اللغات الأوربية كهرباء ، كهرمان ، من أصل إغريقي واحد ، رغم أنهما عربتا بصورتين مختلفتين بعض الاختلاف .

وشرط المجاز في رأيي ، أن يثير عند سماعه دهشة أو غرابة ، أي يحس

السامع أو القارئ أن في استعمال السكامة بهذا المعنى أمراً غير عادى ينبغى قليلاً أو كثيراً عن مألوف الناس وفهمهم لمثل هذه السكامة . فليس من المجاز ما يحدثنا به علماء البلاغة من أن في قول القائل « حكمت المحكمة » مجازاً ، ولا في « جرى النيل » ، « طلعت الشمس » ، « ركب المخاطر » ، ونحو ذلك من أساليب تنوسيت فيها الناحية المجازية ، وأصبحت من الشيوع والدوران بحيث لا تشيز في الذهن دهشة أو غرابة .

أما حين تجمل مثل هذه التراكيب وينظر إليها النظرة التاريخية فيمكن أن يقال إنها حين استعملت للمرة الأولى — ولا ندرى متى كان هذا — قد أثارت في أذهان الناس تلك الدهشة أو الغرابة التي تتطلبها في المجاز .

المعاني إذن لا تبقى على حال واحدة بل هي دائمة التغير ، وإن كان تغيرها بطيئاً ، يمر في أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر ، كذلك نرى تغير المعاني مقصوراً على بعضها دون البعض الآخر ، وذلك لتلك الظروف اللغوية الخاصة التي قد تطرأ على بعض الكلمات فقط . وكما قد تحافظ بعض الكلمات على أصواتها ولفظها ، كذلك قد تحافظ بعض الكلمات على معانيها .

أما أهم العوامل التي تسبب تغير المعاني فيمكن أن نلخصها فيما يلي :

(١) الانتقال من الحقيقة إلى المجاز : وهذا هو أهم العوامل ، وإليه يمكن أن يعزى معظم اختلافات المعاني وتغيرها .

والمجازات قد تكون من عمل الأفراد الموهوبين في شعر أو نثر ، كما قد تكون من عمل جماعة من الناس في البيئة اللغوية . ومجازات الشعراء والكتاب حين يعمدون إليها في أساليبهم للمرة الأولى ، تصدر منهم عمداً ، ولغاية خاصة ، أما المجازات الأخرى فإنما يدعو إليها تغير في الحياة الاجتماعية ، أو تقدم في الحياة العقلية . وهنا قد ينتقل المعنى الحسي إلى مجال المنويات .

(ب) سوء فهم المعنى : قد يسمى الطفل فهم معنى الكلمة في البيئة المنعزلة ثم ينشأ هذا الطفل دون أن يصلح له ما فهم ، فتراه يستعمل الكلمات في معنى جديد ، إن لم يكن مخالفاً للمعنى الأول كل المخالفة ؛ فلا أقل من أن نرى بين المعنيين بعض الاختلاف ؛ فتغير المعاني قد يكون من أخطاء الأجيال الناشئة .

وليس من السهل التمييز بين الكلمات التي اختلفت معانيها بسبب استعمال مجازي ، وبين تلك التي تعددت معانيها بسبب أخطاء الأطفال ، على أنه يمكن بوجه عام أن ننسب تغير المعاني في كلمة من الكلمات إلى عبث الأطفال حين لا نلاحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد . وحكمنا في هذه الحالة مرجح لا مؤكد ؛ لأن بعض المجازات المنسية قد نشأت في ظروف لغوية خاصة ، ومضى عليها زمن طويل فأصبح من الصعب الكشف عنها .

(ج) قد تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها . وهنا قد نرى كلمتين متحدثتين في الصورة ، مختلفتين في المعنى ولكن كلا منهما ينتهي في الأصل إلى لغة مستقلة . ومثل هذا النوع من الكلمات نادر وهو وليد المصادفة ، ولكنه قد يولد لنا المشترك اللفظي ^(١) .

« فالبرج » بمعنى الحصن قد استعارته اللغة العربية من اللغة اليونانية ، فليست بلاد العرب بيئة للحصون والأبراج ، ومع هذا تشتمل اللغة العربية على هذه المادة « برج » وتتخذها في عدة معان لا تمت للحصون بصلة ما ، فهي مادة عومية أصيلة - فإذا تصادف أن كان بين كلمات اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير عن صفة خاصة في العين ، أو للتعبير عن الزينة والتزيّن وجاءت على صيغة « البرج » . ولد هذا في اللغة ما يسمى بالمشارك اللفظي .

ويظهر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى إمكان وقوع هذه الظاهرة في لغة . بدليل قوله : [لا يضّرّ العرب كونه موافقاً للفظ عربي « كسكر » فإنه

(١) خير مثل لهذا في اللغة الإنجليزية كلمة Race بمعنى سباق من أصل جرمانى وبمعنى جنس من أصل لاتيني .

معرب وإن كان عربى المادة بمعنى أغلق . قال تعالى « سكرت أبصارنا » . كذلك لا يضر ما صحت عربيته موافقته لفظاً فارسياً أو قربه منه كضنك وتنك وجناح وكناه] .

(د) قد يتغير معنى الكلمة فى لهجة من اللهجات ، ثم يمر زمن طويل خلاله ينسى المعنى الأصلى ، وتلتزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمة فى معناها الجديد دون سواه . وهنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدة الصورة فى معان مختلفة . ويظهر أن هذه الظاهرة قد لعبت دوراً هاماً فى اللهجات العربية إذ تغيرت معانى بعض الكلمات فى بعض اللهجات دون البعض الآخر لظروف لغوية خاصة . فلما جمعت اللغة خيل لجامعيها أن إحدى القبائل تستعمل هذه الكلمة فى معنى من هذه المعانى . فى حين أن قبيلة أخرى تستعملها فى معنى آخر . والحقيقة أن معنى هذه الكلمة قد تغير فى لهجة من اللهجات دون أن يطرأ عليه تغيير فى اللهجة الأخرى .

فحين تذكر لنا المعاجم القديمة أن « الهجرس » تعنى القرد فى الحجاز . وتعتبر عن الثعلب عند تميم ، لانشك فى أن الكلمة كانت تطلق على أحد الحيوانين وحده لأن البيئة الصحراوية تناسبه ويكثر فيها أمثاله . ثم تغير هذا المعنى لظرف من الظروف المجهولة لنا فأصبح يعنى عند قبيلة من القبائل شيئاً آخر غير الشائع للمألوف . ثم جاء جامعوا اللغة وذكروا لنا معنيين لهذه الكلمة الواحدة . (هـ) هناك كلمات كانت تستعمل فى الأصل مختلفة الصورة والمعنى . ثم تطورت صورة بعض منها حتى ماثلت البعض الآخر . وهكذا رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . فاشتراك الصورة فى مثل هذه الكلمات لم ينشأ عن اشتراكها فى المعنى الأصلى . وإنما نشأ عن تغير فى أصوات بعضها ؛ ترتب عليه مماثلة فى اللفظ . واختلاف أصلى فى المعنى .

ونحن حين نستعرض أمثلة المشترك اللفظى . كما رويت لنا فى المعاجم العربية ونحاول إرجاعها إلى العوامل المتقدمة . نراها من الكثرة والاضطراب فى روايتها

بحيث تعي الباحث المدقق عن الحكم عليها حكماً قاطعاً . وكيف يمكن القطع فيها برأى مع جهلنا بالحياة العربية قبل الإسلام . هذا إلى أن تلك الكلمات مرّت في أحقاب بعيدة ، وفي ظروف اجتماعية مجبولة ، قبل أن تروى لنا على هذه الصورة التي نشهدها في المعاجم . وكل الذي نستطيع تأكيده بصدد هذا ، أن معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب التغير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين .

وليس هناك ما نستدل به على تغير المعاني في بعض الكلمات خير من تلك الأخطاء الإنشائية الشائعة بين تلاميذنا ، وفي بعض صحفنا حين تستعمل بعض الكلمات في معان لم ترد في المعاجم .

وكلنا يعلم أن مدرس اللغة العربية في صراع مستمر مع تلك المعاني الجديدة لكلمات قديمة ، ينكرها حيناً ويقبلها حيناً آخر ، دون أن يعلم الظروف التي أدت إلى مثل هذا التغير في المعنى . فقليل من التلاميذ من يستعملون كلمة مثل [العتيد) أو (عيال) في معناها الذي روته المعاجم . وقد اشتملت لغة كلامنا على كلمات كثيرة عربية الأصل ، احتفظت بصورتها فقط ، دون معناها الأصلي . وكان أساتذتنا يابون عليها استعمال « التكتاف » بمعنى التعاون ، ويرفضون قبول « كرّس حياته لكذا » ، كما علمونا أن الثوب المهلهل هو الرقيق النسج الذي يكاد يشف عمتاً تحته ، وليس الخاق الممزق كما قد يتبادر لبعض الأذهان . هذا إلى ما شاع في لهجات كلامنا الآن من استعمال « السبع » مقصوراً على الأسد ، وبصيّ يصح بمعنى نظر ، والتبجّح بمعنى المغالاة في الجرأة مع وقاحة واستهتار ، وطبّ عليه أى فاجأه ، وباش ييوش أى ذاب .

بقى أن نلقى نظرة سريعة في بطون المعاجم اللغوية للتلقيط منها بعض الأمثلة العربية التي توضح لنا اضطراب الرواية في معاني الكلمات وصعوبة الكشف عن العلاقة بينها :

١ — فالليث من معانيه : الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ !! فكيف عبرت هذه الكلمة عن كل هذه المعاني ، وما هي الظروف اللغوية التي ترتب عليها مثل هذا الاختلاف ؟ ؟

٢ — وما العلاقة بين المعاني التي رويت لكلمة الفخّخت : ضوء القمر ، نسل الطباخ الفدرة من القدرة ، ثقب مستديرة في السقف ! ؟

٣ — وكيف عبر بكلمة (البلد) عن : مكة ، كل قطعة من الأرض مستحيرة عامرة ، التراب القبر ، الدار ، الأثر ! ؟

٤ — وكيف التقت المعاني الآتية في كلمة النجم ؟
الكواكب . نبات نجم على غير ساق ، الوقت المضروب والأصل الخ !
غير أننا نلاحظ العلاقة واضحة جلية بين معاني بعض الكلمات مثل :

١ — الجبل : ما علا من الأرض . سيد القوم . عالمهم .

٢ — التفاحتان : رموس الفخذين في الوركين .

٣ — العنبة : بثرة تخرج بالإنسان .

والذي نلاحظه بصفة عامة أن كثيراً من الكلمات التي تسمى بالمشتراك اللفظي تجمع بين معنيين . أحدهما حسي والآخر معنوي . ولا شك أن المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسي ، وأن المعنوي فرع عنه بطريق المجاز .

وقد عني الزمخشري في معجمه أساس البلاغة بتبيان المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات ، ولكنه لم يوفق في كل حالة ، فقد ضل الطريق حين حاول اشتقاق معنى حسي ، من آخر معنوي ، مع أن الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات هو أن المعاني الحسية أسبق في الوجود . وأجدر بأن تعد المعاني الحقيقية . وغيرها فروع لها عن طريق المجاز . وقد وقع في نفس الزلل بعض الرواة المشهورين مثل : أبي عمرو بن العلاء حين روى قصة اشتقاق الخيل من الخيلاء . وقال لصاحبه

مؤيداً هذا الزعم ألا تراه يمشى العِرضنة ؟

وليت شعري كيف يمكن هذا مع أن الناس قد عرفوا الخيل قبل أن يعرفوا الخيلاء . فإذا صح أن هناك علاقة بين الخيل والخيلاء . فالأولى أن يقال إن الخيلاء من الخيل لا العكس .

ولا بأس هنا أن نورد بعض الأمثلة التي وردت في أساس البلاغة . لنؤيد ما نذهب إليه من أن المعاني الحسية ، أسبق في الوجود ، وأنها مصدر الاشتقاق لغيرها من الكلمات : —

١ — ألجن مشتق من الجبّانة والجبّان أى الصحراء .

٢ — جثم الطائر مشتق من الجثمان .

٣ — دجج بمعنى زين مشتق من الديباج .

٤ — جدثوه غيبوه في الجدث .

٥ — خيم الظلام من الخيمة .

ولهذا لا نتجنى على اللغة حين نرجح أن معظم المعنويات التي لا ندرك لها مصدر اشتقاق ، والتي تبدو لأول وهلة حقيقية المعاني ، ليست في الحقيقة إلا مجازات منسية .

على أن البحث والتنقيب يوقفنا في معظم الأحيان على المعاني الحقيقية الأصلية لتلك المعنويات فانظر مثلاً :

١ — الرطانة وهي العجمة في النطق قد اشتقت أصلاً من معنى حسي هو :

إذا كثرت الإبل وكانت رفاقاً ومعها أهلها فتسمى الرطانة . والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي هي الجلبة مع الإبهام .

٢ — وكذلك البطلان التي منها الباطل ضد الحق جاءت من كلمة الباطل

بمعنى إبليس . وقد ورد المعنى الأصلي في القرآن الكريم (وما يبدىء الباطل وما يعيد) .

٣ — الطمع في الأصل معناه رزق الجند.

٤ — السفاهة في الأصل من سفهت الطعنة أسرع منها الدم وجف .

ولكن حين يسائل المرء نفسه عن المعاني الأصلية للجوع والعطش والرعب والفرح ، لا يكاد يعثر على معان حسية تعدّ مصدراً للاشتقاق لها . ولعلّ هذا لأن مثل تلك الممنويات قديمة بعيدة القدم ، ولا سبيل إلى التوغل في تاريخ الإنسان لنعرف كيف عرف الجوع والعطش ، أو الخوف والفرح أول الأمر ، وكيف بدأ يشتق كلمات تعبر عنها ؟

وقد يكون من العبث أن نسرف هنا في ذكر أمثلة لما يسمى بالمشترك اللفظي ، لأن المعاجم العربية قد ملئت بها ، ومن اليسير الوصول إليها بمجرد الكشف في القواميس ، ومن اليسير أيضاً إرجاع تلك الأمثلة التي يعثر عليها إلى عامل من العوامل الآتية الذكر .

غير أنا سنغنى هنا بالعامل الأخير من عوامل المشترك اللفظي ، لأن القدماء لم يثيروا إليه ، أو لم يفتنوا بالإمكان حدوثه ، وهو أن بعض الكلمات لم تشترك في اللفظ إلا بعد تطور في أصوات بعضها ، وأن هذا الاشتراك في اللفظ لم يكن في الحقيقة إلا وليد المصادفة ، فانظر مثلاً إلى الكلمات الآتية :

١ — روت المعاجم أن [التغَب] لها معنيان غير ظاهري العلاقة ، وهما الوسخ والدرن ، والقحط والجوع . ثم في موضع آخر نجد أن «السَقَب» معناه الجوع ! ويظهر أن كلمة «السَقَب» قد تطورت في لهجة من اللهجات ، ولظرف من الظروف الخاصة ، حتى أصبحت [التغَب] من المشترك اللفظي . وقد يستأنس لهذا الرأي بما روى عن بعض قبائل اليمن من مياها إلى قلب السين تاء ، فيقولون (النات) بدلاً من [الناس] . فلعل كلمة (السَقَب) قد نطق بها في القبائل اليمنية (التغَب) ، مع احتفاظها بمعناها وهو الجوع ، ثم جاء جامعو المعاجم ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التغَب) ، وعدوها من المشترك اللفظي .

٢ — حربه حرباً سلبه ماله ، وحرب حرباً اشتد غضبه ، وعلى هذا فكلمة (الحرب) من المشترك اللفظي في رأى أصحاب القواميس !

والحقيقة أن المعنى الأول لهذه الكلمة هو نفس معنى الفعل [حرمه] فلما ابت الميم « باء » في لهجة من اللهجات العربية كلهجة مازن مثلاً ، التبس الفعل (حرمه) بمعنى سلبه ، بالفعل حرب بمعنى اشتد غضبه .

٣ — « قطب » زوى ما بين عينيهِ وكلح كقطب ، والشئ قطعاً ! فكل نلاحظ علاقة ما بين التقطيب في الوجه وقطع الشئ ؟ اللهم لا ! على أن أصحاب المعاجم قد عدوا هذا من المشترك اللفظي ، ولو أنهم رجعوا إلى الفعل (قطم) لرأوه بمعنى قطع ، ولما قبلت الميم منه إلى « باء » ، ظهر لهم فعل ظنوه جديداً وهو (قطب) بمعنى قطع ، ونسبوا له الاشتراك اللفظي .

٤ — جاء في مادة [سحب] أن لهذا الفعل معنيين هما :

(أ) جرّه على وجه الأرض .

(ب) أكل وشرب أكلاً شديداً .

فهل هنا علاقة ظاهرة بين المعنيين بحيث نقول أن أحدهما فرع عن الآخر ؟ أليس الأصوب أن نبحث عن المعنى الثانى في مادة (زعَب) التى فيها (ترعَب) فى أكله وشربه أكثر ، فلما همست الزاى والعين أصبحتا سينا وحاء ؟ وهكذا التبس لفظ الفعلين ، وحسب القدماء الفعل (سحب) من المشترك اللفظي .

٥ — وقد خلطت المعاجم بين مادتي (لزب) و (لسب) فنسبت لكل منهما معنيين هما : اللصوق ولدغ العقرب أو الحية : فقد جاء فى قاموس المحيط اللزوب : اللصوق ، لزبته العقرب لدغته ، لسب به لصق ، لسبته الحية لدغته !! وكان الأولى أن ينسب أحد المعنيين إلى المادة الأولى ، والمعنى الثانى إلى المادة الأخرى . ولا يمكن التطور الصوتى فى إحدى المادتين وذلك بهمس الزاى لتصبح

سينًا ، أو بجهر السين لتصبح زايًا. قد أوقع القدماء في اللبس ، وجعلهم يخلطون بين معنيين بعيدى العلاقة .

٦ — أليس من الإسراف والمغالاة أن نجارى المعاجم العربية فنقول إن مادة (نسب) من المشترك اللفظى لأن من معانيها : نسبة ذكر نسبه . وأنسبت الريح اشتدت ؟ فى حين أنا نرى فى موضع آخر [أنشبت الريح اشتدت] ! أو ليس الأقرب إلى الصواب أن نقول إن التطور الصوتى فى الفعل (أنشبت الريح) ، قد أدى إلى قلب الشين سينًا ، فالتبس الأمر على جامعى اللغة ؟

٧ — الخبث : المتسع من بطون الأرض ، والخبث الحثير ! هذا هو مارواه صاحب قاموس المحيط . ولعمري كيف استباح انفسه أن ينسب لهذه الكلمة شيئًا من ظاهرة الاشتراك اللفظى مع وجود كلمة (الخبث) بالثناء وشهرتها، واحتمال قلب التاء إلى التاء مما أدى إلى اللبس بين المادتين .

٨ — الحث : الشديد ، اليوم الحار ، والخالص !

قد يعدّ بعض الناس مثل هذه الكلمة من المشترك اللفظى دون علاقة واضحة بين هذه المعانى ، فى حين أننا نعلم أن كلمة (البحث) معناها الخالص ، وأن قلب الباء منها إلى ميم ، قد أدى إلى نسبة معنى الخالص إلى (الحث) ، مع ما لها من معان أخرى .

٩ — فحث عنه كمنع فحص ، والفحث حية عظيمة لاتؤذى !

فليت شعري ما العلاقة بين هذين المعنيين حتى نجعلهما من مشتقات مادة واحدة؟ أليس الأجدر أن نقول إن المعنى الأول متفرع عن الفعل (بحث عنه) ؟ فلما قلبت الباء إلى الفاء ، وكلاهما من الأصوات الشفوية ، أدى هذا إلى اللبس بين المادتين ؟

تلك هى أمثلة قليلة ، أردنا أن نوردّها لتوضيح ما نعى من أن ظاهرة

الاشتراك اللفظي ، قد تكون في بعض الأحيان نتيجة تطور صوتي في بعض الكلمات .

ولا شك أن الباحث في بطون المعاجم العربية سيعثر على مئات من أمثال تلك التي أوردناها هنا .

— ٣ —

التضاد

لا يتم الحديث عن المشترك اللفظي إلا بالتمرض لتلك الكلمات التي رويت لنا متضادة المعاني، والتي اصطلاح القدماء على تسميتها بالأضداد . وأشهر من عنى بتلك الكلمات وجمعها بين مؤلفي العرب ، هو ابن الأنباري في كتاب له سماه الأضداد ، أحصى فيه ما ينيف على أربعمائة كلمة ، ولكنه تعسف في اختياره، وتناول كثيراً من معاني الكلمات .

ويجدر بنا أن نسوق بعض الأمثلة التي وردت في كتاب ابن الأنباري، ومنها نرى إلى أي حد بلغ التكلف والتعسف بالمؤلف ليجعل منها كلمات متضادة .

١ — يذكر ابن الأنباري أن « عسمس الليل » معناه أقبل أو أدبر !! ثم يسوق بعض الشواهد الشعرية للبرهنة على ما يقول ، وليس من بين هذه الشواهد ما هو منسوب لصاحبه إلا بيتان أحدهما لامرئ القيس والآخر لعلمقة ابن قرط . على أن الفراء قد وصف ما نسب لامرئ القيس بأنه موضوع مصنوع ، أما بيت علمقة فمعنى « عسمس » فيه هو أدبر ، إذ قال :

حتى إذا أصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسمسا

فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا الكلمة قد وردت فيه مرة واحدة ومعناها في الآية هو « أدبر » فقط ، قال تعالى : [والليل إذا عسمس ، والصبح إذا تنفس] .

٢ - يزعم ابن الأنباري أن « الندّة » معناه المثل والضدّ ، وقد حاول أن يفسر « أندادا » في القرآن الكريم على المعنيين ، وفي هذا من التكلف ما فيه ، ذلك لأن الآيات القرآنية لا تحتل إلا معنى واحداً ، قال تعالى : « فلا تجملوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » . وما رواه من شعر منسوب لليبيد وحسان ، لا يستفاد منه إلا معنى واحد لكلمة النِدّة وهو المثل . قال ليبيد :

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل
وقال حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بندّ فشرّ كما لخير كما الفداء

٣ - أليس من التكلف والتعسف أن تجعل « الإسرار » بمعنى الإظهار ، كما يقول ابن الأنباري ، مفسراً الآيتين الكريميتين : [وأسروا النجوى الذين ظلموا] ، [وأسروا الندامة لما رأوا العذاب] على هذا المعنى ! ؟ إن الآيات الأخرى التي وردت بالقرآن مشتملة على هذه الكلمة لا تحتل إلا معنى واحداً وهو ضد الإظهار :

« ثم إنى أعلنت لهم وأسرت لهم إسراراً » .

« فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم » .

« والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

٤ - نرف أن المعنى الشائع لكلمة « البين » هو الفراق ، ولكن ابن الأنباري يزعم أن لها معنى آخر هو الوصل ، ويستشهد على هذا بقراءة من قرأ : « لقد تقطع بينكم » ! ولكن القراءة المألوفة والمشهورة هي « لقد تقطع بينكم » أى ما بينكم من صلة ، فلا تحتل الكلمة تضاداً أو ما يشبه التضاد .

٥ — المشهور في معنى « عفا المكان » هو درس ونسى أمره . ولكن ابن الأنباري يتصور لها معنى ضدياً بجانب المعنى الأصلي ، ويستشهد بقوله تعالى : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء » . ويفسر « حتى عفوا » هنا قائلاً : أى كثروا !

ويظهر والله أعلم أن المعنى : حتى اندرس أمرهم ونسى ، وحينئذ لا تضاد . أما حديث (أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى) فليس معنى إعفاء اللحى تكثير شعرها كما يزعم ابن الأنباري ، وإنما يكون بتركها وإعفاءها من الإحفاء والقص .
٦ — حتى الكلمات المصحفة يتخذ منها ابن الأنباري كلمات متضادة ، فيقول : إن « سمل » لها معنيان : أصاح بين القوم وفقاً عين فلان !! ويظهر أن « سمل » بمعنى أصاح بين القوم ليست في الحقيقة إلا « شمل » بالشين ، وقد جاءت إلى المؤلف مصحفة في شاهد من الشواهد .

كذلك قوله في « برد » بمعنى سخّن مستشهداً بقول الشاعر :
عافت الشرب في الشتاء فقلنا برّديه تصادفيه سخينا
ورواية البيت يجب أن تكون :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

٧ — مادة « قسط » تفيد معنى العدل ، وقد استعملت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة ومشتقاتها بهذا المعنى . ولكنها استعملت اسم فاعل من الثلاثي في سورة الجن للتعبير عن معنى مضاد للعدل ، قال تعالى : « وأتينا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » .

على أن القرآن قد ورد فيه آيتان في كل منهما « أقسط » بمعنى أعدل : « ذلكم أقسط عند الله وأقوم » ، « ادعوم لآبائهم هو أقسط عند الله » . وأفضل التفصيل لا يكون إلا من الثلاثي ، فكيف تأتى أن يقول اللغويون

إن الثلاثي من هذه المادة لا يفيد معنى العدل !

ويظهر والله أعلم أن استعمال « القاسطين » بمعنى الظالمين ، ليس إلتاداً في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه وتعالى . ويمكن أن تؤول الشواهد التي ساقها المؤلف للبرهنة على أن « قسط » بمعنى « ظلم » على هذا النحو من التأويل ، فمن بينها « قسطوا على النعمان » ، ومقام الكلام عن علاقتهم بملك عظيم كالنعمان يقتضى هذا الاستعمال .

٨ — وأخيراً يقال لنا إن « الجلل » معناه العظيم والقليل ، ويستشهد عادة

للبرهنة على هذا بقول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جليلٌ والفتى يسمى ويليه الأملُ
فالمعنى هنا : قليل حقير .

ويقول الآخر :

قومي همو قتلوا أميم أخى فإذا رميت يصيبني سهمي
ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهن عظمي

فدل الكلام على أنه أراد فائن عفوت لأعفون عفواً عظيماً لأن الإنسان

لا يفخر بصفحه عن ذنب صغير !

ولكننا حين نتأمل الظرف الذي قيل فيه هذان البيتان وما اكتنف قولهما من ملا بسات ، نرى أن الشاعر يريد أن يعتبر العفو عن قتل أخيه أمراً بسيطاً إذا قيس بما سترتب على وقوع الشحنة بين قومه ، من حرب أهلية توهنهم جميعاً وتذهب بقوتهم .

أما ابن سيده والسيوطي فقد اعتدلا في اختيار الأضداد ، ولم يسرفا في تلمس العلاقة بين الكلمات ، فجاء ما أحصياه نحواً من مائة كلمة .

والصدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى . فجاء ذكر معنى من المعاني ، يدعو ضد هذا اللفظ إلى الذهن ،

ولا سيما بين الألوان. فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد . فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعى المعانى . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما ، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ، لأن استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر . فالتضاد فرع من المشترك اللفظى ، وعوامل تكون المشترك اللفظى فى اللغات وقد أشرنا إليها آنفاً ، تصلح أيضاً أن تكون عوامل الأضداد . فكلمة « الماجد » معناها النائم والساهر ، وجاء فى القرآن الكريم « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » ، ولا يحتمل الفعل هنا إلا معنى واحداً وهو السهر ، غير أنه قد روى لنا أن المرقش يقول :

سرى ليلا خيال من سليمى فأرتقى وأصحابى هجودُ

فمعنى هجود فى شعر المرقش هو « نيام » لا نزاع فى هذا . فكيف تفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التى يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة . فقد كان للكلمة معنى واحد . ولكن لقلّة شيوعها فهمت فى بيئة من البيئات على معنى آخر ، ونما هذا الفهم وذاع فى الجيل الناشئ ، ثم أصبح معترفاً به فى اللغة النموذجية الأدبية ، فاستعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى ، واستعملها المرقش بمعنى مضاد المعنى الأصلى . وقد تم مثل هذا التطور فى عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها . غير أنه من الممكن أن يضاف إلى تلك العوامل ما يأتى :

(١) التطير :

إن غريزة التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان التى تسيطر على عاداته فى التعبير إلى حد كبير . فإذا شاء المرء التعبير عن معنى سيئ . تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به ، وفر منها إلى غيرها . فجميع الكلمات التى تعبر عن الموت

والأمراض ، والمصائب والكوارث ، يفر منها الإنسان ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير . وأوضح ما تكون هذه الميزة بين النساء وفي الأوساط التي نالت حظاً ضئيلاً من الثقافة . وأقرب المعاني إلى كلمات التشاؤم ، هي أصدادها من كلمات التفاؤل . لهذا عبر في اللغة العربية عن الأسود بالأبيض تجنباً لذكر لفظ السواد ، وعبر عن المكان المحفوف بالمخاطر ، بالمفازة . ومن ذلك ما جاء في اللسان من أن [العبد الكثير عند تميم والقليل عند بكر بن وائل] . ولا تختص بهذا قبيلة دون أخرى ، بل قد يجوز أن تعبر اللهجة الواحدة بلفظ واحد أساسه الخير ، عن الخير والشر . ويتوقف الأمر على قوة غريزة التطهير بين أفراد القبيلة ، وما أصابوه من ثقافة .

(ب) التهكم :

ويلحظ هذا بصفة خاصة بين الشباب ، فهم لرغبتهم في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير ، وحسبهم للتجديد في الكلام ، وإظهار مهارتهم في تخيير الكلمات ، يلجأون أحياناً إلى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة ، هازئين ساخرين . ويغلب أن يكون هذا النوع من التعبير بين الخاصة من الناس ، القادرين على التفنن في القول ، وعلى كل حال يؤدي آخر الأمر إلى وقوع كلمات متضادة للمعنى . ويعزى إلى هذه الظاهرة ، وقوع كلمات متضادة مثل (القشيب) التي تعبر عن « الجديد » في غالب الأحيان ، وعن « الخلق » في القليل من الأحيان ، ومثل يا « عاقل » التي قد تقال للمجنون ، وكلمة « سليم » التي قد تقال لللدوغ ، وكذلك « لقت » الشيء بمعنى كتبت في لهجة عقيل ، وبمعنى محوته عند قبائل قيس .

ولاشك أن عاملي التطهير والتهكم مرتبطان أحدهما بالآخر بعض الارتباط ، وأن التضاد في معنى الكلمة قد يفسر تبعاً لعامل التطهير مرة ، ويفسر تبعاً لعامل (١٤ م - اللهجات)

التهم مرة أخرى ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لتطور معاني الكلمات ، كثيرة ومعقدة ، وليس من السهل تعيين الملابس التي اكتنفت هذا التطور في كل الحالات فمثلاً :

١ — يقول ابن الأنباري إن « المسجور » معناه الملوء والفارغ . وقد استعملت هذه المادة في القرآن الكريم مرتين وفي كل منهما كان معناها الامتلاء ، قال تعالى :

(وإذا البحار سجرت) ؟ (والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع) . ويظهر أن المعنى الأصلي هو الملوء ، ثم اتخذت الكلمة للتعبير عن الفارغ تقادياً لذكر ما يشير إلى الفراغ وانقطاع الخير ، مما يؤدي إلى الحاجة والموز . ولنا في الاستعمال العامي حين ينادى عمال المقاهي قائلين (خذ المليون) ، ما يوضح هذا بجملاء .

ومع هذا فقد يكون مبعث استعمال الملوء في الفارغ ، التهم والسخرية .

٢ — ويمكن أن يقال مثل هذا في (الناقة الحافل) التي قيل لنا عنها إنها تستعمل إذا ذهب اللبن من ضرعها فلم يبق منه إلا اليسير ، وكذلك إذا امتلأ ضرعها باللبن . ويبدو أن المعنى الأصلي هو امتلاء الضرع باللبن ، وأن (الناقة الحافل) حين تستعمل في القليلة اللبن ، تهدف إلى التفاؤل والتماس الخير . على أنه من الممكن أن نعكس الأمر ونقول إن المعنى الأصلي المشهور هو قلة اللبن ، ثم استعمل في كثرة اللبن درءاً للعين ومنعاً للحسد . وقد كان العرب يصفون الفرس أحياناً بأنها شوهاء مع أنها في الواقع جميلة . ويشبه هذا ما نسمعه أحياناً من أفواه العامة حين يتجنبون وصف الطفلة بالجمال خوفاً من الحسد فيقولون (يابت يا وحشة !) .

٣ — استعمل الفعل (عزّر) في القرآن الكريم ثلاث مرات بمعنى يناصر ويقوى ويؤيد ، ومع هذا فيستعمل الفقهاء مصدر هذا الفعل وهو

« التمزير » كنوع من العقوبة . ويظهر أن معنى الفقهاء أحدث، وهو من قبيل التفاؤل ، ومثله استعمال كلمة « التأديب » في العقاب . وذلك لأن من فلسفة العقوبة أن تمتد نوعاً من التهذيب والتأديب لا الانتقام أو الشماتة ، فكأن في العقاب طريقاً لنصرة المرء على نفسه الأمانة بالسوء ، وفيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وفي هذا من النصرة والتأييد ما فيه .

٤ - تثبت الماچم لكلمة « المولى » عدة معان منها : السيد والعبد وابن العم والحليف والجار والصهر . . . إلخ .

ولذلك نشهد في هذه الكلمة مثلاً طيباً لتطور المعنى إذ يظهر أن المعنى الأصلي لهذه الكلمة هو السيد المنتعم صاحب الفضل ، ثم أطلق على المبدأ المخلص المتفاني في خدمة سيده ، وذلك من قبيل التفاؤل والفرار من وصف المبدأ المخلص بصفة خبيثة قد يشتم منها الرق والمبودية .

ولاشك أن العرب في الجاهلية والإسلام كانوا يفرقون بين العبيد والموالي في معاملتهم والنظرة إليهم . ولسنا نعلم نصاً قديماً استعمل فيه كلمة « المولى » في مجال الذم أو الخط من قدره .

ثم تفرع من معنى السيد ، تلك المعاني الأخرى كابن العم الذي هو عَصَبَة ومصدر نفوذ وقوة في الأسرة ، وتفرع عن فكرة الخادم المخلص للسوء به في بعض الأحيان إلى مرتبة الحليف والجار والصهر .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « المولى » بمعنى السيد فقط ، ولكنه استعمل الجمع « الموالى » بمعنى التابعين الملحقين بالمرء من إماء وحلفاء .

(ج) الإبراهيم في المعنى الأصولي وهموم :

قد يؤدي إلى التضاد أن المعنى الأصلي للكلمة يكون عاماً غير محدود ، ثم يتحدد معناه مع الزمن ، ولكن في تطوره وتحدد معناه قد يتخذ طريقين متضادين ،

ويترتب على هذا أن نجد الكلمة الواحدة يتخصص معناها في لهجة من اللهجات بشكل خاص يضاد الشكل الذي اتخذته الكلمة في لهجة أخرى .
وخير مثل لهذا قصة الملك الذي قال للأعرابي « ثب » يريد اجلس ، فوثب الأعرابي ودق عنقه لأنه لم يكن يعرف معنى « لوثب » إلا طفر .

فالتضاد هنا بين « وثب » في لهجة أهل الشمال ، ومعناها في لهجة حمير ، نشأ عن تحدد المعنى وتخصصه بشكل خاص في كل لهجة . والكلمة العبرية التي تناظر الفعل (وثب) هي « يشب » ، وليس لها إلا معنى واحد ، وهو جلس أو أقام ، فلعل المعنى العام الذي كانت تدل عليه هذه الكلمة في السامية الأم ، هو الانتقال من حال إلى حال ، وتغير الوضع .

وقد تخصص هذا المعنى العام في اللهجات الشمالية فأصبح يعبر عن القفز ، في حين أنه أصبح يعبر عن الجلوس في غيرها من اللهجات .

ولعل كلمة « السدفة » التي روى أنها كانت تعبر عن الظلمة في لهجة تميم ، وعن الضوء بين قبائل قيس ، كانت شيئاً من هذا . فقد كان معناها العام أن تعبر عن حالة بين الظلمة والنور ، ثم تحدد معناها في تلك اللهجات فأدى إلى التضاد . ومن الكلمات المشهورة التي كان لها معنى عام ثم تخصص في بيئتين مختلفتين فأتخذ في البيئة الأولى معنى خاصاً ، وفي البيئة الثانية معنى مضاداً لذلك الذي شاع عند أبناء البيئة الأولى :

١ - « الصريم » يعنى الليل والنهار ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين واحد وهو القطع والفصل .

٢ - « القرء » بمعنى الطاهر عند أهل الحجاز ، والحيض عند أهل العراق . وقد بنى الفقهاء أحكاماً مختلفة تبعاً لاختلاف المعنى ، مما هو مشهور في كتب الفقه . ويظهر أن المعنى العام للكلمة هو « الوقت » ، ثم تخصصت في البيئتين على معنيين مختلفين . ومن هذا المعنى العام اشتق « القرأة » بمعنى وقت المرض

فيقال للمسافر : « ذهبت عنه قراءة الحجاز أو قرته » ، أى تبين أنه خال من مرض الحجاز ، وقد قدروا هذه المدة بنحو ١٥ يوماً .

٣ — يثبت معظم اللغويين للفعلين « باع واشترى » معنى التضاد ، فيقولون إن « باع » قد تستعمل بمعنى اشترى ، وإن اشترى قد تستعمل بمعنى باع .
والحقيقة أن هذين الفعلين من الكلمات المترادفة ، وأصل معناهما « المبادلة » ، وهو معنى عام ينطبق على الشراء والبيع ، ثم تحدد المعنى مع الزمن لكل من الفعلين ، فقلب استعمال الشراء في معناه المألوف ، والبيع في ضد هذا المعنى .
ويمكن أن نفسر الشواهد التى يشتم منها أن « باع » بمعنى اشترى ، وأن اشترى بمعنى باع ، على هذا المعنى العام الأصل . ويتضح لنا رجحان هذا الرأى حين نذكر طريقة البيع والشراء عند العرب القدماء ، فلم تكن على الصورة التى نألفها الآن فى غالب الأحيان .

ولسنا بحاجة إلى كثير من التأويل أو التخريج حين نقصر « باع » على المعنى المعبود لنا ، واشترى على ضد هذا المعنى ، فى جميع الآيات القرآنية التى ورد فيها هذان الفعلان ، وليس هناك من صعوبة حين نفسر تلك الآيات على هذا الأساس .

هذا ولا ننسى أن للمصادفة دخلاً فى تكون بعض الأضداد ، فقد يترتب على التطور الصوتى فى كلمة ما ، أن تصبح مماثلة فى لفظها لكلمة أخرى مضادة فى المعنى . فكلمة (الجون) التى تعبر عن الأبيض ، قد انحدرت من أصلين لإعلاقة بينهما ، إذ يظهر أن (الجون) التى تعبر عن السواد ، قد اشتقت أولاً من الفعل (جن) بمعنى ستر ، وهو الذى يستعمل فى مثل (جنَّ الليل) أى أظلم فهذه المادة تعبر أساسياً عن معنى الظلمة . ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل المخالفة (Dissimilation) فقلب أحد النونين إلى صوت مشابه وهو الواو (١) .

وبذلك التبس الجون المنعدر من مادة « جن » ، بالجون التي تعبر أصلاً عن النور .

وانظر أيضاً إلى كلمة (أ كمت) التي روت المعاجم أنها تعبر عن معنيين متضادين هما : انطلق مسرعاً ، وقعد ا

ويظهر أن تطور الفعل « قعد » في أصواته بأن انتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلاً ، فصادف مخرج الكاف ، وبأن همست الدال فأصبحت تاء . كل هذا أدى إلى أن صار الفعل (قعد) (كمت) ، دون تغير في معناه ، ثم التبس هذا الفعل بفعل آخر من أصل مختلف وهو (أ كمت) بمعنى انطلق مسرعاً (١) .

وبما يبرهن على أن التطور الصوتي قد يوقع اللغويين في اللبس ، ويجعل بعضهم ينسب للكلمات التضاد في المعنى ، ما ذكره ابن الأنباري من أن « القانع » معناه الراضى بما هو فيه والسائل المحتاج ا ا ثم يحتج بقوله تعالى :

« وأطعموا القانع والمعتر » مفسراً القانع هنا بالسائل ا

ويظهر والله أعلم أن معنى الآية : أطعموا من لا يسأل حياء منه ، لأنه قنع بما هو عليه وما قسم له ، وأطعموا أيضاً من يسأل بتلميح دون تصريح وهو المعتر . أما ما يذكره اللغويون من تفرقة بين القنوع والقناعة ، مؤكدين لنا أن

الأولى تعنى الخضوع ، والثانية تعنى رضا المرء بما قسم له ، فليس له من سبب سوى التطور الصوتي في مادة « خنع » إلى « كنع » أى أن الصوت الرخو وهو انخاء قد تطور إلى نظيره الشديد وهو الكاف في بيئة بدوية . ثم جاء جامعو اللغة وذكروا لنا أن كلا من « خنع » و « كنع » يفيلذل وخضع . ومصدر « كنع » هو « الكنوع » بمعنى الذلة والخضوع . ثم اختلط الأمر بين القاف

(١) أنظر مقالا مسبقاً من الأضداد لدكتور منصور فهمى صفحة ٢٨٨ الجزء الثانى من مجلة المجمع اللغوى .

والكاف . وترتب على هذا اختلاط الفعلين «قنع» ، «كنع» ، والحقيقة أن مصدر «قنع» هو القناعة ، ومصدر «كنع» هو الكنعون . فقول القائل «أعوذ بالله من الخنوع والخنوع» ، لا يبدو أن يكون تكراراً للفظ الواحد . وبهذا يمكن أن نفسر كل الشواهد التي يشتم فيها أن «الخنوع» بمعنى الذلة والسؤال .

نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الأضداد لأن ما روى عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية . وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ، ونستعرضها جميعاً ، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة . ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا ، لاسيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة ، وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن .

الفصل السابع

هل اللغة العربية لغة بدوية^(١) ؟

حين عرض لى هذا التساؤل للمرة الأولى تذكرت كلمة رئيس المجمع الدكتور طه حسين فى افتتاح أحد المؤتمرات إذ يقول مداعباً وزير التعليم العالى :
(ومن الحق أن لغتنا العربية قد بدأت لغة بدوية ، ولكن من الغريب أن يظل مجمع اللغة العربية فى القرن العشرين بدوياً أيضاً لا يستقر ، يجتمع فى مكان مرة ، وفى مكان آخر مرة أخرى) ١١

ولما رددت أمامكم نفس التساؤل كأتى بمن يهمس إلى فى لهفة وإشفاق على ويقول :

بدأت يا أخى بدوية قبل الإسلام ، ثم انتهت إلى حضرية بعد الإسلام ، وبلغت ذروة حضارتها فى عصور العباسيين . ألم تدرس أو يدرس لك أن شعراء ما قبل الإسلام كانوا يقفون على الأطلال ، ويكون الدمن ، ويصفون النوق فى إسهاب أو إسراف كالذى كان من طرفة فى معلقته ، كما حدثونا عن الصحراء رمالها وكشبانها وجبالها وحراتها وأوديتها وآبارها ومنتجع الكلاء فيها ؟ ألا تذكر قول أحدهم مع أنه كان ملكاً فى قومه :

ترى بحر الآرام فى عرصاتها وقيمانها كأنه حب فلفل
وقول الآخر :

أنافى سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتلثم

(١) بحث ألقى فى مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ .

فأى بداوة فوق هذا تريد؟ ثم ثار الشعراء على كل ذلك في العصر العباسي
وتزعمهم في هذه الثورة أبو نواس إذ يقول فيما يقول :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجمل صفاتك لابنة الكرم
ويقول الشاعر الشعبي :

عنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرة ذمول
وأستمع لمثل هذا الهمس ، ثم أجد أن من واجبي قبل أن أعرض رأيي
في سؤال « هل اللغة العربية لغة بدوية ؟ » أن أبين أولاً حدود ما أعنيه باللغة
العربية ، ثم دلالة الوصف « بدوى » حين يخلطه الدارس الحديث على اللغة .
أما اللغة العربية التي أعنى فهي تلك التي تتمثل في نصوص تراثنا الأدبي
قبل الإسلام وبعد الإسلام ، تلك اللغة المشتركة الأدبية النموذجية التي نظم بها
الشعراء وخطب بها الخطباء وكتبت بها الرسائل والوصايا قبل الإسلام ، تلك
اللغة التي انتظمت كل أو جل أنحاء شبه الجزيرة ، والتي اصطنعت في الأمور
الجديدة من القول ، وهي التي نمت وازدهرت قبل الإسلام ؛ وفوق ذلك كله
هي التي نزل بها القرآن الكريم ، ثم التي ظلت بعد الإسلام أداة القول في
كل تراثنا الأدبي الرائع .

وقد يقال وماذا نستبعد بعد هذا كله ؟ أستبعد ما لم يصح من تراثنا الأدبي ،
وأستبعد بعض أو ربما كل ما ينسب لرؤية وأمثال رؤية كآبيه المعجاج وابن أحر
الباهلي ، وأستبعد كثيراً مما جاء في معاجنا العربية القديمة من لهجة خاصة لقبيلة من
القبائل ، أو نصوص مبتورة مجهول قائلها ، أو ربما ما أنزل الله بها من سلطان .
وأما الوصف « بدوى » فأمره عجب ، إذ تقول عنه المعاجم القديمة إنه
منسوب إلى البدو ، وأن نسبته على هذه الصورة أمر نادر ، وفي الحق أن
الندرة غير مقصورة على النسبة ، بل إن استعمال الوصف بدوى في نصوص

الأدب الجاهلى وصدر الإسلام أمر نادر أيضا . وكذلك المشهور من هذه المادة كالبدو ، والبداوة ، والبادية . فليس فى القرآن الكريم إلا كلمة « البدو » فى قوله تعالى « وجاء بكم من البدو » ، وتفسر هنا على أن معناها البادية .

وكلمة البدو فى الاستعمال القرآنى فريدة وحيدة وردت مرة واحدة ، أى من الكلمات التى يسميها المستشرقون *Hapax legomena* . وأما **ورودها** فى قول ابن أحرر :

جزى الله قومى بالأبلة نصرة . وبدوا لهم حول القراض وحضرا
فيحتاج إلى إعادة الفهم ، وليس كلام ابن أحرر على كل حال مما يدخل فى نطاق مانسيه باللغة العربية .

ولم ترد فى القرآن الكريم الكلمات « بدوى وبداوة وبادية » . أما ما يقال لنا إن « الباد » فى قوله تعالى « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » معناه القادم من البادية ، فعند التأمل نجد أن معناه الطارىء على مكة كما يقول القرطبى فى تفسيره ، « أى سواء وفد من البادية أو من الأمصار » . فالتعبير يراد به الشمول ، ومثله مثل التعبير الفقهى « المقيم والمسافر » ، بل ومثل « الغائب والحاضر » . أما « البادى والحاضر » فى شعر حسان وعمر بن أبى ربيعة فلا يعنى كذلك إلا مجرد الشمول ، فلا يفيد فى أصل دلالة بداوة أو حضارة ، وإن اشتهر فى المصور الإسلامية بهذا المعنى .

وأما الجمع « بادون » فى قوله تعالى « وإن يأت الأحزاب يدوا لو أنهم بادون فى الأعراب » ، ففى رأى أن معناه مجرد مسافرين أو راحلين ، ولعله اكتسب هنا دلالة البداوة من المناسبة التاريخية ومن كلمة الأعراب . ذلك لأن الاستعمال المألوف فى القرآن الكريم لما اشتهر بعد ذلك بالبدو ، هو الأعراب

في عشر آيات ، ولما اشتهر في المصور الإسلامية بالحضر هو أهل القرى .

ويكفي للاستدلال على ندرة الكلمات : بدوى ، وبدو ، وبدواة ، وبادية
في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام أن معجنا الكبير مع وفرة إمكانياته لم يجد
شاهداً للوصف بدوى إلا ذلك الخبر المجيب ونصه (وفي الحديث لا تجوز
شهادة بدوى على صاحب قرية) ، ولا أدري كيف ينسجم هذا مع الروح الإسلامي
في الإخاء والمساواة ؟

ومن يمن الطالع أن ابن الأثير يعقب عليه بقوله (وإليه ذهب مالك
والناس على خلافه) ، هذا إلى ما نعرفه من موقف القدماء من الاستشهاد
بالحديث في مسائل اللغة . فع التسليم بصحة المعنى في هذا الخبر لا يستلزم ذلك
أن تكون كل ألفاظه من النص الأصلي .

ويسوق لنا معجنا الكبير شاهداً فريداً أيضاً لكلمة « البدواة » هو (وفي
الحديث أنه أراد البدواة مرة) ، ولا حاجة الوقوف عند هذا الشاهد طويلاً
بعد الذي قلناه عن سابقه .

وأما كلمة « البادية » فيورد لها معجنا الكبير ثلاثة شواهد اثنين منها
لشاعرين أمويين ، أي بعد صدر الإسلام ، هما القطامي والفرزدق ، والثالث
لحسان بن ثابت هو :

وشر من يحضر الأمصار حاضرها وشر بادية الأعراب باديها

وفي رأي أن كلمة الأعراب في البيت هي التي أوحى بما يراد منا أن نفهمه
من كلمة « بادية » في بيت حسان ، إن كان مفهومها حقاً .

ونفسا من بعد الذي تقدم هل الكلمات « بدوى وبدو وبدواة وبادية »
بمعناها المألوف لنا الآن من الكلمات التي نشأت مع ظهور الإسلام ، وشاعت
بهذا المعنى بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية ؟ أما الذي نستطيع أن

تؤكد هنا فهو أنه ليس لهذه الكلمات نظائر في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ما عدا الحبشية فيما يبدو، ففيها «بدو» بمعنى مكان قفر، و«بدو» بمعنى أقفر المكان.

نكتفي بهذا القدر في التأصيل الاشتقاق للوصف «بدوى»، ونعود إلى دلالته حين نخلع الدارس الحديث على اللغة وهو ما يعني هنا.. فاللغة البدوية لديه هي تلك التي لم تنتج لها فرص كافية من التطور من حيث الأصوات والصيغ وتركيب الجمل، أو التي تمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة الإنسانية، ومن أوضح أمثلتها لغة الرعاة الرحل الذين عرفوا في أوروبا باسم Nomads، ويسمىهم الأوروبيون في بلاد الغرب بالكلمة العربية الأصل، Bedouins. وقد تبينت للغويين المحدثين بعد دراسات مستفيضة معالم وسمات اللغة البدوية، وأخرى للغة الحضرية، ولا يتسع المجال هنا إلا ما يتصل بالناحية الصوتية، بل ومع الإيجاز أيضاً.

فقد أن اكتشف اللغوي الدينمركي «راسك» في أوائل القرن التاسع عشر ما سماه بالتطور الصوتي بين أفراد المجموعة الجرمانية، وهو ما عرف بعده بقانون (جرىم) الصوتي، واللغويون يحاولون تفسير هذه التطورات وبيان السرف فيها. وقد دعم (جرىم) اللغوي الألماني آراء (راسك)، وجعل بحثه أشمل وأكمل بحيث يشمل كل اللغات الجرمانية، ويتضمن من الأمثلة والشواهد قدراً كبيراً لم يرد في بحث معاصره (راسك)، ولذلك ينسب عادة هذا القانون الصوتي (لجرىم) وحده. ويتلخص هذا القانون الصوتي في أن استقرار الصور المختلفة للكلمات في اللغات الجرمانية خلال العصور التاريخية دل على ظاهرتين متميزتين: إحداهما انتقال أصوات شديدة إلى نظائرها الرخوة مثل الـ P أصبحت باء، والتاء أصبحت ثاء، والكاف أصبحت هاء.

قال (P) فى Paternal التى فى اللاتينية Paternus أصبحت فاء فى الكلمة الأنجلو سكسونية Fatherly ، والتاء فى الكلمة Trinity التى فى اللاتينية Trinitas أصبحت تاء فى الكلمة الأنجلوسكسونية Three ، والكاف فى الكلمة Century التى هى فى اللاتينية Centuria أصبحت (هاء) فى الكلمة الأنجلوسكسونية Hundred .

أما الظاهرة الثانية فهى انتقال أصوات مجهورة إلى نظائرها المهموسة ، فالباء أصبحت P ، والدال أصبحت تاء ، والجيم غير المعطشة أصبحت كافا . ولا أريد أن أثقل عليكم بذكر أمثلة لهذه الظاهرة الثانية . والمهم هو أن نذكر أن الأصوات فى تطورها على حسب قانون (جريم) قد واجهتنا بقضيتين متميزتين : قضية الانتقال من شدة الصوت إلى رخاوته ، وقضية الانتقال من جهر الصوت إلى همسه .

هذا هو ملخص قانون « جريم » فى التطور الصوتى بين لغات المجموعة الجرمانية ، ذلك القانون الذى يفسر عادة بأن انتقال المجتمع الإنسانى من مرحلة الرعاة الرحل إلى حياة الاستقرار فى المدن هو الذى أدى إما إلى انتقال الأصوات الشديدة إلى نظائرها الرخوة ، أو انتقال الأصوات المجهورة إلى نظائرها المهموسة .

وفى ضوء ما تقدم نظرنا إلى لغتنا العربية فرأينا أن حياة العرب قبل الإسلام كانت تتنازعها بيئتان متميزتان : بيئة بدوية بين القبائل الرحل ، وأخرى حضرية فى مدن الحجاز واليمن . وقد اختلفت البيئتان فى كثير من النواحي الصوتية تبعاً لاختلافهما فى بعض العادات ومظاهر السلوك الاجتماعى العام . فالقرآن الكريم يصف لنا الأعراب المتوغلين فى البداوة فى عشر آيات مدنية ، بالنفاق والعمود عن القتال وضمف الإيمان . كما يصف لنا سلوك هؤلاء

الأعراب في آيات أخرى مدنية أيضا وإن لم ينص عليهم فيها ، ولكن يبدو من أسباب النزول أنها نزلت في هؤلاء الأعراب حيث كانوا ينددون إلى المدينة ويتصايحون في الحديث رافعين عقائرهم في جلبه وضوضاء ، مثل ما كان من وفد بني تميم - حين قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وأخذوا يصيحون : اخرج إلينا يا محمد . فدعاهم الإسلام إلى آدابه السامية في الخطاب والسلوك ، فيقول سبحانه في سورة الحجرات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) .

وكان هؤلاء الأعراب يفخرون بجملة الصوت ، بل بجملة أى شيء ، فيقول شاعرهم في مجال الفخر :

جهر الكلام جهر المطاس جهر الرواء جهر النقم

وكان لهذا السلوك العام في الحديث أثره الواضح في نطق هؤلاء الأعراب . تبين لنا هذا في كثير من الأمثلة التي تناسب إليهم ، فبينما يقول الحجازي الحضري « حتى » يقول البدوي « عتي » ، وبينما يقول الحجازي الحضري « الناس » يقول البدوي « الناس » ، أى أننا حين نطبق قانون « جريم » على ما ساد في شبه الجزيرة في يدها قبل الإسلام من ظواهر النطق ، نجد حقا أن البيئة الحضرية المثلثة في مدن الحجاز كانت بوجه عام تؤثر الصوت المهموس والصوت الرخو ، في حين أن البيئة البدوية في وسط الجزيرة وشرقيها كانت تؤثر النطق المنجهر والنظير الشديد .

ونحن نضيف إلى قانون « جريم » ظاهرة أخرى لاحظناها في بعض اللغات البدائية مثل الدنكا والشيلوك في جنوب السودان ، هي أن هذه اللغات تتضمن أبجديتها عدداً كثيراً من الأصوات الشديدة ، وعدداً قليلاً من الأصوات الرخوة ، أى على عكس لفتنا العربية كما نألفها في النصوص القرآنية وفي تراثنا الأدبي . فليس في الأبجدية العربية إلا ستة أصوات شديدة ، تلك الأصوات التي تتميز بها لغات البيئات البدائية أو البدوية .

لا جدال إذن في أن اللغة العربية التي نشأت ونمت وازدهرت في المدن الحجازية قبل الإسلام ثم نزل بها القرآن الكريم ، كانت من حيث الأصوات لغة حضرية . ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة ما لاحظناه أيضاً بصدد قضية اليائية والواوية ، فقد أصبحنا الآن نطمئن إلى أن الكلمة مع الأصل الواوى وما تفرع عنه من ضم وواو مد صورة بدوية ، وأنها مع الأصل اليائى وما يتفرع عنه من كسر وياء مد صورة حضرية . فبينما كان الحجازى الحضرى يقول : « حيث » يقول البدوى « حوث » ، وبينما يقول الحجازى « صِيَام » يقول البدوى « صَوَام » ، وبينما يقرأ الحجازى « سُخْرِيَا » يقرأ البدوى « سُخْرِيَا » ، وبينما يقول الحجازى « الذين » يقول البدوى « اللذون » وهكذا . وقد دلت البحوث الصوتية الحديثة على أن الواو وما يتفرع منها أقرب إلى الطبيعة البدوية ، فى حين أن الياء وما يتفرع منها أقرب إلى الطبيعة الحضرية .

هذا كله من الناحية الصوتية ، ولما طبقنا المعالم والصفات الأخرى التي اهتمت إليها اللغويون المحدثون للغة الحضرية من حيث الصيغ وتركيب الجمل ظهر لنا بوضوح أن اللغة العربية حين جاء الإسلام كانت لغة حضرية كثير ما كانت عليه لغة حضرية فى القرن السادس الميلادى من حيث الأصوات والصيغ ونظام الجملة .

لكن مأساة لغتنا إنما كانت على أيدي بعض اللغويين في القرنين الثاني والثالث من الهجرة حين حاولوا — بحسن نية طبعاً — صبغها بالصبغة البدوية . فقد كانوا يؤمنون إيماناً قوياً بأن الفصاحة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبداءة ، كما لو أن بين رمال الصحراء وأخبية الأعراب ومنتجعات الكلا وبين الملكة اللسانية عرى وثقى ، أو كما لو أن هؤلاء الأعراب قد أضعفوا الفصاحة مع لبان الأمهات ، أى أنهم كانوا يتصورون أن إتقان اللغة مرجعه إلى الوراثة ، ولم يكونوا يدركون كما يدرك اللغوى الحديث أن إتقان أى لغة عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس فيها . ولم يجد علماء الأمصار مع علمهم وفضلهم أى غضاضة فى الاحتكام إلى الأعرابى الجلف فى مسائل اللغة . وكلنا يذكر تلك المناظرات التى كانت تعقد فى حضرة الأمراء والخلفاء بين هؤلاء العلماء الأجلاء ويحتكم فيها إلى الأعراب الوافدين على الأمصار . فإذا قضى الأعرابى بالأمصار شهوراً انصرفوا عنه وقالوا له : هيهات ، لأن جلدك يا أبا فلان ، أى لم تعد أهلاً لتلقى اللغة عنك . وكان مما افتخر به البصريون على الكوفيين قول أحدهم (إنا نحن البصريين نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، أما أنتم أيها الكوفيون فقد أخذتم اللغة عن أكلة الشوايرز والكوامخ !!) .

ونظرنا فإذا بعالم جليل هو يعقوب بن السكيت فى القرن الثالث الهجرى يحيط نفسه بحاشية من هؤلاء الأعراب تتألف من خمسة عشر أعرابياً ، وبلغ من اعتزازه بصحبته أن نص فى كتابه « إصلاح المنطق » على أسمائهم واحداً واحداً !! وفى رأي أن مثل هذا العدد من المعلمين الأعراب المختلفين القبائل والناجى يكفى لبليلة الفكر والذهن حتى مع أنبغ العلماء من أمثال ابن السكيت .

وهنا نقسأل هل نجح علماء الأمصار في صبغ اللغة العربية بالصيغة البدوية والجواب نعم ، ولكن لحسن الحظ في نطق ضيق . فملت العربية في معظم ظواهرها من السمات البدوية ، واحتفظت بطابعها الحضري الذي ساد قبل الإسلام ونى صدر الإسلام من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب .

فإذا أردنا أن نضرب مثلاً محدداً لما نجح فيه هؤلاء العلماء لم أجد خيراً من مسألة تحقيق الهززة التي هي بإجماع الآراء من صفات البدو . فيقول عيسى ابن عمر الثقفي (ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا) . ونقول له من حقت أن تأخذ بما نشاء ، ولكن ليس من حقت أن تفرض على اللغة العربية الحضرية صفة بدوية . ويحضرني هنا ما جاء في اللسان (قال رجل النبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله ، فقال : لا تنبر باسمي ، أي لا تهز) . وفي رواية فقال : إني مضر قريش لا تنبر والنبر هز الحرف ، ولم تكن قريش تهز في كلامها . ولما حج المبدئي قلم الكـأني يصلي بأندبنة فهز ، فأنكر أهل المدينة وقالوا تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقرآن ؟

وخير ما نستأنس به في هذا الصدد: نصوص القرآن الكريم ، إذ تلح علينا موسيقى الفواصل في سورة الرحمن أن نقرأ (كل يوم هو في شان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان) . وكذلك في سورة مريم التي وردت فيها كلمة (شبتا) في رهوس أربع آيات ، وفي كل هذه الآيات لو قرئت الكلمة بالتسهيل أي « شتيا » لكانت أكثر انسجاماً مع الفواصل الأخرى في السورة ، وكذلك كلمة « رثيا » من نفس السورة . فقد بدأت السورة بفاصلة تمد بمثابة إرهاب للواصل التي تلتها ، فيقول تعالى (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) وجاء بعدها (حنيا ، شقيا ، وليا) من الفواصل الموسيقية ذات الوقع الحسن

في الآذان . والتزم هذا في الآيات الإحدى وثلاثين الأولى من السورة ماعدا الآية الثامنة التي تنتهي بكلمة « شينا » ، ثم استؤنفت نفس الفصلة عند الآية الأربعين ، وظلت ملتزمة إلى الآية الثالثة والسبعين . فلو قرئت الآيات التي تنتهي بكلمة « رثيا » بالتسهيل لكانت القراءة أقرب إلى الترتيل الموسيقى .

ومن يمن الطالع أن يروى لنا أن بعض القراء السبعة مثل أبي عمرو بن العلاء قد قرأ (كل يوم هو في شان) ومعه أيضاً قارئ المدينة أبو جعفر . كذلك يروى أن أبا جعفر قرأ كلمة « شينا » في سورة مريم بالتسهيل ، ويشاركه في هذا قالون وابن ذكوان^(١) . أما كلمة « رثيا » فقد قرأها بالتسهيل نافع وابن عامر وهما من القراء السبعة .

وهكذا نرى أن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتي اصطنعت في ترائد الأدب قبل الإسلام كانت تؤثر تسهيل الهمز ، وهو صيغة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز مؤثرين هنا الأداء البدوي ، فشاع بيننا الآن أن تحقيق الهمز هو الأنصح .

أما بعد : فإني أدعو الله مخلفاً أن يوفق مجتمعا الموقر إلى العمل على أن تستكمل هذه اللغة العربية الحضارة ، أسباب الحضارة في العصر الحديث .

(١) قالون هو راوى نافع ، وابن ذكوان هو راوى ابن عامر .

الفصل الثامن

اللهجات الحديثة

تحدثنا في مقدمة هذا الكتاب عن أهمية اللهجات الحديثة ، في دراسة اللهجات القديمة . وهنا سنعرض طرفاً من خصائص اللهجات المصرية ، ولا سيما اللهجة النموذجية فيها ، وهي اللهجة القاهرية ، موضعين ببعض ما احتفظت به هذه اللهجات الحديثه من صفات قديمة ، وما ظهر فيها من صفات خاصة ، نمت واستقلت مع الزمن . وسنقتصر في هذه الإشارة العابرة على بعض التطورات الصوتية في هذه اللهجة ، وعلى تطور معاني بعض الكلمات . ولنا نطمح من هذا الفصل إلا في أن يوضح ما يمكن أن تكشف عنه دراسة اللهجات الحديثة ، فلعل في مراحل تطورها ما يلقي ضوءاً على ما غمض من تطورات اللهجات القديمة وخصائصها .

- ١ -

الناحية الصوتية

(١) فقدت معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية القديمة ، أمثال : التاء ، والذال ، والظاء ، والقاف ، واستبدلت بها على الترتيب : التاء ، والذال ، والضاد ، والمهمزة أو الجيم . وقد اطردها أطرافاً يدعو إلى الدهشة في كل الكلمات والذي يلاحظ في هذا التغير بصفة عامة ، هو الانتقال ببعض الأصوات الرخوة القليلة الشروع في اللغة القسيحة ، إلى نفاذها من أصوات الشدة

(ب) مالت الأصوات المطبقة إلى الاستفال في لغة الكلام المصرية في معظم الأحيان ، إذ نلاحظ أن المصريين بصفة عامة ، ينطقون الصّادسيناً ، والطاء تاء ، والضاد دالا ، والظاء زايًا مفتحة ، وهكذا مثل :

صقع : « سكع فلاناً قلماً »

(غضر عنه) أى انصرف : « غدر على البيعة »

« لدعه قلماً » : ربما جاءت من اللطم بمعنى الضرب . « مدغ » : مضغ .

والذى نتصوره بصدد هاتين الظاهرتين ، أنهما من التطورات الحديثة التى تمت بعد انتشار اللغة العربية في يثاات مختلفة نائية ؛ أو ربما تمّ بعضها فى المصور الإسلامية الأولى .

على أننا نترك البحث فى علة هذا التطور لدراسة أوفى فى اللهجة المصرية ، ونكتفى هنا باستعراض بعض تلك التطورات التى تمت فى المصور المتأخرة ، والتى كونت صفات خاصة باللهجة المصرية ، تميزها عن غير هامن اللهجات الحديثة ، وتلك هى الصفات التى تكونت بعد مرور أجيال كثيرة على اللغة العربية فى البيئة المصرية ، وحين أصبح للبيئة المصرية كيان مستقل . فقد جاء زمن على لهجة الكلام بمصر ، تركت فيه دون نظر فيها أو عناية بها ، يتحدث بها الناس فى حديثهم العادى ، وفى خطابهم العام ، دون تدوين لها أو تسجيل لما يعرض لها من تغير أو تطور . وقد صرفت اللغة الفصحى أنظار الناس عن لغة كلامهم ، فلم يعنوا بما يعرض لها من تطور مع الزمن ، ولهذا اتخذت فى الأفواه أشكالاً وصوراً تباينت باختلاف الأجيال والمصور . والناس لا يشعرون ولا يلحظون تلك الفروق وإنما وجهوا كل عنايتهم إلى لغة الكتابة وهى اللغة الفصحى ، فإذا انحرف الطفل فى الكلام بلهجة أبيه ، لم يجد من يعنى بتصحيح هذا الانحراف ، والإبقاء على صورة معينه فى الكلام . فأخذت اللهجة مجراها الطبيعى ، وتغيرت جيلا بعد جيل ، وقد أدى كل هذا إلى ما نلاحظه من فروق عظيمة بين لهجة الكلام

واللغة الفصحى . واتسع لهذا ، البون بين لهجة الحديث ، وبين لغة الكتابة ، مما لا نظير له في أية لغة من لغات العالم . فلم تجد اللهجة المصرية رقيباً عليها أو حسيباً ، فانساب خفية عن الأنظار تتغير في أفواه الناس ، دون أن يلفت هذا نظر أحد ، وقد ساعد هذا التطور الخطير أنها لم تكتب ولم تسجل ، لأن الكتابة في بعض الأحيان من عوامل استقرار اللغات ، ومنعها من أن تقع نهياً لهوامل التطور اللغوي ، تفعل بها مآثاء ، وهذا هو السر فيما نلاحظه من أن التغيرات في اللهجة المصرية ، يمكن أن تمر في غالب الأحيان إلى أخطاء كلامية بين الناشئين ، تركت دون إصلاح ، أو لفت نظر ، فزأمت وبعدت عن الأصل ، بحيث أصبح من المسير إرجاعها إلى ذلك الأصل إلا بمجد ومشفة . فنحن الآن نتذكر كثيراً من كلمات اللهجة المصرية ، غير مدركين أن لها أصلاً عربياً صحيحاً وأنها تطورت في الأفواه دون عناية بإصلاحها من بادى الأمر . إذ اتجهت كل العناية إلى لغة الكتابة ، وكان المشتغلون بها قليلين جداً ، وترك الكثرة الغالبة من الناس يتخبطون في حديثهم ، فننتقل الكلمات من صورة إلى أخرى دون أن تستقر على حال ، كل بنطق كما يهوى ، ويقيس ما لم يعرف على ما عرف ، وتوارث الأجيال أخطاء من سبقهم .

فانظر مثلاً إلى كلمة « ألتغ » التي تطورت فيها التاء أولاً إلى « ناء » كمعظم التاءات وصارت « ألتغ » في عصر من العصور ، وأخيراً جهر به ناء التاء فأصبحت دالا ، وصارت الكلمة على الصورة التي نالها الآن وهي « ألدغ » .

نشير بعد هذا إلى أم الاتجاهات الصوتية في لهجة الكلام المصري ، فنلخصها في العناصر الآتية :

(١) الميل إلى هلس كثير من الأصوات ، وهو أمر طبيعي في بيئة مستقرة كالبيئة المصرية ذات الحضارة منذ القدم .

فانظر مثلاً إلى كلمة مثل « انكرع » ، التي لانشك في أنها انحدرت من

« تجرع » بعد أن همت الجيم فأصبحت كافًا. ومثل « دمس » التي أصلها من « الدفس » وهو شدة الوطء . ومثل « شعت » التي أصلها من « شعد »، فرت في مرحلتين قبل أن تصل إلى الصورة التي نهدها — إذ قلبت أولًا الدال ككل القالات إلى دال ، وأتى عليها عهد في لهجة الكلام كانت « شعد » ثم همت الدال فأصبحت « تاء » . ومثل « نكش » التي ترجع أنها من « نبش » الصيد أو كل شيء مخبوء بمعنى استتاره . وهكذا نجد كلمات كثيرة قد همت بعض أصواتها في لهجة الكلام . على أننا في القليل من الأحيان نلاحظ في اللهجة المصرية عكس هذه الظاهرة مثل « انتمتع » التي هي من « التمتعة » بمعنى الحركة ، ومثل « غفير » التي هي في الأصل « خفير » ، ففي هذه الكلمات نجد اللهجة المصرية قد جهزت ببعض الأصوات المهموسة في الكلمات العربية الفصيحة ، ويظهر أن هذا النوع الأخير من التطور قد جاء إلى اللهجة المصرية مع بعض النازحين إليها من البدو الذين يميلون إلى جهر الأصوات ، أو أن بعض الطبقات من الناس في مصر كانوا أميل إلى صفات البداوة وإلى البعد عن الحضارة كأوساط العوام في المدن ورعاها .

(ب) أخطاء تبدأ مع الأطفال والناشئين ، ثم تنمو بينهم وتكون جزءاً من لهجاتهم وهم كبار ، ثم يورثونها من بعدهم . وربما كان هذا المنصر أوضح العناصر في تطور الكلمات وأصواتها في اللهجة المصرية^(١) : —

١ — فهناك كلمات قلبت فيها الباء ميًا مثل « تبختر » ، أصبحت في لهجة الكلام « أمختر » ، وهناك العكس من هذا مثل « متاع » صارت تلك الكلمة الشائمة « بتاع » ، ومثل « حلق » صارت « بخلق » مع تغيير في ترتيب الأصوات ، ومثل « خمش » التي جاءت منها « خربش » بزيادة الراء .
وهناك كلمات قلبت فيها « الفاء » إلى « باء » في لهجة الكلام ، مثل

(١) أنظر كتاب الأصوات القوية ص ١٤٥ .

« سفت » التى صارت « سبت » ، ومثل « قف شعره » نقولها الآن فى الكلام « قب شعره » ، ومثل « فرطش » التى تستعمل فى الفصحى بمعنى « فرطش الجبل » أى تنفجح للبول ، صارت فى لهجة الكلام « برطش » .

٢— من بين الأخطاء التى قد تعرض للناشئين ، تغير فى ترتيب أصوات الكلمات ، وهو ما وقع بين العربية الفصحى ولهجة الكلام المصرية مثل :
بحلق : حلق . « بعرأ » : جاءت من ترعيق^(١) الشئ من يدي تذرو تفرق .
« الزعل » جاءت من العلز بمعنى الضجر . ومثل « فمص » : التى انحدرت من فصم الرطبة إذا أخذها بأصبعه فمصها حتى تنقشر . ومثل « أهبل » : أبله .
جنزبيل : زنجبيل . جوز : زوج . خفس : خف .

٣— كذلك يميل لأطفال فى نطقهم إلى تكرار المقاطع أو الأصوات وقد أدى هذا إلى أن جاءت الكلمة المولدة « القشوش » من « التهوش »^(٢) . وجاء الفعل « جر جر » من جر .

٤— وكذلك قد يخطئ الطفل فى تقسيم العبارة إلى أجزائها الصحيحة ، ويحدث هذا عادة فى العبارات الكثيرة الشبوع . وقد لوحظ هذا فى لهجات كثيرة من لهجات اللغات الأوربية . ويمكن أن نمزو لهذا الخطأ فى تقسيم العبارة ، ما جاءتنا به لهجة كلامنا من أمثال الفعل « جاب » الذى لا نشك فى أنه انحدر عن الاستعمال الصحيح « جاء بكذا » ، فحيل للطفل أن « الباء » جزء من الفعل « جاء » ، ولا سيما أنه كان ينطق به فى لهجة الكلام بغير الهجزة . ومثل « عقبال » التى لا نشك فى أنها من الاستعمال « عقى لكم » ، فالتبس الأمر على السامع وجعل « اللام » فى « لكم » جزءاً تنتهى به الكلمة « عقى » وبهذا أخرج لنا « عقبال » .

(١) هذا ما جاء فى لسان العرب . أما التبر وزابادى فيذكر [بزي الشو . زبقة] ثم بعد ذلك فى نفس الباب يقول [زعبي القوم والشئ . فرقه وبدهه كزله] .
(٢) جاء فى القاموس المحيط [والقشوش والقوش كلها من ووه الجومرى ، والصواب التهوش] .

٥ - هذا وقد يصعب صوت «الراء» على كثير من الأطفال فيقلبونها إلى «اللام» في كثير من الأحيان . وقد ترتب على هذا وجود كلمات عربية صحيحة متعده المعنى رويت مرة «بالراء» وأخرى «باللام» .

وقد حدث مثل هذا في لهجة الكلام المصرية ، إذ تطورت فيها بعض الكلمات العربية الصحيحة التي اشتملت على «الراء» مثل :
«الخدَر» بمعنى الشلل أو نوع منه ، نسميها الآن في لهجة الكلام «خدل وخدلان» .

ومثل «سرط» اللقمة بمعنى ابتلعها ، أصبحت الآن في لهجتنا «زلط» ، بعد أن قلبت «الراء» «لاماً» وجهر «بالسين» فأصبحت «زايًا» .
ومثل «رَهَط الطعام» صارت في لهجة كلامنا «لهط» .

ومثل «دحرج» التي تطورت في اللهجات القديمة إلى «دعلاج» ، بأن جهر «بالحاء» فأصبحت «عينًا» وبأن قلبت «الراء» «لاماً» ، وهكذا رويت لنا الكلمتان في المعاجم العربية على أنهما صحيحتان ، ثم تطورت الأخيرة منهما في لهجة كلامنا إلى «دألج» .

٦ - قد يخطئ الطفل في قياسه ، وهنا يولد لنا كلمات كثيرة بعيدة عن الصواب ، أحياناً يشتق وزنًا للصفات لا وجود له في الفصحى مثل «دبلان» بدلا من «ذابل» ، ومثل «مرشوم» بدلا من «مرشم» التي هي من أرشم الشجر أي ظهر ثمره ، ومثل «غرقان» بدلا من غرق ، ومثل «رجل لطنخ» بدلا من «اللطنخ» وهو القدر الأكل ، ومثل «حدق» بدلا من «حاذق» .
وليس هذا بغريب لأننا قد نسمع بعض أطفالنا يقولون «الباحة الأشجرة» بدلا من «حمراء» .

٧ - كذلك قد يخلط الناشئون بين الجمع والمفرد فيستعملون بعض الجموع ، التي جاءت صيغتها شبيهة بصيغة المفرد على أنها مفردات مثل :

برام . حق . كراس . زناد

فهذه كلها جموع في اللغة الفصحى ، ولكنها تستعمل في لهجة الكلام مفردات . أما مفرداتها الصحيحة فقد أهملت وهي على الترتيب :

برمة . حُمة . كراسة . زند

ومما يمكن أن يعزى إلى القياس الخاطئ ، اختلاف الحركات في بنية الكلمة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى .

فتنحى الآن نسع الكلمات الآتية مفتوحة الأول في لهجة كلامنا ، وذلك لأن بعضها قد قيس على البعض الآخر :

خرطوم : شمروخ . طرطور . أزميل . برمیل . بطيخ . خنزير .
قندیل . كبريت . مندیل . مسطرة . مروحة . مدخنة .

وكذلك نسع كلمات مضومة الأول مثل :

خلخال . قيقاب . غربال

وأخرى مكسورة الأول وهي كثيرة جداً مثل :

جبة . حلبة . عجة . علة . حزمة . حلم . عش . دهن . فجل . دلو .

وربما بسبب الانسجام بين الحركات أن يكسر الحرف الأول من بعض

الكلمات مثل :

جيز . زيب . كبير . جديد

٨ — لمبت ظاهرة التحالفة Dissimilation في لهجة كلامنا دوراً هاماً ،

كما ظهر أثرها في اللغة الفصحى ^(١) . فقد تخلص الناس من إدغام التماثلين بقلب أحدهما إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين وهي « الميم واللام والنون والراء وربما المين أيضاً » ، وتلك هي الأصوات التي سهاها القدماء بالأصوات المتوسطة . فانظر مثلاً إلى الفعل الفصحى « برّق بصره » أصبح في لهجة كلامنا « برّقا » .

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية .

و كذلك الفعل « تفحّس » الذى يعنى تكبّر وتعظم ، صار فى لهجة الكلام « تفنحص » ، وكذلك الفعل « كبّل » صار « كبل » .

وربما زيدت هذه الأصوات على بنية الكلمات للبالغة فى معناها مثل : « شرمط الورق » التى جاءت من الفعل الفصيح « شرط » . ومثل « طلس » الكتابة « جاءت عن « طلس » الكتاب محاء ايفسد خطه . ومثل « غطرش » التى تعنى فى لهجة الكلام تجاهل ، قد جاءت من « الفطش » وهو ضعف البصر . ومثل « خرشم » التى جاءت من « خشم » الأنف أى كسره .

٩ — هذ وقد شاع فى لهجة كلامنا تلك الأفعال الرباعية التى تشتمل على مقاطع متكررة ، فى حين أن بعض الصيغ القديمة للأفعال قد تلاشت ، ولم تعد تسمع فى لهجة الكلام المصرية :

فصيغة « أفعل » لانكاد نثر عليها فى لهجة الكلام ، بل حلّ محلها صيغة « فـل » أحياناً أو صيغة الرباعى المكررة الأصوات . فانظر مثلاً إلى الأفعال العربية الصحيحة : « ألحم » الرجل بالمكان أى أقام ولم يبرحه ، و « أرشم » الشجر أى أخرج ثمره ، و « أسبط » الرجل أى انبسط على الأرض ، و « أنمشه » الشراب .

فقد صارت هذه الأفعال فى لهجة الكلام على الترتيب :

تلحم . ارشم . سلبط . نفش

وكما أثرت العوامل المتقدمة فى التغيرات الصوتية لللهجة الكلام ، قد أثرت أيضاً فى اللهجات العربية القديمة بما أدى إلى رواية كثير من الكلمات الفصيحة مرة « بالهم » وأخرى « بالباء » ، أو مرة « بالراء » وأخرى « باللام » ، أو مرة بالأصوات المجهورة وأخرى بمهموسها ، أو مرة بأصوات الإطباق وأخرى بنظائرها من أصوات الاستفال . كذلك روت المعاجم كلمات متعددة المعنى والأصوات ، ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف ، وكذلك رويت لنا كلمات

يجوز فتح أولها وكسره أو فتحه وضه ، بل أحياناً تنص المايم على التثليث في مثل تلك الكلمات وهكذا .

فما حدث من تطور صوتي في لهجة كلامنا ، حدث مثله في اللغة الفصحى في معظم الأحيان ، ولكن الكلمات قد نشأت وتعد كالإنسان

فتلك التطورات الصوتية التي تمت في المصور التي سماها الرواة بمصور الاحتجاج ، قد اعترف بها ، وأقرتها المايم ، وعدتها من الكلمات الفصيحة ، في حين أنها رفضت نفس التطور الصوتي في المصور التي تلت هذا ، وذلك رغبة في الوقوف باللغة العربية عند حدود المصور الأولى للإسلام ، فلما منهم أن التطورات الصوتية القديمة كانت من فعل الأعراب الفصحاء أصحاب اللغة ، ولم يدر بخلد أنهم أنه تطور طبيعي للأصوات ، سواء حدث في المصور القديمة أم الحديثة ، وأن الأعراب القدماء لم يمدوا إليه عهداً ، أو قصدوه في كلامهم وهم يشعرون به . ولو قدر لتلك الكلمات العامية التي ذكرناها هنا أن يتقدم بها الزمن وأن يتم تطورها الصوتي فيما سموه عصور الاحتجاج ، لاستحقت من الرواة كل عناية ، ولرووها في مجامعهم ، وأصبحت فصيحة مقبولة .

على أن لهجة كلامنا قد اختصت ببعض التطورات الصوتية التي لا صرف لها نظائر في تطورات اللهجات القديمة ، مثل عنايتها بتلك الأفعال الرباعية المتكررة المقاطع . فقد ملئت بها لهجة كلامنا ، واتخذت في أفواهاها طريقاً خاصة ، لا نظير لها في غيرها من اللهجات العربية القديمة .

وتلك الأفعال تتكون من مقطعين ساكنين^(١) ، ونلاحظ أن المقطع الأول منهما حر كته الفتحة دائماً ، في حين أن المقطع الثاني تتوقف حر كته على الأصوات المجاورة : فأحياناً نراها الفتحة وذلك إذا جاوره أحد الأصوات الآتية :

الفاء . الصاد . الضاد . الطاء . الراء . الزين . الخاء . الحاء . المين .

(١) أنظر معنى المقطع الساكن والمقطع المتحرك في كتاب الأصوات اللغوية .

في حين أننا نراه مكسوراً مع باقي الأصوات المجعائية .
ولهذه الأفعال الرباعية أشكال عدة في لهجة كلامنا : —

(١) فأحياناً يكون المقطعان متماثلين الأصوات مثل :

جر جر . تكتك . بجمع . بربر . ببصص . بببس . تققع .
تفتف . تلتل . تتمم . تنتن . تحتت . رجرج . رخرخ . رصرص .
رطرط . رعرع . رمرم . زحزح . زعزع . زلزل . زمزم .
سسخ . سلسل . سسم . ششب . شرشر . ششم . ضعضع .
ضمضم . طططب . ططط . ففتف . فلفل . كشكش . للاح .
لخلخ . للفل . لملم . مصمص . مضمض . نمخنخ . ننس . نفنف .
وسوس . وشوش .

(٢) وأحياناً يتكرر صوت واحد من أصوات الكلمة ، بحيث إما أن
يكون الصوت الأول والثالث متماثلين مثل :

بربش . جنجل . رهروط . سمر . زمزأ . كركب . مخض .
مرط . مسر . مرهغ . نفش .

أو بأن يكون الصوت الثالث والرابع متماثلين :

بقشش . دغشش . زقطط . عكنن .

(٣) وأحياناً يتكون الفعل الرباعي من أصوات مختلفة ، ولكن أحدهذه
الأصوات يكون في غالب الأحيان من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين مثل :

برتع . ربأ . طرشق . حرأ . خريش . درمغ . سلطخ . سمكر .
شلفط . زههر . زجر . زروط . عربد . عرقص . هرول . مرجع .
بمزأ . بهدل . بزوط . بخلق . طاسق . شمبط . شطلق . شقلاب .
شموط . غتم . فشحخ . فشكل . نلبط . نلخن . لقمط . نفبش .

الناحية الدلالية

أشرنا عند التحدث عن الترادف إلى تطور الدلالة ووقوعه في اللهجات القديمة ، مما أدى إلى تلك الظاهرة التي نسميها بالترادف .
وربما كان خير مثل نسوقه هنا نبيين إمكان تطور المعاني في كل لهجة ، ما حدث لكلمات كثيرة عربية الأصل ، وذات معان خاصة في اللغة الفصحى ، من تطور معانيها بلهجة كلامنا . فهي أمثلة حية تربنا كيف اختلفت معانيها بفعل تلك العوامل التي تحدثنا عنها آنفاً .

وقد يصعب علينا إدراك تطور المعاني في اللهجات القديمة ، لبعد العهد بيننا وبين الزمن الذي تم فيه هذا التطور ، ولجهلنا التام بتاريخ الكلمات العربية قبل الإسلام ، ولكننا حين نتتبع معاني كثير من الكلمات العربية الأصل ، ونقارنها بما صارت إليه في لهجة كلامنا ، نستطيع بسهولة ، أن ندرك كيف يمكن أن يتطور معنى الكلمة ويتغير .

ومن عادة ترفض المعاني الحديثة ونسبها مولدة ، وننكر عليها فصاحتها ، لا لسبب سوى أن الزمن قد تأخر بهذا التطور ، فجاء بعد ما سماه الرواة بعصور الاحتجاج .

ولولا أننا نتقيد بالمعاني القديمة ، ونقف عندها لا نعترف بأي تغيير يلحق معناها ، لقبنا المعاني المولدة ، وعدت من صميم الكلام الفصيح ، إذ ليست في الحقيقة بدعاً في التطور اللغوي ، ولكن كل ما فيها من عيب في نظر الرواة ، أنها جاءت بعد فوات الأوان . فلتسكننا بالمعاني القديمة ورغبنا في التقيد بها ننظر إلى المعاني المولدة شراً ، ونتعاشاها في أساليبنا الجديدة . بل لقد أبقت بعض

الكلمات العربية على معانيها القديمة واحتفظت بها ، ومع هذا فقد تماشاها الأدباء ونسبوا إليها صفة العامية ، فأصبحت مبتذلة مثل : « خش » بمعنى دخل ، ومثل « مقشة » بمعنى مكفنة ١١

وقد اتخذت بعض الكلمات المولدة طريق التخصص في معانيها مثل : « هاش » التي كانت تعنى اختلط ، فأصبحت الآن في لهجة كلامنا تعنى اختلاط بعض المواد بالسوائل . ومثل « بطحه » التي كانت تعنى ألقاه على وجهه ، وتستعمل الآن مرادفة للكلمة العامية « عور » ، لأن من مستلزمات البطح في غالب الأحيان « التموير » . ومثل « حوش » التي كانت تعنى جمع مطلقاً ، فتخصصت في لهجة كلامنا بجمع المال . ومثل « لحاف » التي تخصصت الآن بنوع خاص مما يلتحف به ، ومثل « ربيع » التي تخصصت بنوع خاص من الدور . ولقد لمب الجاز دوراً هاماً في تطور المعاني لبعض الكلمات العامية مثل : « الممج » التي كانت تعنى البعوض ، فأصبحت الآن تعنى في لهجة كلامنا القوضيين من الناس . ومثل « جيب القميص » التي كانت تعنى فتحة القميص ، فأصبحت تستعمل الآن في المعنى المعروف المرادف للكلمة العامية « سيالة » . ومثل « رصرص » التي كانت تعنى ثبت بالمكان فاستعملت بعد ذلك للشعور بالبرد . ومثل « سفرة » التي كانت تعنى طعام المسافر فأصبحت الآن مرادفة للحنوان . ومثل « شنب » التي كانت تعنى بريق الأسنان ، فأصبحت الآن مرادفة للشارب . ومثل « باخ » التي كانت تستعمل في مثل « باخ الرجل » أى سكن غضبه و « باخت النار » أى سكنت ، فأصبحت تعال حين يشعر الإنسان بالخجل والحزى . . . الخ .

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا تكاد تهم تحت حصر .
تلك هي أمثلة قليلة أردنا أن نسوقها لنحفز المهتم إلى الكشف عما قد يكون في لهجات الكلام من طرائف لا شك أنها ستلقى ضوئاً على دراسة اللهجات

القديمة ونجعل حكماً عليها أقرب إلى البقين .

كلمة ختامية

كلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشف لنا أموراً ، وأيقنا أن لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام . فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها ، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها ، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة . فالصفة الكلامية التي نراها الآن مشتركة بين جميع البيئات العربية الحديثة ، أو حتى بين معظمها ، لا يمكن إلا أن تنتسب إلى لهجة قديمة أو مجموعة من اللهجات . انظر مثلاً إلى اسم الإشارة للجمع تراه قد اتخذ صورة تكاد تكون واحدة في جميع اللهجات الحديثة ، وهذه الصورة لا تمت بصلة إلى اسم الإشارة المألوف في اللغة النموذجية أي « هؤلاء أو أولئك »

فإذا قارنا بين اسم الإشارة « هؤلاء » وهو الشائع في الأساليب الأدبية ، وبين الصورة التي صار عليها اسم الإشارة في لهجات الكلام الحديثة ، لا نكاد ندرك الصلة بين الصورتين . فكل منهما مستقل عن الآخر ، وليس أحدهما تطوراً للآخر ، بل يبدو أنهما صيغتان مستقلتان عاشتا جنباً إلى جنب في عصور ما قبل الإسلام ، وقد شاعت إحداهما في المجال الجدي من القول ، وشاعت الأخرى في لهجات الخطاب .

والغريب أن أصحاب اللطائف على كثرة ما ذكره عن اللهجات لم يذكروا إلى هذه الصيغة التي نسميها الآن على كل لسان ، وكذلك النحاة لم يبرضوا لها في اللطولات من كتبهم ، فلم يقل أحدهم مثلاً إن لاسم الإشارة الجمع صيغة أخرى أو صورة أخرى غير التي نألفها ونمهد بها .

ومع هذا لا نشك لحظة في أن اسم الإشارة الجمع الشائع الآن في اللهجات الحديثة قد انحدر إليها من مصدر قديم ، فليس الاشتراك فيه بين البلاد العربية وليد المصادفة ، بل الأرجح أنها جميعاً قد استمدته من اللهجات القديمة التي نزلت إليها .

وإذا تذكرنا أن حرف « الذال » القديم قد تطور في بعض اللهجات الحديثة إلى نظيره الشديد وهو « الدال » ، وأن الضم يناظر الكسر في اللهجات القديمة ، استطعنا بسهولة أن نتبين الملاقة بين الصور التي صار عليها اسم الإشارة الجمع في لهجات الخطاطب الآن :

ففي شرق الأردن « هاذول » ، وفي العراق « ذول ، ذولا » ، وفي بلاد الشام « هذول » ، وفي مصر « دول ، دولا » ، وفي بلاد المغرب « هاذول » ، وفي السودان « ديسل » ، وفي نجد « ذولا » ، وفي صنعاء « هاذول » !!
دأ اسم الإشارة بانقطاع « هـ » حين يتقدم على المشار إليه ، كما في لهجات الشام وبلاد المغرب وبعض جهات اليمن .

ويظهر من هذا العرض السريع أن الأصل في اسم الإشارة الجمع هو النسيئة التي نسميها الآن في بعض جهات اليمن أي « هاذول » ، وقد انحرف هذا الأصل انحرافاً طفيفاً في لهجات الكلام الأخرى .

فن أين أتت لهجات الكلام بهذه النسيئة التي لم تنس إليها المعاجم ولا كتب النحاة ، وكيف اشتركت فيها جميعاً رغم اختلاف البيئة ، واختلاف الظروف الاجتماعية ؟

إن الباحث المنصف لا يتردد في جعل هذه النسيئة إحدى الظواهر التي كانت شائعة في لهجات القدماء ، وأنها انحدرت إلى اللهجات الحديثة من اللهجات القديمة .

كان للمغرب القدماء إذن كلمتان إحداهما « هؤلاء » ، والأخرى « هاذول » ،

وكانوا يقصرون استعمال الأولى على الأساليب الأدبية ، ويتخذون الأخرى للهجات الخطاب .

وأسماء الإشارة كما ذكرنا آنفاً من العناصر العصبية على التطور والتغير ، ولذلك بقيت الصورة القديمة التي كانت شائعة في لهجات الخطاب ، شائعة أيضاً في لهجات الكلام الآن بالبلاد العربية .

ويبدو من هذا المثال ونحوه من عناصر مشتركة بين لهجات الكلام الآن ، صحة مارجنائه من قبل وما ندعو إليه دائماً من أنه كان للعرب القدماء لغتان مستقلتان يصطنعون إحداهما في الأساليب الأدبية ، ويصطنعون الأخرى في الحديث العادي ، وإلا فكيف نتصور أن اسم الموصول يتخذ الآن في كل البلاد العربية صورة واحدة هي « اللي » ، بدلاً مما نألفه في اللغة النموذجية الأدبية من كلمات متعددة مثل :

الذي ، التي ، الذين ، اللاتي ، اللاتي

بل حتى ما نلفظه أحياناً من التطورات الحديثة ، نراه بعد البحث مشتركاً بين كثير من لهجات الخطاب الآن ، ونستطيع بعد التأمل أن ننسب إلى أصل قديم كان شائعاً في بعض لهجات العرب القدماء مثل :

١ — التعبير عن الزمن الحالي أو عن العادة بفعل مضارع متصل بالباء في غالب الأحيان ، أو بالبدال أو القاف أو العين في أحيان أخرى . والأصل في كل من الأمرين لا يبدو أن كلمة مساعدة كان العرب يصلونها بالفعل المضارع حين يريدون التعبير عن الزمن الحالي أو العادة ، وكان هذا شائعاً في لهجات كلامهم وفي حديث خطاهم . وانحدرت هذه الظاهرة إلى لهجات كلامنا الآن فأصبح : المصري ، وأهل الشام ، وشرق الأردن ، والسوداني ، وأهل مكة ، وبعض جهات اليمن ، يقولون مثلاً ، ييلب ، ييفتي . . . الخ .

ولسنا نشك في أن هذه « الباء » هي كل ما تبقى من الكلمة المساعدة ، التي كان العربي القديم في لهجة خطابه يصلها بالمضارع للتعبير عن الزمن الحالي أو

عن العادة . ويفترض بعض المحدثين لهذا اللفظ المساعد عدة فروض منها :

باق ، ذاهب ، بدى . . إلخ

وتتخذ لهجات العراق الحرف الذى يتصل بالفعل المضارع من كلمة أخرى هي في الغالب « قاعد » ، وقد اختصرت هذه الكلمة في لهجة بغداد ولم يبق منها إلا الدال ، فهم يقولون : دا يلعب ، دا يفتى .

وقيل لنا إن اليهود بصفة خاصة قد سلكوا مع هذه الكلمة نفسها مسلكاً آخر فأبقوا منها على القاف ، فيقولون : قايلاب ، قايفنى .

٢ — والننى مع الشين في نحو « ماتمخش ، وما جاش » ، نراه في مصر وفي بلاد الشام وفي بلاد اليمن وفي شرق الأردن ، وجهات أخرى من الدول العربية الحديثة ، مما يرجع أنه ظاهرة قديمة كانت مألوفة في بعض اللهجات العربية القديمة ، وأنها انحدرت إلى لهجات كلامنا من تلك القبائل القديمة .

٣ — وأخيراً وليس آخراً ، كيف نسى أن يكون موقف اللهجات الحديثة جميعها متحداً في سلوكها مع المثني والجمع والمذكر السالم والأسماء الخمسة ؟ فليس في هذه اللهجات من مظاهر المثني إلا الاسم المثني مثل : « كتابين ورجلين » ، وفيها جميعاً يلتزم الجمع المذكر الصحيح حالة واحدة هي بالياء دائماً مثل : « مسلمين ومظلومين » ، وتلتزم الأسماء الخمسة حالة واحدة هي بالواو مثل : « أبوك وأخوك » .

أليس من الممكن أن يقوم مثل هذا دليلاً على أن القبائل القديمة كانت تسلك هذا المسلك أيضاً في لهجات خطابها ؟

ولنا من كلام النحاة ما يؤيد هذا الرأي فقد أشاروا في كتبهم إلى أن من العرب من كانوا يلتزمون حالة واحدة لكل من الجمع والأسماء الخمسة .

لسنا بعد كل هذا نتجنى على اللغة حين ندعو إلى الفصل بين ظواهر اللهجات وظواهر اللغة النموذجية الأدبية ، وإلى اعتبار ما اشترك في لهجات الكلام الآن مما ينتمى إلى ظواهر قديمة شاعت في لهجات الحديث عند العرب القدماء .

ملاحق

نصوص عن اللهجات العربية القديمة

(مستمدة من معجم لسان العرب)

الجزء الأول

١ — ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل لغة لبعض دون بعض نحو قولهم للمرأة قولى، وللرجلين قولاً وللجميع قولو ، وإذا وصلوا الكلام لم يهزوا . ويهزون « لا » إذا وقفوا عليها . ومنها همزة التوهم كما روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهزون ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز ، قال سمعت امرأة من غنى تقول رثأت زوجي بأبيات كآها لما سمعت رثأت اللين ذهبت إلى أن مرثية الميت منها . (ص ١٠) .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى فيمن همز مالميس بهموز :
وكنْتُ أُرَجِي بئرَ نَعْمَانَ حائِراً فَلَوْأُ بِالْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ حَائِراً
أراد لوتى فهمز ، كما قال [كشتريء بالحد ما لا يصيره] قال أبو العباس
هذه لغة من يهزم مالميس بهموز (ص ١١) .

٢ — قال أبو زيد وسمعت بعض بني فزارة يقول : هَا كَسَايَانِ ، خُبَايَانِ ،
قُضَايَانِ فيحول الواو ياء . (ص ١٣) .

٣ — قال وسمعت أعرابياً من قيس يقول : يَا أَبَ أَقْبِلْ ، وَيَابَ أَقْبِلْ ،
وَيَا أَبَةَ أَقْبِلْ ، وَيَابَةَ أَقْبِلْ فَألقى الهمزة . (ص ١٤) .

٤ — قال أبو زيد وسمعت بعض بني عجلان من قيس يقول : رَأَيْتُ
غَلَامِيَّيْكَ ، وَرَأَيْتُ غَلَامِيَّسَدَ تَحْوَلُ الهمزة التي في « أسد » وفي « أهلك »
إلى الياء ويدخلونها في الياء التي في الغلامين التي هي نفس الإعراب فيظهر
ياء ثقيلة في وزن حرفين . (ص ١٤) .

قال وسمعت رجلاً من بني كلب يقول هذه دأبة ، وهذه امرأة شابة فبهزوا الألف فيهما : (ص ١٤) .

٥ — قال أبو زيد أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا (ص ١٤) .

٦ — قال الفراء : وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يههزون البريئة والنهيء والذريئة ١٢ .. وقال اللحياني أجمت العرب على ترك هـ هذه الثلاثة ولم يستثن أهل مكة . (ص ٢٢) .

٧ — وأهل المالية يقولون برأت أبرأ برأ وبروءا ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وسائر العرب يقولون برئت من المرض (ص ٢٢) .

٨ — قال اللحياني أهل الحجاز يقولون أنا منك برأء . . . لا يثنى ولا يجمع . . . ولغة تميم وغيرهم من العرب أنا برىء (ص ٢٤) .

٩ — وفي المثل شر ما أجاك إلى نخة العرقوب (يضرب هذا عند طلبك إلى اللئيم أعطاك أو منمك) وشر ما يجيئك إلى نخة عرقوب . قال الأصمعي وذلك أن العرقوب لا مخ فيه وإنما يمحج إليه من لا يقدر على شيء ، ومنهم من يقول [شر ما أجاك والمعنى واحد ، وتمر تقول : شر ما أشاءك] (ص ٤٥) .

١٠ — في الحديث عن الحدأة جميعها حداً [قال أبو حاتم أما أهل الحجاز فيقولون لهذا الطائر الحدب وهو خطأ ويجمعون الحدادي وهو خطأ . وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس بقتل الحدو والإفعو للمحرم وكأنها لغة في الحدأ ، والحدب تصغير الحدو] . (ص ٤٧) .

١١ — الحُكَاةُ دويبة وقيل هي المَظَايِة الضخمة يهزم ولا يهزم والجميع الحُكَا مقصور . . . وأهل مكة يسمون المَظَاة الحُكَاة والجميع الحُكَا مقصورة . (ص ٥٢) .

١٢ — الإِدْفَاءُ القتل في لغة بعض العرب ، وفي الحديث أنه أتى بأسير يرعد فقال لقوم اذهبوا به فأدفوه فذهبوا به فقتلوه فوداهُ صلى الله عليه وسلم أراد الإِدْفَاءُ من الدفء وأن يُدْفَأَ بثوب فحسبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن (أو جبينه) ، وأراد أدفتوه بالهمز تخفيفه بحذف الهمزة وهو تخفيف شاذ . . . وتخفيفه القياسي أن تحمل الهمزة بين بين لا أن تحذف ، فارتكب الشذوذ لأن الهمز ليس من لغة قريش . فأما القتل فيقال فيه أدفأت الجريح ودافأته ودفوتُهُ ودافيته وداففته إذا أجهزت عليه . [ملاحظة : لعلمهم ظنوا الأمر من دفوتُهُ] (ص ٧٠) .

١٣ — في لغة بلخارث بن كعب « الصيص » هو « الشيص » عند الناس (ص ١٠٢) .

١٤ — ما فتئت وما فتأتُ أذكره لفتان بالكسر والنصب . . . وما أفتأتُ الأخيرة تميمية . (ص ١١٤) .

وروى عن أبي زيد قال تميم تقول أفتأت وقيس وغيرهم يقولون فتئت . (ص ١١٥) .

١٥ — قِرْأَةُ البلاد وبأؤها قال الأصمعي إذا قدمت بلادا فسكنت بها خمس عشرة ليلة قد ذهبت عنك قِرْأَةُ البلاد وقِرْأُ البلاد . فأما قول أهل الحجاز قِرَّة البلاد فإنما هو على حذف الهمزة المتحركة وإلقائها على الساكن الذي قبلها وهو نوع من القياس . (ص ١٢٨) .

١٦ — كَثَّاتُ اللحية وكثَّاتُ (كثف وغلظ شعرها) . كَرَفَا شَعْرُ

الرجل كثر والتف في لغة بني أسد (ص ١٣٢) .

١٧ — قل من يكلؤكم بالليل والنهار ، ومن قال يكلأكم قال كَلَيْتُ

مثل قضيت وهي من لغة قريش (ص ١٤٠)

١٨ — المرأ الإنسان ، وزعم السكري أن كسر الميم لغة هذيل (ص ١٥٠)

١٩ — قال سيبويه ؛ ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلة بالهمز

غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخاوية إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخافون العرب في ذلك قال والهمز في النبي لغة رديئة يعني لقلة استعمالها لأن القياس يمنع من ذلك ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلعم وقد قيل يأنبيء الله فقال لا تنبر باسمي فإنما أنا نبي الله . (ص ١٥٧ . وقارن الهامش ٦)

٢٠ — استورات الإبل إذا ترابت على نفار واحد ، وقال أبو زيد إذا

نفرت فصعدت الجبل ، فإذا كان نفارها في السهل قيل استأور ، قال وهذا كلام بني عقيل (ص ١٨٩) .

٢١ — قال عمر رضي الله عنه « لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس

بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا » . أي متساوين في المطاء . وقرر الأزهري أن بيان يمانية (ص ٢١٦) .

٢٢ — التاب الضميف والجميع أتاب هذلية نادرة (ص ٢٢٠)

٢٣ — لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت

فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء (ص ٢٢٧)

٢٤ — قال شمر الأثلب بلغة أهل الحجاز الحجر وبلغة بني تميم التراب

(ص ٢٣٥) .

- ٢٥ — الجذب مدُّك الشيء والجذب لفة تميم (ص ٢٥١) .
- ٢٦ — الجُشْبُ قشور الرمان يمانية (ص ٢٥٩) .
- ٢٧ — حكى اللحياني عن بنى سُلَيم ما أَحَبَّتْ ذلك أى ما أَحَبَّتْ كما قالوا ظَنَنْتُ أى ظَنَنْتُ (ص ٢٨١)
- ٢٨ — الحَرْبُ الطَّلَعُ يمانية واحده حَرْبَةٌ وقد أحرب النخل وحربه إذا أطمعه الحَرْب وهو الطلع (ص ٢٩٥) .
- ٢٩ — أُنَانِي حِسَابٌ من الناس أى جماعة كثيرة وهى لفة هذيل . (ص ٣٠٣)
- ٣٠ — تَحَصَّبَ الخبَرَ استخبر عنه حجازية (ص ٣٠٧) .
- ٣١ — (ا) قال القراء ذكر أن « الحَصَبُ » فى لغة أهل اليمن العَطَبُ (ص ٣١٠ ، ٣١١)
- (ب) قال القراء « العصب » فى لغة أهل « نجد » ، مارميت به فى النار .
- (ج) وقال عكرمة حصب جهنم هو حطب جهنم بالعشبية .
- (د) الحَصَّبَ (بالضاد) العطب فى لغة اليمن .
- ٣٢ — الحَوْبُ والعَوْبُ والحَابُ الإِثْمُ فالعَوْبُ بالفتح لأهل الحجاز والحَوْبُ بالضم لتيَم (ص ٣٢٩) .
- قال الأزهرى وبنو أسد يقولون : العائب للقاتل .
- ٣٣ — أهل البحرين يقولون للحديدة المقفنة ، التى لا أشر لها ولا أسنان المِخْلَبِ (ص ٢٥٠) .
- ٣٤ — التَّدْنُوبُ البُسر الذى قد بدا فيه الإِرطاب من قبل ذنبه .

قال القراء جامنا بتذنوب وهي لغة بني أسد ، والتميم يقول تذنوب
والواحدة تذنوبة (ص ٣٧٦)

٣٥ — ذهب الرجل بالكسر يذهب ذهباً فهو ذهبٌ هجم في المدن على
ذهب كثير فرآه فزال عقله وبرق بصره من كثرة عظميه في عينه .
وحكى ابن الأعرابي ذهب قال وهذا عندنا مطرد إذا كان ثانياً حرفاً من
حروف الحلق وكان الفعل مكسوراً الثاني وذلك في لغة بني تميم وسمه ابن
الأعرابي فظنه غير مطرد في لغتهم فلذلك حكاه (ص ٣٨١) .

٣٦ — رابني أمره ، قال الأصمعي أخبرني عيسى بن عمر أنه سمع هذيلاً
يقول أرابني أمره (ص ٤٢٦) .

٣٧ — الشاعبان المنكبان لتباعدهما يمانية (ص ٤٨٤) .

٣٨ — شُيِبٌ إنما هو جمع شائب كما قالوا بازل وبُزُل أو جمع شُيُوب
على لغة الحجازيين كما قالوا دجاجة بيُوض ودجاج بيُض (٤٩٤) .

الجزء الثاني

- ١ — السَّخَبُ لغة في الصَّخَبِ رُبْعِيَّةٌ قَبِيحَةٌ (ص ٩) .
- ٢ — قال الأزهرى سمعت أعرابياً من بنى فزارة يقول لخادم له ألا وارفعْ لى عن صعيد الأرض مِصْطَبَةً أَيْت عليها بالليل . قال وسمعت آخر من بنى حنظلة سمّاها المِصْطَفَةُ بالقاء (ص ١١) .
- ٣ — التَّصَقُّبُ القُرْبُ . ومنه حديث على عليه السلام أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وُجد بين القريتين حُمِلَ على أَصْقب القريتين إليه أى أَقْرَبهما ، ويروى بالسَّين . وأنشد لابن الرقيات :
كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحَلَّتْهَا لا أَمَمٌ دارها ولا صَقَبٌ
(ص ١٤) .
- ٤ — الطَّرْطُوبَةُ الضرع الطويل يمانية عن كراع (ص ٤٧) .
- ٥ — قال ابن شُمَيْلٍ فى سعد : بنو عَبَّ الشمس ، وفى قريش بنو عبد الشمس (ص ٦٤) .
- ٦ — العُرْبُ جمع عَرُوبٍ وهى المرأة العسناء المتحجبة إلى زوجها . وقيل هى الشَّيْكَلات بلفه أهل مكة والفتوحات بلفه أهل المدينة . (ص ٨١) .
- ٧ — طير عُكُوبٌ ، عُكُوفٌ . قال والباء لغة بنى خفاجة من بنى عُقَيْل (ص ١١٧) .
- ٨ — العنكبوت هى بلفه اليمين عَكَنْبَاةٌ (١٢٣) .
- ٩ — والمِية زبيل من أَدَمَ ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجريين فى لغة همدان (ص ١٢٥) .

- ١٠ — ابن سيده والفَرَب يسكون الراء شجرة ضخمة شاكّة خضراء حجازية (ص ١٣٦) .
- ١١ — ولقة بنى أسد امرأة غضبانة وملاّنة وأشباهاها (ص ١٤١) .
- ١٢ — الأزهرى أهل اليمن يسمون المرأة المسنة قَحْبة (ص ١٥٥) .
(قيل للبنى قحبة لأنها كانت فى الجاهلية تؤذن طُلابها بقُحايها وهو سعالها)
وفى ص ١٩٨ الكَحْب بلفة أهل اليمن العورة .
- ١٣ — قَرَبَ الشيء قزباً صلب واشتد يمانية (ص ١٦٥) القَسْبُ الصلب الشديد ، وقع فى شمر رؤبة . .
- ١٤ — القِسْبَةُ الخسيس من الناس يمانية (ص ١٦٨) .
- ١٥ — وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْبَة (ص ١٧٣) .
- ١٦ — القَلْبِيب والقَلُوب والقِلْمُوب والقَلْمُوب والقِلَاب الذئب يمانية .
(ص ١٨٢) .
- ١٧ — القائبة والقابة البيضة والقوب بالضم الفرخ . وفى المثل تخلصت قائبة من قوب يضرب مثلاً للرجل إذا انفصل من صاحبه ، قال أعرابى من بنى أسد لتاجر استخفّره إذا بلفت بك مكان كذا فبرئت قائبة من قوب ، أى أنا برىء من خفارتك (ص ١٨٧) .
- ١٨ — قال ورأيت فى بعض النسخ تَكْتَبَان بكسر التاء وهى لفة بهراء يكسرون التاء فيقولون تَعْلَمُونَ ثم أتبع الكاف كسرة التاء (ص ١٩٢)
[ملحوظة : هل هى التاء أو الياء ١٩]
- ١٩ — « لا يسمعون فيها لغوا ولا كِذْأَباً » أى كذبا عن اللحيانى ، قال الفراء خفّهما على بن أبى طالب عليه السلام جميعاً وتلقهما عاصم وأهل المدينة

وهي لغة يمانية فصيحة ، يقولون كذَّبتُ به كذابا وخرقت القميصَ حرَّاقا وكل فعلتُ فصدره فعَّال في لغتهم مشددة (ص ٢٠١) .

٢٠ - المطالب الجريء يمانية (ص ٢٢٠) .

٢١ - الكؤوبة النرد في كلام أهل اليمن (ص ٢٢٥) .

٢٢ - قيل لصفية بنت عبد المطلب وضربت الزبير : لم تضربينه ؟ قالت ليلبَّ ويقود الجيش ذا الجلبب أى يصير ذالِب . قال ابن الأثير هذه لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون لبَّ يلبب بوزن فرب .

٢٣ - آباب لباب يريد به لا بأس بلغة حمير (ص ٢٢٨) [مخلوطة : هل تصحيف التاء باء ؟] (وانظر صفحة ٣٨٨ وهو في لغة حمير كبات أى لا بأس) .

٢٤ - اللارِب واللاتِب واحد قال وقيس تقول طين لاتب ، واللاتب اللازق (ص ٢٣١) .

٢٥ - حكى أبو عمرو بن العلاء عن أعرابي من أهل اليمن فلان أنوب جاءته كثنائى فاحتقرها ، قلت أتقول جاءته كثنائى فقال أليس هو الصحيفة ؟ قلت فما اللغوب ؟ قال الأحق (ص ٢٣) .

٢٦ - ابن الأعرابي هرب الرجل إذا هريم . والمهرب الثوب يمانية الشعم على الكرش (ص ٢٨٢) .

٢٧ - الهوب اسم النار ، والهوب اشتعال النار ووهجها يمانية وهوب الشمس ووهجها بلغتهم (ص ٢٨٧) .

٢٨ - الوثب القمود بلغة حمير يقال ثبب أى أقعد ، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك ثبب أى أقعد فوثب فتكتمر . فقال الملك ليس عندنا عربيت من دخل خلفار حر أى تكلم بالحميرية . وقوله عربيت يريد العربية فوقف على الماء بالتاء وكذلك لغتهم . ورواه بعضهم

ليس عندنا عربية كهربتكم ، قال ابن سيده وهو الصواب عندى لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب والفعل كالفعل . والوثابُ الفِراشُ بلفظهم ، ويقال وثبته وثابا أى فرشت له فراشا والوثوب فى غير لفة حمير النهوض والقيام ، والوثبانُ بلفظهم الملك الذى يقعد ويلزم السرير ولا يفزو (ص ٢٩١)

٢٩ — الأنشاب والأوباش والأوشاب الأخلاط من الناس والرّاع ، ونمرة وشبة غليظة اللحاء يمانية (ص ٢٩٦) .

٣٠ — اليلبُ الدروع يمانية (ص ٣٠٦) .

٣١ — البرت والبرت الفأس يمانية . والبرتُ بلفظة الين السكر الطبرزد (ص ٣١٣) .

٣٢ — المبكتُ المهرُ المضمون حميرية (٣١٦) .

٣٣ — ابن الأعرابى العرب تقول أيتُ وأباتُ وأصيدُ وأصادُ ويموت ويمات ويدومُ ويدامُ وأعيفُ وأعافُ . ويقال أخيلُ الفيث بناحيتم وأخالُ لفة وأزيلُ يقال زال يريدون أزالُ . قال ومن كلام بنى أسد ما يليقُ بك الخير ولا يعمقُ إنباع الصجاح بات يبيتُ ويباتُ (ص ٣٢٠ وفى باب القاف ما عاقت المرأة عند زوجها ولا لاقتُ أى ما حظيتُ) .

٣٤ — التابوه لفة فى التابوت أنصارية (ص ٣٢١) .

٣٥ — هذيل تقول عتّى فى حتّى (ص ٣٢٨) .

٣٦ — الحليتُ الجليد والصقيع بلفة طيية (ص ٣٢٩) .

٣٧ — والخيتُ الحثير الردى من الأشياء ، قال اليهودى الخيبرى :

ينفعُ الطيبُ القليل من الرزق ولا ينفعُ الكثيرُ الخيبتُ

وسأل الخليل الأصمعى عن الخيبت فى هذا البيت فقال له أراد الخيبت

وهي لغة حير فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال « الكثير » وإنما كان ينبغي لك أن تقول إنهم يقلبون التاء في بعض الحروف . وقال أبو منصور في بيت اليهودي أيضاً أظن أن هذا تصحيف قال لأن الشيء العفيز الرديء إنما يقال له الختيت بتاءين وهو بمعنى الخسيس فصحفه وجعله الخبيت (ص ٣٣٢)

٣٨ — الختيت السين حيرية (ص ٣٣٦) .

٣٩ — غلبت وجاء على العين في لغة سمد فيقولون كنتُ محمٌ في معنى معهم (ص ٣٤٤) .

٤٠ — قال أبو زيد سمعت رجلاً من قيس يقول هذا رجل سيكتيت بمعنى سيكتيت (ص ٣٤٨) .

٤١ — الطست هو الطس بلغة طيء أبدل من إحدى السينين تاء للاستثقال (ص ٣٦٣) .

٤٢ — الأعفت في بعض اللغات الأعسر قيل هي لغة تميم والألفت أيضاً الأعسر (ص ٣٦٤) .

٤٣ — وتفاوت الشيطان أي تباعد ما بينهما تفاوتا بضم الواو وقال الكلابيون في مصدره تفاوتا ففتحوا الواو (ص ٣٧٣) .

٤٤ — في لغة حير كبات أي لا بأس (ص ٣٨٨) .

٤٥ — الأفت بفتح اللام اللص في لغة طيء وجمعه لصوت وهم الذين يقولون للطن طست (ص ٣٨٩) .

٤٦ — الألفت والأفتك في كلام تميم الأعسر سمي بذلك لأنه يعمل بجانبه الأمل وفي كلام قيس الأحق مثل الأعفت (ص ٣٩٠) .

٤٧ — مات يموت موتاً ويمات الأخيرة طائية (ص ٣٩٦) .

٤٨ — حَوَّثُ لُفَّةً فِي « حَيْث » إِمَّا لُفَّةً طَيِّبَةً وَإِمَّا لُفَّةً تَمِيمَ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ هِيَ لُفَّةً طَيِّبَةً قَطَطَ (ص ٤٤٤) .

٤٩ — هِيَ لُفَّةً فَاشِيَةً فِي الْحَبَّازِ يَقُولُونَ يَرِيدُ يَفْعَلُ أَيُّ أَنْ يَفْعَلَ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَمَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُهَا وَارِدَةً فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ (ص ٤٦٣) .

٥٠ — مَطْحَنُهُ يَطْحَنُهُ طَحْنًا ضَرِبَهُ بِكَفِّهِ يَمَانِيَةً (ص ٤٧٠) .

٥١ — أَصْلُ الْعَيْثِ الْفَسَادُ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ عَثَى لُفَّةً أَهْلُ الْحَبَّازِ وَهِيَ الْوَجْهَ

وَعَثَ لُفَّةً بَنَى تَمِيمَ ، قَالَ وَهُمْ يَقُولُونَ وَلَا تَعِيثُوا فِي الْأَرْضِ (ص ٤٧٦) .

الجزء الثالث

١ — والجيم والشين والصاد ثلاثة في حيز واحد وهي من الحروف الشجرية والشجر مفرج الفم، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم !! وقال أبو عمرو بن العلاء بمض العرب يدلون الجيم من الياء المشددة . قال وقت لرجل من حنظلة ممن أنت ؟ فقال فُقَيْمِجْ ، فقلت من أيهم ؟ قال مُرَّجْ ، يريد فُقَيْمِي مُرَى . وأنشد لمُنيان بن قُحافة السعدي يُطِيرُ عنها الوبرَ الصَّهَابِجَا [قال يريد الصهايبا من الصَّهْبَةِ . وقال خلف الأحمر أنشدني رجل من أهل البادية :

خالى عوف وأبو علجَ المظمان اللحم بالمشجَ
وبالفداء كسرَ البرنجَ ، يريد عليا والعشَى والبرنى ، قال وقد أبدلوها من
إياء الخففة أيضاً ، وأنشد أبو زيد .

يارب إن كنت قبلتَ حَجَّتِجَ فلا يزال شاحجَ بأتيكِجَ
أقرُّ نَهَارَ بُنْزَى وَفَرَجِجَ

(ص ٢٦) وانظر ص ١٤٤ .

٢ — الْجَلَجُ في لغة أهل اليمامة حباب الماء (ص ٤٧) .

٣ — قال ابن شميل : أهل اليمامة يسمون بطيخا عندهم أخضر مثل ما يكون عندنا أيام التَّيْمَامِ (رابع الشهور الشمسية عند الفرس) بالبصرة الْحَدَجُ (ص ٥٦) .

٤ — الْجَخُ بفتح الميم الفُتُور من مرض أو تعب يمانية (ص ٨٦)

٥ — دَحَجَ ابن سيدة دَحَجَهُ يَدَحَجُهُ دَحْجاً عرَكَ عَرَكَ كَعَرَكَ
الأديم يمانية ، والنال المصعقة لغة وهى أعلى (ص ٩٠) .

٦ — المَزِجَةُ ما يُزَجِّجُ به الحاجبُ ، والأَزْجُ الحاجب اسم له فى لغة
أهل اليمن (ص ١١١) .

٧ — أما الزوج فأهل الحجاز يضمونه للمذكر والمؤنث وضماً واحداً تقول
المرأة هذا زوجى ويقول الرجل هذه زوجى ، قال الله عز وجل : اسكن أنت
وزوجك الجنة ، وأمسك عليك زوجك ، وبنو تميم يقولون هى زوجته ،
وأبى الأصمى فقال زوج لا غير ، وقال الفرزدق :
ولمن الذى يسمى يُمَرَّشُ زوجتى كساعٍ إلى أسد الشرى يَسْتَبِيلُهَا
(ص ١١٦) .

٨ — المِسَجَّة التى يُطَلَى بها لغة يمانية (ص ١١٩) .

٩ — السَّمْنَجُ والسَّمِيج الذى لا ملاحه له الأخيرة هذلية (ص ١٢٤) .

١٠ — الشَّبَجُ الباب العالى البناء هذلية (ص ١٢٧) .

١١ — الليث وابن دريد تقول هذيل غَنَجٌ على شَنَج أى رجل على
جمل فالغنج هو الرجل والشنج الجمل . والشَنَجُ الشيخ هذلية ، يقولون شَنَجٌ
شَنَج على غنج أى شيخ على جمل ثقيل والله أعلم (ص ١٣٤) وانظر ص ١٥٤

١٢ — الأَصْلَجُ الأصلع بلغة بعض قيس (ص ١٣٥) .

وقال الأزهرى فى ترجمة « صلخ » « الأصاخ » بالخاء الأصم كذلك قال
الفراء وأبو عبيد ، قال ابن الأعرابى فهو لاء الكوفيين أجمعوا على هذا
الحرف بالخاء وأما أهل البصرة ومن فى ذلك الشق من العرب فإفهم يقولون
« الأصلج » بالميم . قال وسمعت أعرابياً يقول فلان يتصالح علينا أى يتصامم ،

قال ورأت أمة صماء تعرف بالصلحاء ، قال فيها لفتان جيدتان بانحاء والجيم .
قال الأزهرى وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتيم يقول للاصم أصلح
وفيه لفظة أخرى لبني أسد ومن جاورهم أصلح بانحاء (ص ١٣٥) وانظر
ج ٤ ص ٣ .

١٣ - والمصححة في قضاة كالمنعنة في تيم يحولون الياء جيا مع المين
يقولون هذا راعج حرج مبعج أى راعى حرج معى كما قال الراجز :
خالى لقيط وأبو عليج المظمان اللحم بالمشج
وبالفداء كسر البرمج يُقْلَعُ بالودّ والصيصج
أراد على والمشى والبرى والصيصى (ص ١٤٤) .

١٤ - ابن سيده رجل أعصج أصلح لفظة شفاء لقوم من أطراف المين
لا يؤحد بها (ص ١٤٩) .

١٥ - وقولهم شيخ على عنج أى شيخ هرم على حمل ثقيل ، والنج
بلغة هديل الرجل وقيل هو بالنين معجمة قال الأزهرى ولم أسمعه بالمين من
أحد يرجع إلى علمه ولا أدري ما صحته (ص ١٥٤) ويقارن بصفحة (١٣٤) .

١٦ - وما أعيج من كلامه بشئ أى ما أعيا به ، قال وبنو أسد يقولون
ما أعوج بكلامه (ص ١٦٠) .

١٧ - ويقال اللج السيف بلغة طيء وقال شمر قال بمصهم اللج السيف
بلغة هديل وطوائف من اليمن (ص ١٧٨) .

١٨ - قال الأزهرى وسمعت أعرابيا من بني كليب يقول : لما فتح
أبو سعيد القرمطي « هجر » سوى حطاراً من سف النخل وملأه من النياء
المعرياب ثم ألج النار في الحطار فاحترقن (ص ١٨١) .

١٩ — أبو السَّمِيدِيع سرنا عقبه مَتَوْجًا أَى بعيدة قال وسمعت «مدركا»
و «مبتكرا» الجعفرين يقولون سرنا عقبه مَتَوْجًا ومتوحا، ومتوحا، أَى
بعيدة فإذا هي ثلاث لفات (ص ١٨٥) .

٢٠ — قال بعض غنيّ يقال لَجَلَجَتُ اللَّقْمَةَ ونَجَجْتُهَا ، إذا حركتها في
فيك وردتها فلم تبتلعها (ص ١٩٨) .

٢١ — تَنَفَّجَتِ الأَرَبُ اقشمرت يمانية (ص ٢٠٥) .

٢٢ — ووادٍ هَجِيجٍ وإِهْجِيجٍ عميق يمانية (ص ٢٠٩)

٢٣ — قال أبو موسى المَرْجَ بلسان الحبشة القتل (ص ٢١٢)

٢٤ — الوَئِيجُ خشبة القَدَّانِ عُمانية (ص ٢٢٥)

٢٥ — وقال اللحياني زعم الكسائي أنه سمع رجلا من بني عامر يقول :
إذا قيل لنا أبقَى عندكم شيء ؟ قلنا بَحْبَاحٍ أَى لم يبق (ص ٢٣٠)

٢٦ — جَحَّ الشَّيْءُ يَجْحَهُ جَحًّا سحبه يمانية (ص ٢٤٣)

٢٧ — قال الأصمعي قال لي صبيٌّ من أعراب بني أسد دَلَبَحَ أَى طأطى ،
ظَهَرَكَ ، قال ودَرَبَحَ مثله (ص ٢٦٠)

الأزهرى قال أعراب بني أسد دَلَبَحَ أَى طأطى . ظَهَرَكَ ودَرَبَحَ مثله
(ص ٢٦٠)

٢٨ — قال ابن دريد السُّحَّ تمر يابس لا يُكْنَزُ لِقَةِ يمانية ، قال الأزهرى
وسمعت البعرائين يقولون لجنس من القسب (تمر يابس يفتت في الفم)
السُّحَّ (ص ٣٠٦)

٢٩ — والسَّرْحَانُ (الذئب المشهور) ، والسَّيِّدُ الأسد بلفظة هذيل
(ص ٣١١) .

٣٠ - السَّقَّةُ الصَّلَعُ يمانية رجلُ أُسْتَحُ وسيدُ كَر في الصاد (ص ٣١٦)

الصَّقَّةُ الصَّلَمَةُ ورجلُ أَصْقَحُ يمانية (ص ٣٤٨)

٣١ - الشارح في كلام أهل اليمن الذي يحفظ الزرع من الظهور وغيرها (ص ٣٢٩)

٣٢ - الشَّقَّةُ والشَّقَّةُ البُسْرَةُ التفتيرة إلى الحفرة . قال وهو في لغة أهل الحجاز الزَّهْوُ (ص ٣٢٩)

٣٣ - الشَّلْحَاءُ السيف بلفة أهل الشَّخَرُ وهي بأقصى اليمن (ص ٣٣٠)

٣٤ - وقول المذلي [وكرّم ماء صريحا] أي خالصا ، وأراد بالتكريم التكريه قال وهي لغة هذلية (ص ٣٤١)

٣٥ - قال خالد بن كلثوم ضحضاح في لغة هذيل كثير لا يعرفها غيرهم يقال عنده إبل ضحاح ، قال الأصمعي غم ضحضاح وإبل ضحضاح كيرة وقال الأصمعي هي المنتشرة على وجه الأرض ، والضحضاح في الأصل مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكمين (ص ٣٥٧)

٣٦ - وَقَقَاةُ الهذلي وَقَقَقْتُهَا راحتها يمانية سميت بذلك لاتساعها ، والفقعة منديل الإحرام كل ذلك بلفظهم ، وَقَقَحَ الشيء بَفَقَحَهُ قَقَحًا سَفَهُ كَمَا يُسَفُّ الدَّوَاءُ يمانية (ص ٣٨٠)

٣٧ - الْقَدَّاحُ النِّصْفِيَّةُ (الرطبة من علف الخواب) الرُّطْبَةُ هو قايصة الواحدة قَدَّاحَةٌ (ص ٣٩١)

٣٨ - القمح لغة شامية وأهل الحجاز قد تكلموا بها (ص ٤٠٠)

٣٩ - وروى عن الأصمعي أنه قال : القَقَّحُ كراهة الشرب (مادة فتح) ، ولكن القَقَّحُ (مادة فتح) أن تشرب فوق الرئي ، قال الأزهري

وهو كما قال شمر وهو التفتيح والترشح سميت ذلك من أعراب بنى أسد
(ص ٤٠١، ٤٠٢)

٤٠ — ورجل بجّاح بجّاح بما لا يملك يمانية (ص ٤٢٥)

٤١ — وحضرني أعرابيان فصيحان من بنى كلاب قال أحدهما لا أقول
إلا إنفحة وقال الآخر لا أقول إلا منفحة ثم افترقا على أن يسألا عنها أشياخ
بنى كلاب فاتفقت جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا فهما لفتان ، وفّاح
المرأة زوجها يمانية (ص ٤٦٤)

٤٢ — امرأة بَيْدَخَة تارة لغة حيرية ، (في مادة بدخ) وامرأة بَيْدَخْ
أى باذن (ص ٤٨٤)

٤٣ — البرّخُ الكبير الرّخصُ عُمانية وقيل هى بالعبانية أو السريانية ،
يقال كيف أسعاهم فيقال برّخ أى رخيص (ص ٤٨٤)

٤٤ — انْخَوْخَة كَوْهَة فى البيت تؤدى إليه الضوء ، وانْخَوْخَة مُخْتَرَقُ
ما بين كل دارين لم يُنصب عليها باب بلفة أهل الحجاز (ص ٤٩٠)

٤٥ — الرّدخُ مثل الرّدغُ عُمانية (كلاهما بمعنى الوحل الكثير) (ص ٤٩٥)

٤٦ — « رمخ » شمر هو السّدا والسّداء ممدود (البلخ) بلفة أهل المدينة ،
وهو السّياب (بلخ أو تمر) بلفة وادى القرى ، وهو الرّمخ بلفة طيماء واحدها
رُمخَة ، وانْخَلالَ بلفة أهل البصرة ، والرّمخ الشجر المجثم والرّمخ والرّمخ
البلخ واحده رُمخَة لغة طائية (ص ٤٩٦)

٤٧ — الرّخِيع النار يمانية (ص ٤٩٨)

٣٨ — السّماخ لغة فى الصّماخ ، ويقال سمخى بمخة صوته وكثرة كلامه
ولغة تميم الصّمخ (ص ٥٠٤)

الجزء الرابع

- ١ — الأصْلَحُ الأصَمَ كذلك قال الفراء وأبو عبيد فهؤلاء الكوفيون أجمعوا على هذا الحرف بالخاء المعجمة وأما أهل البصرة ومن في هذا الشق من العرب فإنهم يقولون الأصْلَحُ بالجيم (ص ٣) [وانظر ج ٣ ص ١٣٥]
- ٢ — الصَّمَاخُ من الأذن الخشرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تسمية والصماخ لغة فيه (ص ٤)
- ٣ — الطَّبِيخُ بلفظة أهل الحجاز البطيخ وقيده أبو بكر بفتح الطاء (ص ٧)
- ٤ — وأهل اليمن يسمون الصَّمْعَ (بمعنى الضرب) القَفْعَ (ص ١٧)
- ٥ — نَكَحَهُ في حلقه نَكَحًا لَمَزَهُ يَمَانِيَةً (ص ٣٢)
- ابن سيده الهَبِيخَةُ الرضعة وهي أيضاً الجارية الثارة المتلثة وكل جارية بالحيرية هَبِيخَةٌ والهَبِيخُ فَمِيلٌ بقتيد الياء الغلام بلفتهم أيضاً (ص ٣٢)
- ٦ — وثوب بَرُودٌ إذا لم يكن دَفِينًا ولا لَيْنًا من الثياب وثوب أَبْرَدُ فيه لَمْعٌ سَوَادٍ وبياض يَمَانِيَةً (ص ٥٤)
- ٧ — الْبَلَدُ الدار يَمَانِيَةً (ص ٦٢)
- ٨ — التَّقْرِدَةُ الكسيرة عن ابن دريد قال والتقردة الأبرار كلها عند أهل اليمن (ص ٦٨)
- ٩ — وأَجْدَادُ الْخُلَفَاءِ من الثياب وهو معرب كَدَادٍ بالفارسية ، والجَدَادُ الخيوط المعقدة يقال لها كَدَادٌ بالنبطية (ص ٨٥)
- ١٠ — الْجَرِيْمَةُ السَّمْفَةُ ما كانت ، بلفظة أهل الحجاز (ص ٩١)

١١ — قال أبو عبيد والمزبد أيضاً موضع التمر مثل الجرين فالربد بلفظة أهل الحجاز والجرين لهم أيضاً والأندر لأهل الشام والبيدر لأهل العراق . قال الجوهري وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف مربداً وهو السطح والجرين في لغة أهل نجد ، والمربد للتمر كالبيدر للحنطة (ص ١٥١) وربد السيف فرنده هذلية .

١٢ — الرندُ الآس وقيل وهو المود الذي يُنخَر به ، واحدته رندة ، قال الأزهري الرند عند أهل البحرين شبه جوالق ، ورأيت هجرها يقول الرند وكأنه مقلوب (ص ١٦٩)

١٣ — السبندى والسبندى والسبنتى النمر وقيل الأسد ، وقيل السبندى الجرى من كل شيء هذلية (ص ١٨٧) قال الأزهري . في الرباعي السبندى الجرى . وفي لغة هذيل الطويل ، « الساجد » المنتصب في لغة طيء . قال الأزهري ولا يحفظ لغير الليث

١٤ — السؤودُ الفناء بلفظة حير ، يقال اسؤدى لنا أى غنى لنا (ص ٢٠٤)

١٥ — والسؤودُ الشرف معروف وقد يهمز وتضم الدال طائفة ، الأزهري السؤودُ بضم الدال الأولى لغة طيء . (ص ٢١٣)

١٦ — السيدُ الذئب ويقال سيدُ رمل ، وفي لغة هذيل الأسد (ص ٢١٧)

١٧ — فيمكن تخريجه على لغة بعض العرب من بكر بن وائل يقولون « رَدْتُ ، رَدْتُ ، رَدَنْ » ، يريدون رَدَدْتُ ، رَدَدْتُ ، رَدَدَنْ . قال الخليل كأنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون (ص ٢٢٠)

١٨ — والشكْدُ الجزاء والشكْدُ كالشكر يمانية (ص ٢٢٤)

١٩ — الليث لغة تميم شهيد بكسر الشين يكسرون فصيلاً في كل شيء كان

ثانيه أحد حروف الحلق، وكذلك سُفلى مصر يقولون فَمَيْلا قال ولفة
شماء يكسرون كل فَمِيل والنصب اللفّة العاليّة (ص ٢٢٧)

٢٠ — وكذلك فيمن قال رُسُلٌ مخففة قال وهي اللفّة التميمية
(ص ٢٤٩)

٢١ — وأهل الحجاز يثبتون الياء والواو نحو صَيْدَ، عَمُورَ، وغيرهم
يقول صادَ بَصادُ، عارَ بَمارُ (ص ٢٥٠)، والصائدُ الساقُ بلفّة أهل اليمن
(ص ٢٥١)

٢٢ — وقد يوضع الضَّادُ على الرأس للصداع يُضدُّ به والمضدّ لفة يمانية
(ص ٢٥٣)

[ص ٤١٢. المضدّ لفة في ضدّ الرأس يمانية]

٢٣ — سألت أبا عبيدة عن الماء المِدّ فقال لي الماء المِدُّ بلفّة تميم الكثير
قال وهو بلفّة بكر بن وائل الماء القليل (ص ٢٧٦)

٢٤ — المضدّ وهو ما بين المرقق إلى الكتف والكلام الأكثر المضدّ
قال أبو زيد أهل تهامة يقولون المضدّ والمعجُز ويدكرون (ص ٢٨٣)

٢٥ — وقوله أَهْمَدَتَاهُ رِجْلَاهُ على لفة من قال أَكَلُونِي البَراغيث وهي
لفة طيية (ص ٢٩٦)

٢٦ — القراميد في كلام أهل الشام آجِرُ الحمامات وقهل وهي بالرومية
قَرَمِيدَى (ص ٣٥٢)

٢٧ — الإِقلِيد المفتاح يمانية وقال اللحياني هو المفتاح ولم يَغْرِها إلى اليمن
(ص ٣٦٨)

٢٨ — قَادَ الدابة قَوْدًا فهي مَقْوودة، مَقْوودة الأخيرة لاهرة وهي تميمية
(ص ٣٧٢)

٣٨ — ولغة بنى عدي كذتُ أَهْلُ كذا بضم الكاف (ص ٣٨٦).
وكوّد التراب جمه وجمله كُثْبَةً يمانية .

٣٠ — كدّه عن الأمر كدّا حبه هذلية (ص ٣٩٦)

٣١ — وأما أبو عبيد فروى عن أبي عبيدة أن أهل العالية يقولون نجدّ الناقة مخففا إذا علفها ملء بطونها وأهل نجد يقولون نجدّها تمجيذا مشددا إذا علفها نصف بطونها (ص ٤٠٢) .

[العالية ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة]

٣٢ — قال الأخفش نجدّ لغة هذيل خاصة يريدون نجدّا (ص ٤٢٢) .
وقال فلان من أهل نجد قال وفي لغة هذيل والحجاز من أهل النجد (ص ٤٢٥) .

٣٣ — وجدّ مطلوبة الشيء يَجِدّه وُجودا . ويَجِدّه أيضا بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال قال لبيد وهو عامري [تدعُ الصوادي لا يَجِدُن غليلا] قال ابن بري الشعر الجريز وليس للبيد كازعم (ص ٤٥٨) .
٣٤ — فإن وافق قول عملاً فَأَخِجْ وَأُوْدِدْهُ أَي أَحْبَبْهُ وَصَادَقَهُ فَأَظْهَرِ الإِدْغَامَ لِلأَمْرِ عَلَى لُفَةِ الْحِجَازِ (ص ٤٦٩) .

الوَدُّ الوَتْدُ بلفظة تميم . الجوهرى الوَدُّ بالفتح الوتد في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء فأدغموها في الدال (ص ٤٧٠) .

الجزء الخامس

- ١ — قال ابن جني قال خالد : إذا لفة هديل وغيرهم يقولون إذ (ص ٨) .
- ٢ — الرَبْدَةُ المخرقة يُهْنَأُ بها تميمية (ص ٢٥) .
- ٣ — أُنْجِدَ الكلابَ أغراءً يمانية (ص ٢٨) .
- ٤ — الشموذة ليس من كلام أهل البادية (ص ٢٩) والطرْمَذَةُ ليس من كلام أهل البادية (ص ٣٢) .
- ٥ — وحكى عن بنى سليم ما رأيتُه مِنْذُ سِتٍّ بكسر الميم ورفع ما بعده وحكى عن عُكْلٍ مِدُّ يومان بطرح النون وكسر الميم وضم النال ، وقال بنو ضبة والرباب يخفَضون بِمَدٍّ كل شيء (ص ٤٧) .
- ٦ — وفي حديث محمد بن مسلمة فإذا جارية من الأنصار على إجارٍ لهم ، والإنجار بالنون لفة فيه (ص ٦٧) .
- ٧ — قال الأضمى استَوَارَتْ الإبل إذا ترابت على نفار واحد . وقال أبو زيد : ذلك إذا فرت فصمدت الجبل ، فإذا كان فتلها في السهل قيل استأورت ، قال وهذا كلام بنى عُقَيْل (ص ٩٦) .
- ٨ — قال وأما ما يروى من أن النمر بن تولب قال سمعت رسول الله صلعم يقول : « ليس من أمثلة انصيام في امسفر » يريد من البر الصيام في السفر فإنه أبطل لام المعرفة ميمًا . وهو شاذ لا يسوغ حكاه عنه ابن جني ، قال ويقال إن النمر بن تولب لم يرو عن النبي صلعم غير هذا الحديث (ص ١١٦) .

٩ - قال وقال بعضهم أَبْشَرْتُ (بمعنى كَشَرْتُ) ولعلها لغة حجازية (ص ١٢٧) .

١٠ - البَطْر الخاتم حيرية وجمه بطور ، قال شاعروهم : « كما نَلَّ البَطُورَ من الشناتر » الشناتر الأصابع . قال والبَصْرُ بالضاد نوف الجارية قبل أن تُخَفَضَ ، ومن العرب من يبدل الظاء ضادا فيقول البَصْرُ وقد أشتكى ضهرى ، ومنهم من يبدل الضاد ظاء فيقول قد عظمت الحربُ بنى تميم (ص ١٣٧)

١١ - وبنو تميم يقولون « بِمَيْرٍ » بكسر الباء وشدِيد وسائر العرب يقولون بِمَيْرٍ (ص ١٣٧) .

١٢ - وأهل اليمن يسمون البقرة بِأَقُورَة وكتب النبي صلعم في كتاب الصدقة لأهل اليمن « في ثلاثين بأقورة » بقرة (ص ١٤٠) .

١٣ - التَّيْهُور ما اطمان من الأرض وقيل هو ما بين أعلى شفير الوادى وأسفله العميق نجدية وقيل هو ما بين أعلى الجبل وأسفله هذلية (ص ١٦٣) .

١٤ - وقال اللحياني جَبْرَهُ لغة تميم وحدها قال وعامة العرب يقولون أجبره . قال الأزهرى وهى لغة معروفة وكان الشافى يقول جَبَرَّ السلطانُ وهو حجازى فصيح (ص ١٨٥) .

١٥ - الحظيرة جَرِين التمر نجدية لأنه يحظره ويحصره ، والحظيرة ما أحاط بالشئ (ص ٢٧٩) .

١٦ - والحَفَر والحَفَر سلاق فى أصول الأسنان وتيل هى صفرة تملو الأسنان . ويقال فى أسنانه حَفَرٌ وبنو أسد تقول فى أسنانه حَفَرٌ بالتحريك (ص ٢٨١) .

١٧ - وحرّ الرجل تكلم بكلام حمير ولهم ألفاظ وانفات تخالف لغات

سائر العرب ومنه قول الملك الحيرى ملك ظفار وقد دخل عليه رجل من العرب فقال له الملك نب، وثب بالحيرة اجلس فوثب الرجل فاندقت رجلاه فضحك الملك وقال ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حر أى تعلم الحيرة (ص ٢٩٤) وانظر ج ٢ ص ٢٩١ .

١٨ - استخمر قوما أى استبدم بطة أهل اليمن ، وأخوه الشيء أعطاه إياه أو ملكه ، قال محمد بن كثير هذا كلام عندنا معروف باليمن (ص ٣٤٣) ١٩ - الونج والميس باليمانية اسم الخشب الطويلة ، بين الثورين (ص ٣٦٣) وانظر ج ٣ ص ٢٢٥ .

٢٠ - قال القراء و « مذكر » فى الأصل مذ تكرر على مُفْتَعِلِ فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة قال وبعض بنى أسد يقول مذكر فيقبلون الدال فتصير ذالا مشددة وقد قال الليث الذكر ليس من كلام العرب وريعة تغلط فى الذكر فتقول دكر (ص ٣٧٦) .

٢١ - أجمع القراء على ترك الهمز فى الذرية وقال يونس أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النهى والبرية والذرية (ص ٣٩١) وانظر ج ١ ص ٢٢ .

٢٢ - قال ابن الأعرابى من غريب شعر البر الزناير واحدها : زنبيرة ، زنبارة ، زنبورة وهو ضرب من التين وأهل الحضر يسونه الحلوانى (ص ٤٢٠) .

الجزء السادس

- ١ — السَّوْجَرُ ضرب من الشجر قيل هو الخِلاف يمانية (ص ١١) .
- ٢ — أبو عمرو وسمعت بعض قيس يقول سَدَلَ الرجلُ في البلاد وسَدَرَ إذا ذهب فيها فلم يثنه شيء (ص ٢٠) .
- ٣ — السَّقَر من جوارح الطير معروف لغة في الصقر ، والزَقَر الصقر مضارعه وذلك لأن كلبا تقلب السين مع القاف خاصة رايا ويقولون في « مس سَقَر » مس زقر (ص ٣٧) .
- ٤ — الجوهري لغة بنى أسد « سكرانة » (ص ٣٨) .
- ٥ — الواحدة من كل ذلك شجرة ، شِجْرَة ، وقالوا شِكِيرَة فأبدلوا فلما أن يكون على لغة من قال شِجْرَة وإما أن تكون الكسرة لجاورتها الياء . قلبت الجيم ياء في شِيرَة كما قلبوا الياء جيمًا في قولهم أنا تَمِيجٌ أى تَمِى . والذي حكاه سيبويه ، أن ناسا من بني سعد يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف خاصة وذلك لأن الياء خفيفة ، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم تَمِيجٌ في تَمِى فاذا وصلوا لم يبدلوا فأما ما أنشده سيبويه من قولهم :
 خالى عوف وأبو عـلـج المـطـمان اللـحـم بالـشـج
 وفي الفداء فَلَقَ البَرَنج
 فإنه اضطر إلى التافية ، فأبدل الجيم من الياء في الوصل كما يبدلها في الوقف (ص ٦١) .
- ٦ — وأهل الحجاز يقولون هذه الشعر بعير هاء وهم يقولون هي البَر وهي الشمير وهي التمر (ص ٦٢) .

- ٧ — شَعَرَ فَاهُ شَعْرًا فَتَحَهُ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَحْسَبَهَا يَمَانِيَّةٌ (ص ٦٥) .
- ٨ — وَالشَّرَّانُ عَلَى تَقْدِيرِ فُطْلَانٍ دَوَابٌ مِثْلُ الْبَعُوضِ وَاحِدَتُهَا شَرَّانَةٌ لَفَةٌ لِأَهْلِ السَّوَادِ (لَهُ الْهَمُوشُ) (ص ٦٩) .
- ٩ — الشَّرْشُورُ طَائِرٌ صَغِيرٌ مِثْلُ الْمَصْفُورِ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ تَسْمِيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ الشَّرْشُورَ وَتَسْمِيهِ الْأَعْرَابُ الْبِرْقِشَ (ص ٧٠) .
- ١٠ — الشُّنْثَرَةُ الْأَصْبَعُ بِالْحَمِيرَةِ قَالَ حَمِيرٌ مِنْهُمْ رَأَى امْرَأَةً أَكَلَهَا الذُّئْبُ:
أَيَا جَحْمَتَا بَكِيٍّ عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ أَكِيلَةَ قُلُوبٍ بِيَعُضِ الْمَذَانِبِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ شَطْرِ عِجَانِهَا وَشُنْثَرَةٍ مِنْهَا وَإِحْدَى الذَّوَابِ
التَّهْدِيبُ الشُّنْثَرَةُ وَالشُّنْثِيرَةُ الْإِصْبَعُ بِلَفَّةِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ:
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ نِصْفِ عِجَانِهَا وَشُنْثِيرَةٍ مِنْهَا وَإِحْدَى الذَّوَابِ
وَقَوْلُهُمْ لِأَصْمَنْتَكَ ضَمَّ الشَّنَارِ وَهِيَ الْأَصَابِعُ ، وَيُقَالُ الْقِرْطَةُ لَفَةٌ يَمَانِيَّةٌ الْوَاحِدَةُ شُنْثَرَةٌ وَذُو شَنَارٍ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ يُقَالُ مَعْنَاهُ ذُو الْقِرْطَةِ (ص ٩٩) .
- ١١ — قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَالْمُضْطَّارُّ مِنْ أَسْمَاءِ الْحُمْرِ الَّتِي اعْتَصَرَتْ مِنْ أَبْكَارِ الْعَنْبِ حَدِيثًا بِلَفَّةِ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ وَأَرَاهُ رُومِيًّا لِأَنَّهُ لَا يَشْبَهُ أَبْنِيَةَ كَلَامِ الْعَرَبِ (ص ١٢٦) .
- ١٢ — وَالصَّعْتَرِيُّ الشَّاطِرُ عَوَاقِيَةٌ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ رَجُلٌ صَعْتَرِيٌّ لَا غَيْرَ إِذَا كَانَ فَتًى كَرِيمًا شَجَاعًا (ص ١٢٨) .
- ١٣ — وَالصُّفْرِيَّةُ ثَمَرَةٌ يَمَانِيَّةٌ تَجْفَفُ بُسْرًا وَهِيَ صَفْرَاءٌ فَإِذَا جَفَتْ فَفُرُكَتْ أَنْفُرَكَتْ وَيُحْلَى بِهَا السُّبُوقُ فَتَفُوقُ مَوْقِعَ الْكَرِّ (ص ١٣٠) .
- ١٤ — وَالصُّفْرُ وَالصُّفْرُ مَا تَحْلَبُ مِنَ الْعَنْبِ وَالزَّيْبِ وَالتَّمْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْصُرَ وَحَصَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِهِ دَبْسَ التَّمْرِ ، وَقِيلَ هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ

الربط إذا يبس والصقر الذئب عند أهل المدينة (ص ١٣٦) .

قال أبو منصور والصقر عند البعرايين ما سال من لال التمر التي كُنزت
وسدك بعضها فوق بعض في بيت مُصرَّج تحتها خواب خضر فينمصر منها
دبس خام كأنه الصل (ص ١٣٧) .

١٥ — الصنارة بكسر الصاد الحديدة الدقيقة المُقَفَّة التي في رأس المنزل
ولا تقل صِنارة . والصنارة الأذن يمانية (ص ١٣٨) .

١٦ — وفي قراءة عبدالله بن مسعود وأبي جعفر المدني « فَعَصِرُهُنَّ إِلَيْكَ »
بالكسر أي قَطَمْنَهُنَّ وشَقَقْنَهُنَّ وقِيلَ وَجَهْنَهُنَّ ، القراء ضَمَّتِ العامة الصاد
وكان أصحاب عبدالله يكسرونها وهي لفتان فأما الضم فكثير وأما الكسر
ففي هذيل وسليم (ص ١٤٩) .

١٧ — ضارُهُ الأمرُ بضوره كيضيرُهُ ضَيِيراً وضوراً أي ضَرَهُ وزعم
الكَسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول ما ينفعني ذلك ولا يضورُني .
ابن الأعرابي الضُورَةُ الضعيف من الرجال قال القراء سمعت أعرابياً من بني
عامر يقول لآخر أَحَبَّتْنِي ضُورَةٌ لَا أَرُدُّ عَنْ نَفْسِي (ص ١٦٦) .

١٨ — قال أبو زيد سمعت أعرابيين تميمياً وقيسياً يقولان تَعَذَّرْتُ
إِلَى الرَّجُلِ تَعَذَّرًا فِي مَعْنَى اعْتَذَرْتُ اعْتِذَارًا (ص ٢٢٢) .

١٩ — وتقول إحدى عشرة امرأة بكسر الشين وإن شئت سكنت إلى
تسع عشرة والكسر لأهل نجد والتسكين لأهل الحجاز قال الأزهرى وأهل
اللفة والنحو لا يعرفون فتح الشين في هذا الموضع ، وروى عن الأعشى أنه
قرأ وقطمناهم اثنتي عشرة بفتح الشين قال وقد قرأ القراء بفتح الشين وكسرها
وأهل اللفة لا يعرفونه (ص ٢٤٤) .

٢٠ — المَصْفُورُ الولد يمانية (ص ٢٥٨) .

٢١ — قال الأصمى عُقْر الدار أصلها في لغة الحجاز فأما أهل نجد فيقولون عُقْر (ص ٢٧٤).

٢٢ — وفي الحديث أنهم كانوا يترصدون عِيرَات. قریش هو جمع « عير » يريد إبليس ودوابهم ، قال سيبويه اجتمعوا فيها على لغة هذيل يعنى تحريك الياء والقياس التسكين (ص ٣٠٣)

٢٣ — عُقِيل نهز القارة والجؤنة والمؤسَى والحفوت (ص ٣٤٨).

الحجر والسابع

١ — وفي حديث ابن عباس في قوله تعالى كعصف ما كول قال هو الهَبُور قيل هو دُقَاق الزرع بالنبطية ، ويحتمل أن يكون من الهَبَر القطع ، والهَبَر مشاقة الكتان يمانية (ص ١٠٧) .

١ — وهَجَرَ الشيء ، وأهَجَره تركه الأخيرة هذلية (ص ١١٢) عن النضر ابن شميل أنه قال التهجير إلى الجمعة وغيرها التبكير والمبادرة إلى كل شيء ، قال وسمعت الخليل يقول ذلك قاله في تفسير هذا الحديث يقال هَجَرَ يُهَجَّر تهجيـرا فهو مُهَجَّر قال الأزهرى وهذا صحيح وهى لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس (ص ١١٥) .

٣ — قال اللحياني أهل الحجاز يسمون الفرد الوتر وأهل نجد يكسرون الواو ، وهى صلاة الوتر والوتر ، لأهل الحجاز ويقرون والشفع والوتر والكسر لتميم وأهل نجد . وقيل الأعداد كلها شفيع ووتر ، قال اللحياني أهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر وتيم وأهل نجد يكسرون . ابن السكيت قال يونس أهل العالية يقولون الوتر فى العدد والوتر فى الذحل (الثار) قال وتيم تقول وتر بالكسر فى العدد والذحل سواء ، الجوهرى الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الذحل هذه لغة أهل العالية فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم وأما تيم فبالكسر فيهما (ص ١٣٥ ، ١٣٦) .

٤ — الوَهْرُ توهج وقع الشمس على الأرض حتى ترى له اضطرابا كالبحار يمانية (ص ١٥٦) .

٥ — وفد بسر يفسر ، ولم تحذف الياء فيه ولا فى يفسر وينسج كما

حدثت في بعدُ وأخواته لتتوى إحدى الياءين بالأخرى ولهذا قالوا في لغة
بني أسد يَجَلُّوم لا يقولون يَعْلَمُ لاستغفالهم الكسرة على الياء (ص ١٦٢)
٦ - والارز حَبٌّ وفيه ست لفات . ورز ورز وهي لعبد القيس
(ص ١٦٩) .

٧ - جَهَارُ العروس والميت وجهازُهما ما يحتاجان إليه وكذلك جهاز
المسافر يفتح ويكسر . قال الليث وسمعت أهل البصرة يخطثون الجهاز بالكسر
قال الأزهري والقراء وكلهم على فتح الجيم في قوله تعالى «ولما جهزهم بجهازهم»
قال وجهاز بالكسر لغة رديئة (ص ١٩٠) .

٨ - الحَفَزُ الأجل في لغة بني سعد وأنشد بعضهم هذا البيت :

والله أفعل ما أردتم طائعا أو تضربوا حفزاً لعامٍ قابلٍ

٩ - وفي لغة هذيل الحَزُّ التحديد يقال حَزَّ حديثه إذا حددها وقد جاء
ذلك في أشعارهم (ص ٢٠٥) .

١٠ - الرُّنْزُ بالضم لغة في الأرْز وقد يكون من باب إنجاص وإجاص
وهي لعبد القيس ، والأصل فيها رَزَّ فكروهوا التشديد فأبدلوا من الزاي الأولى
نونا كما قالوا إنجاص في إجاص (ص ٢٢٤) .

١١ - وفي الحديث أنه قدم على النبي صلعم صاحب كسرى فوهب له
مفخرة فسمى ذا المفخرة هي بكسر الميم المنطقة بلغة اليمن قال وسميت بذلك
لأنها نلى عِزْرَ الْمُتَنَطَّقِ بها (ص ٢٤٠) .

١٢ - وقال ابن كيسان في «أمس» «قولون إذا نكروه كل يوم يصير
أمسا وكل أمس معنى قل يعود ومضى أمس من الأموس ، وقال البصريون
إنما يتمكن «أمس» في الإعراب لأنه صارع الفعل الماضي وليس بمحروب ،

وقال الفراء إنما كُسرَت لأن السين طبعها الكسر وقال أبو الهيثم السين لا يلفظ بها إلا من كسر الفم ما بين الثانية إلى الضرس وكسرت لأن محرجها مكسور في قول الفراء . قال ابن بري اعلم أن « أمس » مبنية على الكسر عند أهل الحجاز وبنو تميم يوافقونهم في بنائها على الكسر في حال النصب والجر فإذا جاءت أمس في موضع رفع أعربوها فقالوا ذهب أمس بما فيه (ص ٣٠٥)

١٣ - وقال قوم أصل « إنسان » إنسيان على إفعالان فحدث الياء استخفافا لكثرة ما يجري على ألسنتهم فإذا صفروه ردوها لأن التصغير لا يكثر (أنيسيان) . والناث لغة في الناس على البدل الشاذ وأشد

يا قبح الله بنى السَّلاة عمرو بن ربوع شرار الناس
غير أعماء ولا أكيات

أراد ولا أكياس فأبدل التاء من سين الناس والأكياس لموافقها إياها في الهمس والزيادة وتجاوز الخارج . وقد حكى أن الإيسار لغة في الإنسان طائفة قال اللحياني في لغة طي . ما رأيت ثم إيساناً أي إنساناً . وقال الفراء العرب جميعاً يقولون الإنسان إلا طيئناً فإنهم يحملون مكان النون ياء (ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠) .

١٤ - لا بأس عليك ، وهو في لغة حمير لَبَاتِ أي لا بأس عليك قال شاعرهم :

شرَّنا النوم إذ غصبت غلاب تنسهد وعقد غير من
نادوا عند غدرهم ناث وقد بردت معادري رعين

(ص ٣١٧)

١٥ — اُلْخَنَفَسُ بِالْفَتْحِ وَالْخَنْفَسَاءُ بِفَتْحِ الْفَاءِ مَمْدُودٌ دَوِّيَّةٌ ، وَضَمُّ الْفَاءِ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَفَةٌ ، وَيُقَالُ خِنْفَسٌ لِلْخَنْفَسَاءِ لَفَةً أَهْلُ الْبَصْرَةِ (ص ٣٧٦) .

١٦ — وَطِيءٌ يَقُولُ طَسْتُ وَغَيْرُهُمْ طَسَّ ، قَالَ وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَصْتُ لِلَّصِّ وَجَمْعُهُ لُصُوصٌ وَطَسُوتٌ عِنْدَهُمْ (ص ٤٣٠) .

١٧ — الطَّاءُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الشَّامِ الْجَمِيلُ مِنَ الرِّجَالِ . وَالطَّاءُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْيَمَنِ الْفِصَّةُ . وَالطَّاءُوسُ طَائِرٌ حَسَنٌ هَزَتْهُ بَدَلٌ مِنْ وَאו (ص ٤٣٤)

الجزء الثامن

١ — وغسّ الرجلُ في البلاد إذا دخل فيها ومضى قُدماً وهي لغة تميم قال
رؤبة :

كلحوت لما غسّ في الأنهارِ
(وانظر غس) (ص ٣٣) .

٢ — ورجلٌ مُتَفَطِّرٌ من يخيل في كلام هذيل (ص ٣٥) .

٣ — ومن هذا قيل للسطل القدس لأنه يتقدّس منه أى يتطهر والقدس
بالتحريك السطل باقة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه (ص ٥٠) .

٤ — وقِسْتُ الشيء بعيره وعلى غيره أقيسُ قيساً وقياساً فانقاس إذا
قدرته على مثاله وفيه لغة أخرى قُسْتُه أقوسه قوساً وقياساً . ابن سيده قُسْتُ
الشيء قِسْتَه وأهل المدينة يقولون لا يجوز هذا في القوس يريدون القياس
(ص ٧٠) .

٥ — وقيل الكسّس أن يكون الحنك الأعلى أقصر من الأسفل فتكون
الثنيتان العكيبان وراء السفليتين من داخل الفم . وكسكة هوازن هو أن
يزيدوا بعد كاف المؤنث سينا فيقولوا أعطيتكِ ومنكسر وهذا في الوقف
دون الوصل ، الأرهري الكسكة لغة من لغات العرب تقارب الكشكة
وفي حديث معاوية بن أسد عن كسكة بكر يعنى إبداهم السين من كاف
الخطاب نقول أبوس ، وأمر أي أبوك وأملك ، وقيل هو خاص بحاطة

المؤث ومنهم من يدع الكاف محالها ويزيد بعدها سینا فی الوقف فيقول
مررتُ بِكِسْ أَى بِكِ والله أعلم (ص ٨٠ ، ٨١) .

٦ — المِلْدَسُ لفة في المِلْطَس وهو حجر ضخم يَدُق به النوى (ص ٩٠
المباحلة بين الدال والطاء) .

٧ — أبو مالك : أهل الحجاز يقولون المجرس القرد وبنو تميم يحملونه
التعلب (ص ١٣٣) .

هَدَسَه يَهْدِسُه هَدَسًا طرده ورجره يمانية ممانته ، والمَدَسُ شجر وهو عند
أهل اليمن الآس .

٨ — المَيْسُ اسم أداة القدان عمانية (شرح القاموس يمانية) (ص ١٣٩)

٩ — قال أبو ريد عليا مضر تقول يَحْسِبُ وبنعم وَيَيْئِسُ وسفلاها بالفتح
قال سيبويه وهذا عند أصحابنا إنما يحىء على لغتين يعنى يئس يئأس ، يأس
يئيس لغتان ثم يركب فيهما (ص ١٤٧) .

١٠ — والجحش وله الظبية هذلية قال أبو ذؤيب :

بأسفل ذات الدَّثر أفراد جحشها فقد ولت يومين فهي خَلاوَجُ

والجحش أيضاً الصبي بلفظهم (ص ١٥٧) .

١١ — حَفَشَ الشئ يَحْفِشُهُ جَفَشًا جمعه يمانية (ص ١٦٢) .

١٢ — قال ابن الفرج يقال أُنْحِقُ الحِسَّ بالإس قال وسمعت بعض بني

أسد أُنْحِقُ الحِسَّ بالإش قال كأنه يقول ألحق الشئ بالشئ إذا جاءك شئ

من ناحية فأفعل به ، جاء به أبو تراب في باب الشين والسين وتعاقيهما

(ص ١٧٣) .

١٣ — اَلْمَحْوُشُ البعوض بفتح الخاء في لفة هذيل (ص ١٨٨) .

١٤ — تداغش القومُ اختلطوا في حرب أو صخب ، ودعش عليهم هجمَ
يمانية (ص ١٩١) .

١٥ — الكسائي الزَّوْشُ العبد اللئيم والعامّة تقول زَوْشٌ (ص ٢٠٠)

١٦ — وقال المؤرّج هي المبيشة قال والمؤشّة لغة الأزد (ص ٢١٢)

١٧ — ولقيه غَشاشاً وَغَشاشاً أي عند الغروب والغَشاشُ المَحَلّةُ يقال لقيتهُ

على غَشاشٍ وَغَشاشٍ أي على عجلة ، حكاه قطرب وهي كناية (ص ٢١٤)

١٨ — والفراش ما افترش والجمع أفرشة وفرُشٌ ، سبويه وإن شئت حفت

في لغة بني تميم (ص ٢١٧)

١٩ — والكشكة لغة لربيعة وفي الصحاح لبي أسد يحملون الشين مكان

الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون عَليشٍ ومِيشٍ وبشٍ ويشدون :

فعمياش عيناها وحيدش جيدها ولكن عظم الساق مِيش رقيق

وأنشد أيضاً :

تصحك متى أن رأيتني أحتريش ولو حرشت لكشفت عن حرش

ومهم من يريد الشين بعد الكاف فيقول عليكش وإليكش وبكش

ومنكش وذلك في الوقف خاصة وإنما هذا لتبين كسرة الكاف فيؤكد

التأنيث وذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف فاحتاطوا

للبيان بأن أبدلوها شيئاً فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة ، ومهم من يجري

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً ، وأنشدوا للمجنون « فمياش عيناها »

البيت ، قال ابن سيده قال ابن حنّى وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن

أبي المباس أحمد بن يحيى معصمهم :

على فيها أبتعي أغفش بيضاء نرصبى ولا نرصبش

وَتَطْيِي وَدَّ بِيْ أَيْشٍ إِذَا دَوَتْ حَلَّتْ تُنْشِيشٍ
وَلَمَّا نَأَيْتِ حَلَّتْ تَدْنِيشٍ وَلَمَّا نَكَلَمَتْ حَلَّتْ فِي فَيْشٍ
حَتَّى تَنْقَى كَنْفِيقِ الدِّيشِ

أبدل من كاف المؤنث شيئاً في كل ذلك وشبهه كاف الديق لكسرتها بكاف المؤنث ، وربما رادوا على الكاف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً قالوا مررت بكِشْ وأعطيتكِشْ فإذا وصلوا حذفوا الجميع ، وربما ألحقوا الشين فيه أيضاً وفي حديث معاوية تياسروا عن كشكشة تيم أى إبداهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث فيقولون أبوشِ رأمشِ ، ورادوا على الكاف شيئاً في الوف فقالوا مررتُ بكِشْ كما تفعل تيم (ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

٢٠ - الجِصَّ معروف الذى يُطلى به وهو معرب ، ولغة أهل الحجاز في الجِصَّ القَصْر (ص ٢٧٥) وانظر ٣٤٥

٢١ - وأهل البصرة اختاروا جِصَّاً وأهل الكوفة اختاروا جِصَّاً وقال الجوهري الاختيار فتح الميم وقال المبرد بكسرها (ص ٢٨٣) .

٢٢ - قال فقلتُ فكان ينبغي أن يقول خَوْصاً فقال هى معاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصُّوَاعِ الصِّيَّاعِ ويقولون الصِّيَّام للصُّوَامِ ومثله كثير (ص ٣٠٠)

٢٣ - الشَّيْصُ والشَّيْصَاء ردى التمر . قال الأموى هى لغة بلحرت بن كعب الصَّيْصُ ، وأهل المدينة يسمون الشَّيْصَ السَّخْلَ ، وفي الحديث أنه نهى عن تأخير نخلهم فصارت شيصاً (ص ٣١٧) .

٢٤ - غَصِصَتْ أَعْصُ قال أبو عبيد غَصِصَتْ أَعْصُ لغة الرُّبَابِ

(ص ٣٢٨)

٢٥ - والقَصْرُ الجِصُّ لغة حطارية (ص ٣٤٥ وانظر ٢٧٥) .

٢٦ — الْقُمْمُوسُ ضَرْبٌ مِنَ الْكِنَاةِ وَالْقُمْمُوسُ وَالْجُمُوسُ وَاحِدٌ ، يُقَالُ تَحْرُكُ قُمْمُوسُهُ فِي بَطْنِهِ وَهُوَ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ (ص ٣٤٧) .

٢٧ — وَاللَّصْتُ لُغَةٌ فِي اللَّصِّ أُبْدَلُوا مِنْ صَادِهِ تَاءٌ وَغَيَّرُوا بِنَاءَ الْكَلِمَةِ لِمَا حَدَّثَ فِيهَا مِنَ الْبَدْلِ وَقِيلَ هِيَ لُغَةٌ قَالَ اللَّحْيَانِيُّ وَهِيَ لُغَةٌ طَهِيَّةٌ وَبَعْضُ الْأَتَّصَارِ وَجَمْعُ لُصُوتٍ وَقَدْ قِيلَ فِيهِ لِصَّتْ فَكَسَرُوا اللَّامَ فِيهِ مَعَ الْبَدْلِ (ص ٣٥٦)

٢٨ — وَحَصَّهُ وَحْصًا سَعَبُهُ يَمَانِيَةٌ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْكَلَابِيِّينَ يَقُولُ أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِهَا وَحْصَةٌ أَيْ بَرْدٌ يَعْنِي الْبَلَادَ وَالْأَيَّامَ ، وَالْحَاءُ غَيْرُ مَمْجُوعَةٍ ، الْأَزْهَرِيُّ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ بِهَا وَحْصَةٌ وَلَا وَذِيَّةٌ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ مَعْنَاهُ لَيْسَ بِهَا عِثْلَةٌ (ص ٣٧٤) .

٢٩ — مُشِيحَةٌ حَذَرَةٌ وَالْمُشِيحُ فِي لُغَةِ هَذِيلِ الْمُجْدَدِ (ص ٣٨٩) .

الجزء التاسع

١ - وقد عَصَصَتْهُ أَعْصَهُ وَعَصِضَتْ عَلَيْهِ عَصًا وَعِصَاضًا وَعَصِضًا ،
وعَصَصَتْهُ تَمِيمِيَّةٌ ولم يُسَمَّعْ لها بآيات على لغتهم (شرح القاموس وعَصَصَتْهُ
تمضيضاً لفة تَمِيمِيَّةٌ) (ص ٥٠) .

٢ - وَغَصَّ مِنْ صَوْتِهِ ، وَكَلَّ شَيْءٌ كَفَفَتْهُ فَقَدْ غَصَصَتْهُ ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ
فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ اغْصَصْ . وَأَهْلُ نَحْدٍ يَقُولُونَ غَصَّ طَرَفَكَ بِالْإِدْغَامِ قَالَ
جَرِيرٌ :

فَقَصَّ الطَّرَفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَبِيرًا بَلَفْتَ وَلَا كَلَابَا

٣ - وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ فَاطَلَتْ نَفْسَهُ بِالظَّاءِ لُفَّةٌ قَيْسٌ وَقَاضَتْ بِالضَّادِ لُفَّةٌ
تَمِيمٌ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبَا زَيْدٍ يَقُولُ بَنُو صَبَةَ وَحَدَمٌ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ
وَكَذَلِكَ حَكَى الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ كُلُّ الْعَرَبِ يَقُولُ فَاطَلَتْ نَفْسُهُ إِلَّا بَنُو
صَبَةَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَطَائِفَةٌ يَقُولُونَ فَاطَلَتْ
نَفْسُهُ وَقَضَاعَةُ وَتَمِيمٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ فَاضَتْ دَمْعَتُهُ ، وَزَعَمَ
أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لُفَّةٌ لِمَعْصَرِ بْنِ تَمِيمٍ يَعْنِي فَاطَلَتْ نَفْسُهُ وَقَاضَتْ (ص ٧٧) .

٤ - وَكَرَّضَتْ النَّاقَةُ تَكْرِضُ كَرَضًا وَكُرَّوْضًا قَبْلَتْ مَاءَ الْفَجْلِ بَعْدَ
مَاضِرِهَا ثُمَّ أَقْفَتْهُ وَاسْمُهُ ذَلِكَ الْمَاءُ الْكِرَاضُ وَالْكَرَاضُ فِي لُغَةِ طَبِيعِ الْخَلْدِاجِ
(ص ٩٣) .

٥ - إِذَا أَرَادَتْ النَّاقَةُ أَنْ تَصْعُقَ قِيلَ مَحِصَتْ ، وَعَامَةً قَيْسٌ وَتَمِيمٌ وَأَسَدٌ
يَقُولُونَ مَحِصَتْ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَرْفٍ كَانَ قَبْلَ أَحَدِ هَذِهِ

الخلق في فَمِلَتْ وفَمِيل يقولون بِمِير ورَّيْر وشَرِييق ورِهَلت الإبل وسِخِرَتْ منه (ص ٩٥) .

٦ — أبو عبيدة مَضَنِي الأمرُ وأمَضَنِي ، وَقَالَ أمَضَنِي كلام تَمْسِيَم (ص ١٠١) .

٧ — أبو سعيد الأنواض والأنواط واحد ، وهي ما نُوط على الإبل إذا أوقرت قال رؤبة :

جاذِبْنَ بالأَصْلَاب والأنواضِ

(ص ١١٦) .

٨ — وأهل اليمن يسمون النَّبَلَ الذي يرمى به حَنْطًا (ص ١٤٧) .

٩ — وأهل الشام يسمون الخمر الرَّسَّاطُونَ وسائر العرب لا يعرفونه قال وأراها روميّة دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ومنهم من يقلب السنين شينا فيقول رشاطون (ص ١٧٥) .

١٠ — ورجل سَبَطَ الشمر وسَبَطَهُ ، ولغة أهل الحجاز رجل سَبَطَ الشعر وامرأة سَبِطَة (ص ١٨٠) .

١١ — والسَّرَّاطُ السبيل الواضح ، والصراط لغة في السراط ، والصاد أعلى لكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل ، قال الفراء ونفر من بَلْعَنَبَر بصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو واء ، صاداً ، وذلك أن الطاء حرف تصع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت فقلت السين صادا صورتها صورة الطاء واستخفوها ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الإدغاء من ذلك فولههم الصراط والصراط قال وهي بالصاد لغة

قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، قال وعامة العرب تحملها سينا
(ص ١٨٥) .

١٢ — ويقال هو سَفِيطُ النفس أى سَخِيها طَيِّبها لغة أهل الحجاز
(ص ١٨٧) .

١٣ — قال أبو تراب سمعت بعض قيس يقول اشْمَطَ القوم في الطلب
واشْمَطُوا إذا بادروا فيه وتفرقوا (ص ٢١٠) .

١٤ — الفِلاطُ الفحاة لغة هذيل لقبيته وَلَطًا وفِلاطًا أى جِئًا هذلية ،
وأفلاطنى الرجلُ إفلاطًا مثل أفلتنى وقيل لغة فى أفلتنى تميمية قبيحة
(ص ٢٤٧) .

١٥ — القَحْطِيّ من الرجال الأكل الذى لا يبقى من الطعام شيئًا وهذا
من كلام أهل العراق ، وقال الأزهرى هو من كلام الحاضرة دون أهل البادية
والتَقْحِيطُ فى لغة بنى عامر التلقيح (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) .

١٦ — كَشَطَ الغطاء عن الشيء والجلد عن الجزور ، والقَشَطُ لغة فيه ، قيس
يقول كَشَطْتُ ونمى تقول قَشَطت بالقصاف ، قال ابن سيده وليست الكاف
فى هذا بدلا من القاف لأنها لغتان لأقوام مختلفين ، وقال يعقوب قريش تقول
كَشَط ونمى وأسد يقولون قَشَط (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣) .

١٧ — قال ابن الأثير المِلْطَى بالقصر والمِلْطَاءُ القشرة الرقيقة بين عظم
الرأس ولحمه ، وأهل الحجاز يسمونها السَّمْحاق (ص ٢٨٥) .

١٨ — والواسطُ الباب هذلية (ص ٣١١) .

١٩ — والوطواط الخماش وأهل الشام يسمونه السَّرْوَع (ص ٣١٢) .

٢٠ — الوَقْطُ والوَقِيطَة حمرة فى غِلْط أو جبل يجتمع فيه ماء السماء ، والجمع

وَقَطَانٌ وَوَقَاطٌ وَإِقَاطُ الْهَمَزَةِ بَدَلُ الْوَاوِ ، وَلَفَةٌ تَمِيمٌ فِي جَمْعِهِ الْإِقَاطُ مِثْلُ إِشَاحٍ
يَصِيرُونَ كُلُّ وَائِجِيٍّ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ أَلْفَا (ص ٣١٢ ، ٣١٣) .

٢١ — قَالَ أَبُو تَرَابٍ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَشْجَعٍ يَقُولُ هَهْـنَى الْأَمْرِ
وَهَهْظَنَى ، قَالَ وَلَمْ يَتَابِعْهُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ (ص ٣١٥) .

٢٢ — اللَّظُّ هُوَ الشَّلُّ بِلَفَّةٍ أَهْلُ الْيَمَنِ دَخَّطَهُمْ فِي الْحَرْبِ يَدْخُطُهُمْ دَخًّا
طَرَدَهُمْ يَمَانِيَّةً (ص ٣٢٣) .

٢٣ — قَالَ الْفَرَاءُ يُقَالُ فَاضَتْ نَفْسُهُ نَفِيسًا وَفُيُوضًا وَهِيَ فِي تَمِيمٍ
وَكَلْبٍ ، وَأَفْصَحُ مِمَّا وَآثَرُ فَاضَتْ نَفْسُهُ فُيُوضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَفَاضَتْ نَفْسُهُ نَفِيزًا
أَيَّ حَرَجَتْ رَوْحُهُ وَكَرِهَهَا بَعْضُهُمْ ، اللَّيْثُ فَاضَتْ نَفْسُهُ فَيْظًا وَفَيْظُ طَوْظَةٍ
إِذَا حَرَجَتْ وَالْفَاعِلُ فَائِظٌ ، وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لَفَةٌ لِبَعْضِ تَمِيمٍ يَعْنِي فَاضَتْ
نَفْسُهُ وَفَاضَتْ ، وَحَكَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ فَاضَتْ نَفْسُهُ وَلَا
فَاضَتْ إِنَّمَا يُقَالُ فَاضَ فُلَانٌ قَالَ وَيُقَالُ فَاضَ الْمَيْتُ ، قَالَ وَلَا يُقَالُ فَاضَ بِالضَّادِ
بِتَّةً ، ابْنُ السَّكَيْتِ يُقَالُ فَاضَ الْمَيْتُ يَفِيزُ فَيْظًا وَيَفُوزُ فَوْظًا كَذَا رَوَاهُ
الْأَصْمَعِيُّ (ص ٣٣٣) .

الْفَرَاءُ أَهْلُ الْحِجَازِ وَطَيٍّ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ وَفَضَاعَةٌ وَتَمِيمٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ
فَاضَتْ نَفْسُهُ مِثْلُ فَاضَتْ دَمْعَتُهُ ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالظَّاءِ
لَفَّةٌ قَيْسٌ وَبِالضَّادِ لَفَّةٌ تَمِيمٌ ، وَرَوَى الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُونَ
فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالظَّاءِ إِلَّا بَنِي ضَبَّةٍ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَهُ بِالضَّادِ (ص ٣٣٤) .

٢٤ — وَبِالْبَاءِ لَفَةٌ وَبِالْمِيمِ لَفَتَانٌ ، وَبِالْوَعَةِ لَفَةٌ أَهْلُ الْبَصْرَةِ
(ص ٣٦٧) .

٢٥ — السَّاعُ وَالْبُوعُ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ الْكَفَيْنِ إِذَا سَطَّهْمَا الْأَحِيرَةُ هَدْلِيَّةٌ

قال أبو ذؤيب :

فلو كان حبلًا من ثمانين قامَةً وخمسين بُوعًا نالها بالأناملِ
(ص ٣٦٩) .

٢٦ — والترّعُ السفيةُ السريعُ إلى الشر ، وروى الأزهري عن
الكلايين فلان ذو مترعةٍ إذا كان لا يفضب ولا يجعل ، قال وهذا ضد
الترّع (ص ٣٨١) .

٢٧ — والجُزْعُ المحور الذي تدور فيه المحالة لغة يمانية
(ص ٣٩٩) .

٢٨ — يومُ الجمعةِ ، والقراء قرأوها بالتثقيل ويقال يوم الجمعة لغة
بنى عُقيل ولو قرئ بها كان صواباً ، قال والذين قالوا الجمعة ذهبوا بها إلى
صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل هُمزة (ص ٤٠٩ ، ٤١٠) .

٢٩ — قال الفراء بنو أسد يقولون إن الشعر لمُخَادِعٍ وقد خدع إذا ارتفع
وغلا (ص ٤١٨) .

٣٠ — وألْحَضَةُ من النخل التي تنبت من النواة لغة بنى حنيفة
(ص ٤٢٧) .

٣١ — الدَّئِعُ الوطء الشديد لغة يمانية قال والدَّعْث والدَّئِع واحد
(ص ٤٣٥) .

٣٢ — والدَّقْعاء الدرة يمانية (ص ٤٤٥) .

٣٣ — الدُّوعُ ضرب من الحيطان يمانية (ص ٤٤٧) .

٣٤ — قال الجوهري وحكى عن بعض بنى أسد فتح الباء في الأربعاء
(ص ٤٦٦) .

٣٥ — وَرَجَعْتُهُ أَرْجِمُهُ رَجِمًا وَمَرَجِمًا وَأَرْجَعْتُهُ فِي لَفَةٍ هَدِيلٌ ،
قال وحكى أبو ريد عن الصَّبِيِّينَ أَنَّهُمْ قَرَأُوا [أَفَلَا يَرُونَ أَنَّ لَا يُرْجَعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا] (ص ٤١)

٣٦ — رَضَعَ الصَّبِيُّ وَغَيْرَهُ يَرْضِعُ مِثَالَ ضَرْبٍ يَضْرِبُ لَفَةً نَجْدِيَّةً ،
وَرَضِعَ مِثَالَ سَمِعٍ يَرْضَعُ (ص ٤٨٤) .

الجزء العاشر

- ١ — وفي التهذيب ، سُدَّعَ الرجلُ نُكْبَ يمانية (ص ١٤) .
- ٢ — كل ما يذكّر في ترجمة صقع بالصاد فالسين فيه لغة ، قال الخليل كل صاد تجيء قبل القاف وكل سين تجيء قبل القاف فالعرب فيه لغتان منهم من يجعلها سيناً ومنهم من يجعلها صاداً لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة بعد أن يكونا في كلمة واحدة إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن (ص ٢٢) .
- ٣ — ومهر سنيع كثير وقد أسنغه إذا كثره عن ثعلب ، والسنائع في لغة هذيل الطرق في الجبال واحدها سنيعة (ص ٣٣) .
- ٤ — وقال أبو عبيدة لرؤبة ما الودّى فقال يسمى عندنا السوّعاء (ص ٣٤) .
- ٥ — صارعه فصرّعه يصرّعه صرّعا وصرّعا الفتح لّيم والكسر لقيس عن يعقوب (ص ٦٤) .
- ٦ — وفي الحديث من زنى من امبكر فاصفعوه مائة أى اضربوه ، وقوله من امبكر لغة أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً (ص ٦٨) .
- ٧ — الصنّع الشاب الشديد ، وحمار صنّع صلب الرأس نائق الحاجبين عريض الحبهة ، والصنّع عند أهل اليمن الذئب عن كراع (ص ٨٢) .
- ٨ — قال الفراء الضريع نبت يقال له الشبرق وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا ييس وقال ابن الأعرابي الضريع العوسج الرطب فإذا اجف فهو عوسج (ص ٩٢) .

٩ - قال شمر طَبِيعَ إِذَا دَنَسَ وَطَبِيعَ إِذَا دُنِسَ وَعَيْبَ
وَأَشْدَتْنَا أُمَّ سَالِمِ الْكَلَابِيَّةِ :

وَيَحْمَدُهَا الْجَيْرَانُ وَالْأَهْلُ كُلُّهُمْ وَتَبْفِضُ أَيْضًا عَنْ تُسَبِّ فَتُطَبِّمَا
وَقَالَ ابْنُ الطَّائِرِيَّةِ :

وَعَنْ تَخْلَطِي فِي طَبِيبِ الشُّرْبِ بَيْنَنَا مِنَ الْكَدِيرِ الْمَالِي شِرْبًا مُطَبِّمَا
أَرَادَ أَنْ تَخْلَطِي وَهِيَ لَفَةٌ تَمِيمٌ ، وَالْمُطَبِّعُ الَّذِي نَجَسَ (ص ١٠٤) وَالْمَالِي الْمَاءُ
الَّذِي تَأْبَى الْإِبِلُ شَرْبَهُ .

١٠ - الْفَمَمَّةُ وَالْفَمْعُ حِكَايَةُ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ وَالْفَمْعَةُ مَا نَى الْجَازِرِ
(الْجَزَارِ) هَذِلِيَّةٌ (ص ١٢٦) .

١١ - وَفَنَى بِمَعْنَى فَنَى فِي لَفَاتِ طَبِيبٍ . (ص ١٣٧) .

١٢ - الْمُقَرَّصِيعُ الْمُخْتَفِي ، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا أَكَلَ الرَّجُلُ
وَحْدَهُ مِنَ اللَّؤْمِ فَهُوَ مُقَرَّصِيعٌ (ص ١٤٣) .

١٣ - الْقَطْعَةُ فِي طَبِيبٍ كَالْعَمْنَةِ فِي تَمِيمٍ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ يَا أَبَا الْحَكَا يَرِيدُ
يَا أَبَا الْحَكَمِ فَيَقْطَعُ كَلَامَهُ (ص ١٥٩) .

١٤ - قَالَ الْأَزْهَرِيُّ سَمِعْتُ الْبَحْرَانِيِّينَ يَقُولُونَ لِلْقَسْبِ إِذَا بَيْسَ وَتَقْمَقِعُ
تَمْرَ سَحٍّ وَتَمْرَ قَمَقَاعٍ (ص ١٦١) .

١٥ - وَقَوْلُ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ حِينَ قَاتَلَ الْحَبْشَةَ :

قَدْ عَلِمْتُ ذَاتُ أَمْنٍ طَبِيعُ أُنَى إِذَا أَمَمْتُ كُنْتُ
أَضْرِبُهُمْ بِذَا أَمَقْلَعٍ لَا أَتَوَقَّى بِأَنْجَزَعٍ
اقْتَرَبُوا قِرْفَ أَمَقْمِعٍ

أراد ذات النُّطْع ، وإذا الموت كنع ، فأبدل من لام المصرفة ميماً
(ص ١٦٩) .

١٦ — الكُتْعُ وهد الثعلب ، والكُتْعُ الذئب بلفظة أهل اليمن
(ص ١٨٠) .

١٧ — الكُسْمُومُ الحمار بالحيرية (ص ١٨٥) .

١٨ — التَّكْنَعُ التحالف والتجمع لفظة يمانية وبه سمي ذو الكلاع بالفتح
وهو ملك حمير من ملوك اليمن من الأذواء وسُمي ذا الكلاع لأنهم
تكلعوا على يديه أى تجمعوا (ص ١٨٨) .

١٩ — اللَّخْعُ استرخاء الجسم يمانية (ص ١٩٣) .

٢٠ — وأراد بالحدّو الحدأة وهي لفظة أهل مكة (ص ٢٠٢) .

٢١ — وحكى الكسائي عن ربيعة وغنم أنهم يسكنون العين من مع
فيقوون، معكم ومعنا (ص ٢١٨) .

٢٢ — وَمَنَاعٍ بمعنى امنع قال اللحياني وزعم الكسائي أن بني أسد
يفتحون مَنَاعَهَا ودرأكم وما كان من هذا الجنس والكسر أعرف
(ص ٢٢١) .

٢٣ — وبنو أسد يقولون يبيع بكسر الياء وهم لا يقولون يفلّم استقلا
للكسرة على الياء فلما اجتمعت الياءان قويتا واحتملت ما لم تحتله المفردة
(ص ٢٥٩) .

٢٤ — تسمى الريح الجنوب بلفظة هذيل النعامي (ص ٢٩٦) .

٢٥ — البالفاء الأكارع في لفظة أهل المدينة وهي بالفارسية بايها
(ص ٣٠٣) .

٢٦ - الصَّدَغُ وربما قالوا السَّدَغُ بالسين ، قال محمد بن المستنير قطرب إن قوماً من تميم يقال لهم بَلَمَنَنَ بقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والحاء إذا كنَّ بعد السين ولا تبالى أثمانية كن أم ثلاثة أم رابعة بعد أن يكنَّ بعدها يقولون سراط وصراط ، وبسطة وبسطة ، وسَيْقِلَ وصَيْقِلَ ، وسَرَقَتْ وصَرَقَتْ ، وَمَصْفِيَةٌ وَمَصْفِيَةٌ ، وَمِصْدَغَةٌ وَمِصْدَغَةٌ ، وسَخَرَلَكُمْ ، وصخر لكم ، والسَّخَبُ والصخب (ص ٣٢٢) .

٢٧ - ورجل صانع وصَوَّاعٌ وصَيَّاعٌ معاقبة في لغة أهل الحجاز ، قال الفراء بنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون هو أخوه صَوَّغُهُ بالصاد قال وأكثر الكلام بالسين (ص ٣٢٥) .

٢٨ - الأُكافُ من المراكب شبه الرَّحال ، وُكافٌ ، قال الليثاني آكفَ البغلَ لغة بني تميم وأوْكَفَهُ لغة أهل الحجاز (ص ٣٥١) .

٢٩ - المِجْدَافُ السُّوطُ لغة نجرانية عن الأصمعي (ص ٣٦٦) .

٣٠ - والخَشَفُ الخَرْفُ يمانية (ص ٤١٨) .

٣١ - وأهل البحرين يسمون جِلَالَ التمر خَصَفًا ، والخَصَفُ الخَرْفُ (ص ٤٢٠)

٣٢ - قال ابن بري الخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكُور لأهل العراق والرساتيقي لأهل الجبال والطَّاسِيجُ لأهل الأهواز (ص ٤٣٢)

جزء الحادى عشر

١ — ودَفَفَ عَلَى الجَرِيحِ كَذَفَفَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ دَافَهُ مُدَاوَةً وَدِفَافًا وَدَافَاهُ الْأَخِيرَةُ جَهَنَّمِيَّةٌ ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ دَافَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ أَيْ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَحَرَّرَ قَتْلَهُ يُقَالُ دَافَقْتُ عَلَيْهِ وَدَافَيْتُهُ وَدَفَقْتُ عَلَيْهِ تَدْفِيقًا ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ أَنَّهُ أَسْرَ مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ قَوْمًا فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَادَى مُنَادِيهِ أَلَا مَنْ كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيُدَاوِهِ مَعْنَاهُ فَلْيُجْهِزْ عَلَيْهِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى فَلْيُدَاوِهِ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ مِنْ دَافَيْتُهُ وَهِيَ لُغَةٌ لَجَهَنَّمِيَّةٍ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ أَنَّهُ أَتَى بِأَسِيرٍ فَقَالَ أَذْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفَاءَ مِنَ الْبَرْدِ فَقَتَلُوهُ فَوَدَّاهُ صَلَمٌ (ص ٤) [انظر أيضاً ج ١٨ ص ٢٨٩ ، انظر ج ١ ص ٧٠] .

دَافَا الْجَرِيحُ دَفَوْا أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ جَهَنَّمِيَّةٍ جَاءُوا بِأَسِيرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَمٌ وَهُوَ يَرَعُدُ مِنَ الْبَرْدِ فَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا بِهِ فَأَذْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفَاءَ مِنَ الْبَرْدِ وَهِيَ نَفْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَذْفِئُوهُ مِنَ الْبَرْدِ فَوَدَّاهُ صَلَمٌ .

٢ — دَافَ الشَّيْءُ دَوَفًا وَأَدَاوَهُ خَاطَطَهُ وَأَكْثَرَ فِي الدَّوَاءِ وَالطَّيِّبِ ، وَمِثْلُ مَدَوُوفٍ مَدُوفٍ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ وَهِيَ تَمِيمِيَّةٌ (ص ٧) .

٣ — رَضَفَتْ الْوَسَادَةُ تَلَيَّتُهَا يَمَانِيَّةٌ (ص ٢٢) .

٤ — الرُّخْلُوفَةُ آثَارُ نَزَلَجِ الصَّبِيَّانِ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ إِلَى أَسْفَلِهِ وَهِيَ لُغَةٌ أَهْلِ الْعَالِيَةِ وَتَمِيمٌ يَقُولُهُ بِالْقَافِ (ص ٣١) [رَوَيْتُ هُنَا أَيْيَاتٍ مُنْفَرَدَةً مَنْسُوبَةً لِأَوْسَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَمَزَاحِمُ الْعَقِيلِيِّ وَالْمَجَاجِ] .

٥ — أَبُو زَيْدٍ السُّدْفَةُ فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ الظُّلْمَةُ قَالَ وَالسُّدْفَةُ فِي لُغَةِ قَيْسِ الْبَضَاءِ ،

وحكى الجوهري عن الأصمى السُّدَّة والسَّدَّة في لغة نجد الظلمة وفي لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد (ص ٤٦) .

٦ — قال أرض الجنة مسلوقة قال الأصمى هي المستوية أو المسوأة قال وهذه لغة أهل اليمن والطائف (ص ٦١) .

الشَّخْفُ قَشْرُ الجِلْدِ يمانية ، الشَّخَافُ اللَّابَنُ حميرية (ص ٦٩) .

٧ — الشَّرَنَافُ ورق الزرع إذا كثر وطال وخشِيَ فساده فُتِّعَ يقال حينئذٍ شَرَنَفْتُ الزرعَ إذا قطعت شرنافه قال الأزهرى وهي كلمة يمانية (ص ٧٧) .

٨ — وأهل هَجَرَ يقولون للمجنون مَشْمُوفٌ وبه شُعَافٌ أى جنون (ص ٧٩) .

٩ — المِصْحَفُ والمِصْحَفُ الجامع للصحف المكتوبة بين الدَّفَتَيْنِ كأنه أَصْغَفَ والكسر والفتح فيه لغة ، قال أبو عبيد تميم تكسرها وقيس تضمها ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلك من اللحياني عن الكسائي (ص ٨٨) .

١٠ — الصَّخْبُ حفر الأرض والمِصْحَفَةُ المِصْحَاةُ يمانية

(ص ٨٩) .

١١ — قال الأزهرى سمعت أعرابياً من بني حنظلة بسمى المِصْطَبَةَ المِصْطَفَةَ بالقاء (ص ٩٥) .

١٢ — ماذا عَدُوقًا ولا عَدُوقًا أى شيئًا والذال المعجمة في كل ذلك لغة ، قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول ما ذقت عَدُوقًا ولا عَدُوقَةً قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَدُوقَةً يَذُقْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ

بالدال فقال لى يزيد صحت أبا عمرو وإنما هى عذوفة بالقال قال قتلت له لم
أصحب أنا ولا أنت تقول ربيمة هذا الحرف بالذال وسائر العرب بالدال
(ص ١٣٩، ١٤٠).

١٣ - الغادِفُ المِلاحُ يمانية ، والغادِف والمِندَفَة والغادِوف والمِندَف
المِجداف يمانية (ص ١٦٩).

١٤ - والغُرْفَةُ حبل مقود بأنشوطه يُلقى فى عنق البعير وغرف البعير
يغْرِفُه ويغْرِفُه غَرْفًا ألقى فى رأسه الغُرْفَة يمانية ، والغْرِيفَةُ النعل بلغة بنى أسد
قال شمر وطىء يقول ذلك (ص ١٧٠).

١٥ - القَدَفُ غرف الماء من الحوض أو من شئ تصبّه ، بكفك عُمانية
(ص ١٨٣).

١٦ - والهَيْفُ بالتحريك رِقَّةٌ ألخضر وضمور البطن هَيْفٌ هَيْفًا وهافٌ
هَيْفًا فهو أهيفٌ واهة تميم هافٌ هَيْفًا وامرأة هيفاء (ص ٢٦٦).

١٧ - وَزَفَهُ وَزَفًا استمجهل يمانية (ص ٢٧١).

١٨ - الواقِفَةُ القدم يمانية (ص ٢٧٧).

١٩ - اللحياني أو كفتُ البغلَ أوكِهه إيكافًا وهى لفة أهل الحجاز وتميم
تقول آ كفته أوكِهه إيكافًا (ص ٢٨١ وانظر أيضاً ج ١٠ ص ٣٥١).

٢٠ - بُمْنَقُ العُرادة الجلباب الذى على أصل عنقها وجهه بخناق وبعض
بنى عُقَيْل يقول بُمْنَقُ (ص ٢٩٤).

٢١ - البرْقُ الطُفَيْلى حجازية (ص ٢٩٨).

٢٢ - البِطَاقَةُ الورقة عن ابن الأعرابى ، وقال غيره البطاقة رقعة صغيرة
وهى كلمة مبتدلة بمصر وما والاها يدعون الرُقعة التى تكون فى الثوب وفيها
رقم منه بطاقة (ص ٣٠٣).

٢٣ — البَطْرِيقُ بلغة أهل الشام والروم هو القائد معرب، ويقال إن البطريق
عربي وافق المعجمي وهي لغة أهل الحجاز وقال أمية بن أبي الصلت :
من كل بطريقٍ لِبِطٍ رِيقٍ نَقَى الوجهَ واضحُ
(ص ٣٠٣) .

٢٤ — قال ابن سيده والحازقةُ والحزَّاقةُ العِبرُ طائفة (ص ٣٣١) .

٢٥ — الحَلَقَةُ كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب وكذلك
هو في الناس ، وقد حكى سيبويه في الحَلَقَةُ فتح اللام وأنكرها ابن السكيت ،
وحكى الأُموي حَلَقَةُ القوم بالكسر قال وهي لغة بني الحرث بن كعب
(ص ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

٢٦ — الخانِقُ مضيق في الوادي والخانق شعْبٌ ضيق في الجبل وأهل اليمن
يسمون الزقاق خانقا (ص ٣٨١) .

٢٧ — وأهل مكة يسمون توابل القِدْر كلها دُقَّةً ، ابن سيده الدُقَّة التوابل
وما خلط بها من الأبرار (ص ٣٩٠) والدُقَّة الملح وما خلط به من الأبرار .

٢٨ — راق الماء يَرِيقُ رَيْقًا انصب حكاه سيبويه وأراقه هو إراقة ،
وهراقه على البدل عن اللحياني ، وقال هي لغة يمانية ثم فشت في مصر (ص ٤٢٨)

الجزء الثاني عشر

١ — الرُّحْلُوقة آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل ، قال عامر بن ملاعب
الأسنة :

لما رأيتُ ضِراراً في مُلَمَمةٍ كأنما حافتها حافتنا نِيقِ
يَمْتُهُ الرمحَ شَزْراً ثم قُلتَ له هذى المروءةُ لا لِعِبُ الزحاليقِ
[النيقُ أرفع موضع في الجبل] (ص ٣)

٢ — الزُّقاقُ السَّكَّةُ يذكر ويؤنث قال الأخفش أهل الحجاز يؤنثون
الطريق والسراط والسبيل والسوق والزقاق والسكلاء وهو سوق البصرة ،
وبنو تميم يذكرون هذا كله (ص ٩) .

٣ — كَلَبٌ تُقَلِّبُ الصَّادَ مَعَ الْقَافِ زَاباً تَقُولُ ازْدُقْنِي أَيِ اصْدُقْنِي (ص ٦١)

٤ — الصَّاقُ لُغَةٌ فِي السَّاقِ عَنَبْرِيَّةٌ ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَأَرَاهُ ضَرْباً مِنَ الْمُضَارَعَةِ
لِمَكَانِ الْقَافِ ، وَالصَّوِيقُ لُغَةٌ فِي السَّوِيقِ الْمَعْرُوفِ لِمَكَانِ الْمُضَارَعَةِ (ص ٧٦)

٥ — الطَّرِيقُ ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ ، وَقِيلَ الطَّرِيقُ أَطْوَلُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّخْلِ
بَلُغَةَ الْيَمَامَةِ وَاحِدَتَهُ طَرِيقَةٌ ، وَقِيلَ الَّذِي يُنَالُ بِالْيَدِ ، وَالطَّرِيقُ النَّخْلَةُ فِي لُغَةِ طَبِيعٍ
عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ (ص ٩٣) .

٦ — الطَّمَقُ سُرْعَةُ الْمَشْيِ يَمَانِيَةٌ زَعَمُوا (ص ١٠١) .

٧ — وَفِي لُغَاتٍ هَذِيلٌ أَعْثَقَتِ الْأَرْضُ إِذَا أَخْصَبَتْ (ص ١٠٩) .

٨ — الْعَرَّاقِي عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ التَّرَاقِي (ص ١٢١) .

٩ — العزِيقُ مطمئنٌ من الأرض يمانية (بالعين والزاي) (ص ١٢٢)
والصَّقُ المرجون الرديءُ أسَدِيَّة .

١٠ — والحققة نواة رخوة كالمجوة تُؤكل ، ونوى العُقوقِ نوى هشة
لئن رخوا المَصْفَة تأكله المجوز أو تلوكه تُطْلَقُ الناقة العُقوق (الحامل) إلطافاً
لها فلذلك أُضيف إليها وهو كلام أهل البصرة ولا تعرفه الأعراب في بلادها
(ص ١٣١) .

١١ — قال الفراء لغة أهل الحجاز عَمِيق وبنو تميم يقولون عميق (ص ١٤٣)

١٢ — رجلٌ عَوْقٌ لا خير عنده والجمع أعواق ، ورجلٌ عَوْقٌ جبان هذلية
(ص ١٥٢) .

١٣ — ابن سيده الفَحَقَّة راحة الكلب بلغة أهل اليمن (ص ١٧٣) .

١٤ — قال الفراء سمعت أعرابياً من قضاة يقول فُنْتُقُ للفُنْدُق وهو الخان
(ص ١٨٨) .

١٥ — وشيء لثِقٌ حلوة يمانية حكاها المروى في الغريبين قال ورواه الأزهري
عن علي بن حرب وأنشد :

فَبُقُضْكُمْ عِنْدَنَا مُرٌّ مَذَاقَتُهُ وَبِفَضْنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَثِقٌ
(ص ٢٠٢) .

١٦ — لَصِقَ بِهِ يَلْصِقُ لَصُوقًا وهي لغة تميم ، وقيس تقول لَسِقَ بالسِّين
وربيعة تقول لَزِقَ وهي أقبحها إلا في أشياء نصفها في حدودها (ص ٢٠٥) .

١٧ — قال أبو زيد لَمَقَ الشيء . كتبه في لغة بني عُقَيْلٍ وسائر قيس يقولون
لَمَمَهُ مَحَاهُ (ص ٢٠٨) .

١٨ — الصفُّ من اللبَنِ أو الحجارة في البناء عند أهل الحجاز مِدْمَاكٌ وعند
أهل العراق سافٌ (ص ٣١٢) .

١٩ — الدَّيْكَ في كلام أهل اليمن الرجلُ المشْفِقُ الروم ومنه سمي الديك ديكا ، قال والدَّيْكَ الربيع في كلامهم (ص ٣١٤) .

٢٩ — سَدِكَ بالكسر سَدٌ كَأَ وَسَدَ كَأَنزِمَهُ ، والسَّدِكَ المُولَعُ بالشئ . طائفة (ص ٣٢٣) .

٢١ — ضَبَكَ الرجلَ وضَبَّكَ غمز يديه يمانية (ص ٣٤٥) .

٢٢ — العِنَكُ البابُ يمانية ، وَعَنَكَ البابَ وَأَعْنَكَه أَغْلَقَهُ يمانية (ص ٣٥٩) .

٢٣ — فَدَكَ القطنَ تَفْدِيكَاً نَفْسُهُ وهى لغة أزدية (ص ٣٦١) .

٢٤ — الْفِرْسِكُ الخَوْخُ يمانية ، وقيل هو مثل الخوخ في القدر وهو أجرد أملس أهر وأصفر ، قال شمر سمعت حميرة فصيحة سألتها عن بلادها فقالت : النخلُ قُل ، ولكن عِشْتَنَا امْتَمَحُ (التمح) امْفِرْسِكُ ، امْعِنَبُ ، امْحَمَاطُ (الحماط = التين) طُوبُ ، أى طَيِّبَ قُلْتُ لها ما الفرسك فقالت امْتِنُ عندكم (ص ٣٦٣) .

٢٥ — النَّتْكَ شبيهة بالنْتَف يمانية (ص ٣٨٨) .

٢٦ — هَلَكَ الشئُ وهَلَكُهُ وأَهْلَكَه قال المعجاج :
ومَهْمُهُ هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا هَائِلُهُ أَهْوَالُهُ مَنْ أَدْلَجَا
يعنى مهلك لغة تميم (ص ٣٩٤ ، ٣٩٥) .

الجزء الثالث عشر

١ — الليث : الأشلُّ من الذَّرع (المقاييس) بلفة أهل البصرة يقولون كذا وكذا حبلاً ، وكذا وكذا أشلاً لقدر معلوم عندهم قال أبو منصور وما أراه عربياً ، قال أبو سعيد الأشولُ هي الجبالُ وهي لفة من لفات النبط قال ولولا أننى نبطى ما عرفته (ص ١٥ ، ١٦) .

٢ — التهذيب الإصطقلين الجزرُ الذى يؤكل لغة شامية الواحدة اصطقلينة قال شعر الإصطقلينة كالجزرة ليست بعربية محضة لأن الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان فى محض كلامهم قال وإنما جاء فى الصراط والإصطبل والاصطمة أن أصلها كلها السين (ص ١٨) .

٣ — الأزهرى وخطأ بعضهم قول من يقول : فلان يستأهل أن يُكرم أو يُهان ، قال وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله ، لأنى سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل شكر عنده يداً أوليها : تستأهل يا أبا حازم ما أوليت (ص ٣٠) .

٤ — التهذيب آل فلان من فلان أى وأل منه ونجا وهى لفظة الأنصار يقولون رجل آيل مكان وائل (ص ٤١) .

٥ — البرطلة المظلة الصيفية نبطية وقد استعملت فى لفظ العربية ، وقال غيره إنما هو ابن الظلة (ص ٥٤) .

٦ — ويقال بل مُباح مُطلق يمانية حميرية (ص ٦٩) .

٧ — تميم تقول البُلُوَّةُ من بِلَّةِ الثَّرى وأسد تقول البِلَّةُ
(ص ٧٠) .

٨ — قال الفراء والعرب تقول بِلْ والله لا آتيك، وبينَ والله، يحملون
اللام فيها نونا، وهى لفة بنى سعد ولفة كلب، قال وسمعت الباهليين يقولون
لابن بمعنى لا بِلْ (ص ٧٤) .

٩ — أبو تراب عن بعض بنى سليم: فى الفِرَارَةِ نُفْلَةٌ من تمر وتُمْلَةٌ
من تمر أى بقية منه (ص ٩٠) .

١٠ — الأصمى إذا اخضرَّ طلعُ النخيل واستدار قبل أن يشتدَّ فإن أهل
نجد يسمونه الجَدَّالَ (ص ١١٠) .

١١ — قال كراع ويقال للجُعَلِ أبو وَجْزَةٍ بلفة طيء (ص ١١٩) .
والجُعُولُ ولد النعام يمانية .

١٢ — الجفال من الزبد كالجعفاء، وكان رؤية يقرأ فأما الزبد فيذهب جُفْلاً
لأنه لم يكن من لفته جفأت القدر ولا جفاً السيل (ص ١٢١) .

١٣ — وجلّ الداية وجلّها الذى تُلبسه اتصان به، الفتح عن ابن دريد قال
وهى لفة تميمية معروفة (ص ١٢٥) .

١٤ — والجلّ بالفتح شراع السفينة، قال شمر رواه أبو عدنان الملاح جُلٌّ
وهو الكساء يلبس السفينة، قال ورواه الأصمى جَلٌّ وهو لفة بنى سعد بفتح الجيم
(ص ١٢٨) .

١٥ — الحرَجَلُ والخرجلةُ الجماعة من الخليل تميمية (ص ١٥٨) .

١٦ — وروى الأزهري بإسناده عن الفراء قال سمعت أعرابياً من بنى سليم
ينشد [فإنها حِيلُ الشيطانِ يَحْتَسِلُ] قال وغيره من بنى سليم يقول يحْتال بلا همز

المُشْتَقُّ ، قال وغيره يقول المشتاق (ص ١٩٨ ، ١٩٩) .

١٧ — الليث لغة تميم حالت عينه تَحُولُ حَوْلًا وغيره يقول حَوِلَتْ عينه تَحُولُ حَوْلًا (ص ٢٠٣) .

١٨ — اَلْخَلَالُ بالفتح البَلَحُ واحده خَلَالَةٌ بالفتح ، قال شمر وهي بلغة أهل البصرة (ص ٢٣٣) .

١٩ قال ابن الأثير اَلْخَوَلِيُّ عند أهل الشام التميم بأمر الإبل وإصلاحها ، من التحوّل التمهّد وحسن الرعاية (ص ٢٣٩) .

٢٠ — وفي الحديث ما إخالُك سرقتَ أى ما أظنك ، وتقول فى مستقبله إخالُ بكسر الألف وهو الأفصح وبنو أسد يقولون أخالُ بالفتح وهو القياس والكسر أكثر استعمالاً (ص ٢٤٠) .

٢١ — وقال محمد بن حبيب : الدُّبْلُ فى كنانة بضم الدال وكسر الهمزة قال وكذلك فى المون بن خزيمه أيضاً ، والدُّبْلُ فى الأزد بكسر الدال وإسكان الياء (ص ٢٤٨) .

٢٢ — الدَّرَكْلَةُ لعبة يلعب بها الصبيان وقيل هى لعبةٌ للعجم معرب قال ابن دريد أحسبها حبشية معربة وقال أبو عمرو هو ضرب من الرقص (ص ٢٥٩)

٢٣ — لا دَهْلُ أى لا تخفُ نبطية معربة (ص ٢٦٧) .

٢٤ — التَّرَاجِيلُ الكَرَفُسُ سوادية وفى التهذيب بلغة العجم وهو اسم سوادى من بقول البساتين (ص ٢٩١) .

٢٥ — الرَّكْلُ الكَرَاثُ بلغة عبد القيس (ص ٣١٣) .

١٦ — نَزِيلُ القَوْمِ تَزِيلًا وتَزِيلًا تَفَرَّقُوا الأخيرة حجازية ، رواها اللحيانى قال وربيعة تقول تَزَايِلُ القَوْمُ تَزَايِلًا (ص ٣٣٦) .

٢٧ — الفراء يقال للتمر الذى لا يشتد نواه الشيص، قال وأهل المدينة يسمونه السُّخْلُ والسُّخْلُ بضم السين وتشديد الخاء الشيص عند أهل الحجاز (ص ٣٥٣) .
ويقال سَخَلَتَ الرجل إذا عَبَتْهُ وضمفته، وهى لغة هذيل .

٢٨ — السَّمَالُ شجر يمانية (ص ٣٦٩) .

٢٩ — التهذيب فى الرباعى: الشُّشْقَلَةُ كلمة حميرية، لهجَ بها صيارفة أهل العراق فى تعيير الدنانير (وزنها) يقولون قد شَشَقَلْنَاهَا أى عَيَّرْنَاهَا أى وزناها دبئاراً دبئاراً، وليست الشُّشْقَلَةُ عربية محضة (ص ٣٧٥) .

٣٠ — الكسائى الضَّئِيلُ الداهية، ولغة بنى ضبة الضَّئِيلُ قال: والضاد أعرف، وأبو عبيدة رواه الضَّئِيلُ بالضاد قال ولم أسمعه بالصاد إلا ما جاء به به أبو تراب (ص ٤٠١) .

٣١ — صلَّ الشرابَ بَصْلُهُ صلاً صفاء والمِصْلَةُ الإناء الذى يُصَفَّى فيه يمانية (ص ٤٠٨) .

٣٢ — اضْمَحَلَّ السحاب تقشع واضمحل الشيء أى ذهب، وفى لفظة الكلابيين امضمحل بتقديم الميم حكاه أبو زيد (ص ٤١٤) .

٣٣ — بنو تميم يقولون وَضَلَّتْ أَضَلَّ ضَلَّتْ أَضِلَّ، وقال اللحيانى أهل الحجاز يقولون ضَلَّتْ أَضَلَّ وأهل نجد يقولون ضَلَّتْ أَضِلَّ، وأهل العالية يقولون ضَلَّتْ بالكسر أَضَلَّ، وقال الجوهري لغة نجد هى الفصيحة (ص ٤١٤) .

٣٤ — الطَّنَّالُ والطفَّالُ الطين اليابس يمانية (ص ٤٢٩) .

٣٥ — ظلَّ نهاره يفعل كذا وكذا، يَظَلُّ ظِلًّا وظُلُولا وظَلَّاتُ أنا وظَلَّتْ وظَلَّتْ قال ومن العرب من يحذف لام ظَلَّاتْ ونحوها حيث يظهران، فإن أهل الحجاز يكسرون الظاء على كسرة اللام التى أُلْقِيَتْ فيقولون ظَلَّلْنَا وظَلَّلْتُمْ (ص ٤٤١) .

٣٦ — والمعْرَجَلَةُ من الخيل القطيع وهي بِلغة تميم الحَرْجَلَةُ (ص ٤٦٥).

٣٧ — وحكى أبو زيد أن لغة عُقَيْل لَعْلٌ زيدٍ منطلق بكسر اللام من لعلٍ
وجرّ زيد ، وقال الأخفش ذكر أبو عبيدة أنه سمع لام لعلٍ مفتوحة في لغة من
يجرّ بها (ص ٥٠١) .

٣٨ — والمَعَامَلَةُ في كلام أهل العراق هي المُسَاقَاةُ في كلام الحجازيين (ص ٥٠٤)

الجزء الرابع عشر

١ - واسم ما تنزل به المرأة المَفْزَلُ والمُفْزَلُ والمَفْزَلُ تميم تكسر الميم وقيس تضمها والأخيرة أقلها (ص ٤) .

٢ - التنصر في كتاب الزرع : القَقْلُ التذرية في لغة أهل اليمن (ص ٤٥)

٣ - وفي حديث معاوية أنه صعد المنبر وفي يده فُلَيْلة وطرَّ يده الفلَيْلة الكُبة من الشَّعر والفلَيْلُ الليف هذلية (ص ٤٨) وأهل اليمن يسمون ثمر الصاف فُلْفَلًا .

٤ - القُمَّلُ والقَلَمُ القُدح الضخم بلغة هذيل (ص ٨٧) .

٥ - وبنو أسد يقولون : قَوْلٌ وَقِيلَ بمعنى واحد (مبنى للمجهول) (ص ٩٢) .

٦ - المِثْوَلُ القَيْلُ بلغة أهل اليمن ، قال ابن سيده المَقُولُ والقَيْلُ الملك من من ملوك حير (ص ٩٤) .

٧ - وَرُثْ مَكِيلٌ ويمجوز في القياس مَكْيُولٌ ولغة بني أسد مَكُولٌ ولغة رديئة مُكَالٌ ، قال الأزهرى أما مُكَالٌ فن لفات الحضريين ، قال وما أراها عربية محصة وأما مكول فهي لغة رديئة واللغة الفصيحة مكيل ثم يليها في الجودة مكيُول (ص ١٢٥) .

٨ - قال الفراء أمَلَلْتُ لغة أهل الحجاز وبني أسد ، وأمَلَيْتُ لغة بني تميم وقيس (ص ١٥٤) .

٩ — وأهل الحجاز يؤثنون النَّخْلَ وفي التنزيل العزيز والنخل ذات الأكام،
وأهل نجد يدكرون (ص ١٧٥) .

١٠ — وكتابٌ مُفْعَلٌ مكتوب هذلية (ص ٢٠٤) .

١١ — والنَّوْلُ الوادى السائل خنسية عن كراع (ص ٢٠٨) .

١٢ — الجوهرى فى المستقبل منه أربع لفات يُوَجِّلُ ويَاجِلُ وَيَنْجَلُ
ويَبِجَلُ بكسر الياء قال وكذلك فيما أشبهه من باب المثال إذا كان لازماً
فمن قال يَاجِلُ جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها ومن قال يَبِجَلُ بكسر الياء فهى
على لغة بنى أسد فإنهم يقولون أنا لِمِجَلُ ونحن نَبِجَلُ وأنت تَبِجَلُ كلها
بالكسر وهم لا يكسرون الياء فى يَبْعَلَمُ لاستنقاقهم الكسر على الياء وإنما
يكسرون فى يَبِجَلُ لتقوى إحدى الياءين بالأخرى (ص ٢٤٨) .

١٣ — الوَذِيلَةُ المرأة طائفة قال أبو عمرو قال الهذلى الوذيلة المرأة فى لغتنا
(ص ٢٤٩) .

١٤ — الْمُوتَصِلَةُ لغة قريش فإنها لاتدغم هذه الواو وأشباهها فى الغاء فتقول
مُوتَصِلٌ ومُوتَفِقٌ ومُوتَعِدٌ ونحو ذلك ، وغيرهم يدغم فيقول مُتَّصِلٌ ومُتَّفَقٌ
(ص ٢٥٣) .

١٥ — الأَجِمُ القصر بلغة أهل الحجاز ، وفى الحديث حتى توارت بآجام
المدينة أى حصونها (ص ٢٧٣) .

١٦ — الأرومة الأصل ، قال ابن الأثير الأرومة بوزن الأكولة الأصل
(ص ٢٧٩) .

والأرُومة والأرُومة الأخيرة تميمية الأصل والجمع أرُوم (ص ٢٨١) .

١٧ — قال الليث وتكون « أم » مبتدأ الكلام في الخبر وهي لغة يمانية يقول قائلهم : أم نحن خرجنا خيار الناس ، أم نطعم الطعام ، أم نضرب الهام ، وهو يخبر . وروى عن أبي حاتم قال : قال أبو زيد « أم » تكون زائدة لغة أهل اليمن (ص ٣٠١) . تكون « أم » بلغة بعض أهل اليمن بمعنى الألف واللام ، وفي الحديث ليس من أمر أمصيام في أمسر ، قال أبو منصور والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر إذا وصلت ، ولا تقطع كما تقطع ألف « أم » التي قدمنا ذكرها وأنشد أبو عبيد :

ذاك خليلي وذو يقاتيني يرمى ورأى بأمسيفٍ وأمسله
ألا تراه كيف وصل الميم بالواو فافهمه (ص ٣٠٢) .

١٨ — البطم شجر الحبة الخضراء واحدة بطة ويقال بالتشديد ، وأهل اليمن يسمونها الضرو (ص ٣١٧) .

١٩ — وجحمتا الإنسان عيناه وجحمتا الأسدعيناه بلغة حمير قال ابن سيده بلغة أهل اليمن خاصة (ص ٣٥٢) .

٢٠ — قال أبو حنيفة الجداعي ضرب من التمر باليامة وهو بمنزلة الشهريز بالبصرة والتبني بالبحرين (ص ٣٥٣) .

٢١ — يقال للجذع جذعم وجذعمة قال ابن الأثير وفي حديث علي كرم الله وجهه أسلم والله أبو بكر وأنا جذعمة ، وفي رواية ، أسلت وأنا جذعمة ، أراد وأنا جذع أي حديث السن (ص ٣٥٧) .

الجزء الخامس عشر

١ - وفي حديث عمر رضى الله عنه في الحرام كفارةُ يمين : هو أن يقول حَرَامُ اللَّهِ لَا أَفْلَ ، كما يقول يمين الله وهي لفظة المُقِيلين (ص ١٨) .

٢ - الأزهري قال أبو تراب سمعت بعض بني سُليم يقول حمزه وحظه أى عصره ، وجاء به في باب الظاء والزاي (ص ٣٠) .

٣ - الخَزُومة البقرة بلفظة هذيل (ص ٦٦) .

٤ - وقال أبو عمر الدَّمْدِمُ أصول الصَّلِيَانِ (شجر) المُحِيل في لفظة بنى أسد وهو في لفظة بنى تميم الدَّنْدِن ؛ الدندم النبت القديم للسود كالندن بلفظة بنى أسد . قال ابن سيده ولولا أنه قال بلفظة بنى أسد لجملت ميم الدندم بدلا من نون الدندن (ص ٩٩) .

٥ - الرَّحِمُ القرابة والرَّحْم بالكسر مثله ، وذهب سيبويه إلى أن هذا مطرد في كل ما ثانيه من حروف الحلق بِكَرِيَّة (ص ١٢٤) .

٦ - وزعم أبو زيد الأنصارى أن من أهل اليمن من يقول رَنَحْتُهُ رَنَحَةً بمعنى رحمته رحمة (ص ١٢٥) .

٧ - فإن الخليل زعم أن ناسا من بكر بن وائل يقولون رَدَّتْ وَرَدَّتْ وكذلك مع جماعة للوث يقولون رُدَّنْ وَرُدَّنْ ، يريدون : رَدَدَتْ وَرَدَدَتْ وارْدُدْنْ وامْرُرْنْ (ص ١٤٥) [وانظر ج ٤ ص ٢٢٠] .

٨ - الرَّعْمُ تميمية والزَّعْمُ حجازية (ص ١٥٦) .

٩ - الأحر: بغير أَرَيْمٍ وَأُسْنَحِمُ وهو الذى لا يرغو ، قال شر الذى سمعت : بغير أَرْجَمَ بالزاي والجيم قال وليس بين الأَزِيمِ والأَرْجَمِ إلا تحويل الياء جيا وهى لفة فى تميم معروفة ، قال أبو الهيثم والعرب تحصل الجيم مكان الياء لأن مخرجيهما من شجر القم ، وشجر القم الهواء وخرق القم الذى بين الحنكين (ص ١٧٢) .

١٠ - سَطْمَةُ البحر والحسب واسْطُمْتُه واسْطُمْتُه وسطه ومجتمعه والجمع الأَسَامِ ، قال وتميم تقول أَسَامِمْ تعاقب بين الطاء والتاء فيه (ص ١٧٨) .

١١ - قال يوس : أهل العالية يقولون السَّم والشَّهْد يرفضون ، وتسم تفتح السَّم والشَّهْد (ص ١٩٥) .

١٢ - والحروف الصَّتم التى ليست من حروف الخلق ، قال ابن سيده ولذلك معنى ليس من غرض هذا الكتاب ، قال الجوهري الحروف الصَّتم ما عدا الذلق ، والصَّتِيمة الصخرة الصلبة ، والأَصْتَمَة معظم الشيء تميمية التاء فيها بدل من الطاء ، وفلان فى أصتمة قومه مثل أَصْطَمْتَهُم ، التهذيب والأصاتم جمع الأصطمة بلفة تميم جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء (ص ٢٢٥)

١٣ - الجوهري : الصَّوْمُ شجر فى لغة هذيل (ص ٢٤٤) .

١٤ - وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البرَّ خاصة (ص ٢٥٦) .

١٥ - والمُعْظَمَة والمُعْظَمَة بالتشديد والإِعْظَامَة والمُعْظِية ثوب تعظم به المرأة عجيرتها ، وقال الفراء المعْظَمَة شيء تعظم به المرأة رِدْفَهَا من مِرْفَقَةٍ وغيرها ، وهذا فى كلام بنى أسد ، وغيرهم يقول المعْظَمَة بكسر العين (ص ٣٠٤)

١٦ - وأما الذى ورد فى حديث عائشة ، رضى الله عنها : استأذنت النبي صلعم فى دخول أى القميس عليها فقال انذنى له فإنه عَمَّج ، فإنه يريد عَمَّكَ

من الرضاغة فأبدل كاف الخطاب جيماً وهي لغة قوم مرالين ، قال الخطابي إنما جاء هذا من بعض الثقلة فإن رسول الله صلعم كان لا يتكلم إلا باللغة العالية قال ابن الأثير وليس كذلك فإنه قد تكلم بكثير من لغات العرب منها قوله ليس من أمبرٍ امصيام في امسفر ، وغير ذلك (ص ٣١٩) .

١٧ — المُفْرَمُ الملوء بالماء وغيره هذلية، أبو عبيد المُفْرَم من الحياض الملوء بالماء في لغة هذيل ، الجوهرى أفرمتُ الإناء ملأته بلفظة هذيل (ص ٣٤٩)

١٨ — قِطَامٌ ، قِطَامُ اسم امرأة وأهل الحجاز يبنونه على الكسر في كل حال وأهل نجد يحرونه مجرى ما لا ينصرف وقد ذكرناه في رقاش (ص ٣٩١)

١٩ — الْقَهْمُ القليل الأكل من مرض أو غيره ، وقد أقهَمَ عن الطعام وأقَهَى أى أمسك وصار لا يشتهي وقهى لبعض بني أسد (ص ٣٩٧) .

٢٠ — الْكَهْمُ لغة في الكخب وهو الحِضْرُم واحدته كخمة يمانية (ص ٤١٢)

٢١ — الْكِكَمَةُ لغة تميمية والكَلِمَةُ اللفظة حجازية، والجمع في لغة تميم الْكِكَم

(ص ٤٢٨) .

الجزء السادس عشر

١ - أبو زيد قال تميم تقول تلثمت على الفم وغيرهم يقول تلثمت (ص ٥) .

٢ - وتكون « لَمَّا » بمعنى « إلَّا » في قولك سألتك لَمَّا فعلت ، بمعنى إلَّا فعلت وهي لغة هذيل (ص ٢٧) .

٣ - في الحديث أن النبي صلعم رأى على « عبد الرحمن بن عوف » وَضْرًا من صُفْرَةٍ فقال : مَهْيَمٌ ؟ قال قد تزوجت امرأة من الأنصار على نواة من ذهب . فقال أولم ولو بشاة . أبو عبيد قوله مهيم كلمة يمانية معناه ما أمرك ؟ (ص ٤٢) .

٤ - وَنِعْمَةُ اللَّهِ بكسر النون مِنْهُ ، وما أعطاه الله العبد ، والجمع نِعَمٌ وَأَنْعَمٌ وَنِعِمَاتٌ وَنِعِمَاتُ الْإِتْبَاعِ لأهل الحجاز (ص ٥٩) .

٥ - وحكى سيبويه أن من العرب من يقول نَعَمَ الرجلُ في نِعَمٍ . كأن أصله نَعِمَ ثم خفف يأسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل (ص ٦٥) .

٦ - أمرنا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بأمرٍ فقلنا نَعِمُ ، فقال لا تقولوا نَعَمَ ، وقولوا نَعِمُ بكسر العين ، وقال بعض ولد الزبير ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلَّا نَعِمُ بكسر العين (ص ٦٩) .

٧ - الهَيْضَمُ حجر أملس يتخذ منه الحقائق وأكثر ما يتكلم به بنو تميم وربما قلبت فيه الصاد رايا (ص ٩٦) .

٨ - قال سيبويه هَلَمَّ في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنين والجميع

فقلت تحرك النون في الوصل ، ومن العرب من يقول أنا فعلتُ ذلك فيثبت الألف في الوصل ولا ينون ، ومنهم من يسكن النون وهي قليلة فيقول أن قلتُ ذلك ، وقضاعة تمد الألف الأولى آن قلتُهُ (ص ١٧٩) .

١٦ — البُلْسُنُ المَدَسَ يمانية ، الجوهري البلسن بالضم حب كالمس وليس به (ص ٢٠٤) .

١٧ — والباهينُ ضرب من التمر عن أبي حنيفة ، وقال مرة أخبرني بعض أعراب عُمان أن بهجر نخلة يقال لها الباهين لا يزال عليها السنة كلها طلع جديد (ص ٢٠٧) .

١٨ — الفراء في قولهم « بل » بمعنى الاستدراك تقول بل والله لا آتيك وبنُ والله يحملون اللام فيها نونا قال وهي لغة بني سعد ولغة كلب قال وسمعت الباهليين يقولون لابن بمعنى لا بل (ص ٢٠٦) .

١٩ — المثَبَّةُ كيس تضع فيه المرأة مراثيها وأداتها يمانية (ص ٢٢٦)

٢٠ — الجرين هو موضع تجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة ، وقيل الجرين موضع البيدر بلغة أهل اليمن ، قال وعامتهم يكسر الجيم وجمه جُرْن ، والجرين الطَّحْنُ بلغة هذيل (ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

٢١ — الجوهري حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقد قرىء بهما (ص ٢٦٦) .

الجزء السابع عشر

- ١ — الدَّحْنَةُ الأرض المرتفعة عن أبي مالك يمانية (ص ٥) .
- ٢ — الدَّرَّانُ الثعلب وأهل الكوفة يسمون الأحق دُرَيْنَةً (ص ١٠) .
- ٣ — أو حنيفة الدَّرَّاقِنُ الخوخ بلغة أهل الشام (ص ١١) .
- ٤ — داشنٌ معرب من الدَّشَنِ وهو كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس أو الدار الجديدة التي لم تسكن ولا استعملت (ص ١١) .
- ٥ — الدَّعْنُ سَعْفٌ يَضُمُّ بعضه إلى بعض وَيُرْمَلُ بالشريط ويبسط عليه التمر أزدية (ص ١١) .
- ٦ — قال أبو حنيفة قال أبو عمر « الدُّنْدِنُ » الصَّلْيَانُ المُحِيلُ تميمية ثابتة (ص ١٧) .
- ٧ — ورجل دائنٌ ومدينٌ ومديون الأخيرة تميمية ، ومُدَانٌ عليه الدَّيْنُ ، وقيل هو الذي عليه دين كثير ، الجوهرى رجل مديون أكثر ما عليه من الدين (ص ٢٥) .
- ٨ — وقيل الزَّرَجُونُ قضبان الكرم بلغة أهل الطائف وأهل الغُور ، قال السيرافي هو فارسي معرب شبه لونها بلون الذهب لأن « زر » بالفارسية الذهب وجون اللون (ص ٥٧) .
- ٩ — الزَّرْفَنُ ، الزَّرْفَنُ بلغة عُمان كلاهما ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم ومد المعر أو حره ونداه ، والزَّرْفَنُ عسيب من عشب النخل يصم بعضه إلى

بعض شبيه بالحصير الرمولى قيل هى لغة أردية (ص ٥٨) .

١٠ — الزَّوَانُ حَبٌّ يَكُونُ فى الحنطة تسميه أهل الشام الشُّيْلَمَ (ص ٦٢)

١١ — سَخَنَ الشَّيْءَ والماء بالصم ، سَخَنَ بالفتح ، سَخِنَ الأخيرة لغة بنى عامر (ص ٦٦)

١٢ — السخاخينُ السَّاحِي واحدُها سَخِيْنٌ بلغة عبد القيس وهى مسحة منعطفة (ص ٦٩) .

١٣ — السَّعْنُ ظِلَّةٌ أو كالظلة تنخذ فوق السطوح حذر ندى الومد والجمع سَعُونٌ ، وقال بعضهم هى عمانية لأن متخذيها إنما هم أهل عُمان (ص ٧١ وانظر الزقن) .

١٤ — السَّكَنُ ، والمَسْكَنُ ، المَسْكِنُ المنزل والبيت الأخيرة نادرة وأهل الحجاز يقولون مسكَنٌ بالفتح (ص ٧٤) .

١٥ — حكى الكسائى عن بعض بنى أسد المَسْكِينُ بفتح الميم فى المَسْكِينِ (ص ٨١) .

١٦ — القَسْمِينُ التبريد طائفة ، وفى حديث الحجاج أنه أتى بسكة مشوية فقال للذى حملها سَمَنُها فلم يدر ما يريد فقال عنبة بن سعيد إنه يقول لك برِّدْها قليلا (ص ٨٣) .

١٧ — الشَّتْنُ النسيج والشَّاتِنُ والشُّتُونُ الناسج يقال شتن الشَّاتِنُ ثوبه أى نسجه وهى هذلية (ص ٩٦) .

١٨ — وثوب مَصُونٌ على النقص ، مَصُونٌ على التمام الأخيرة نادرة وهى تميمية (ص ١١٨) .

١٩ — الضَّائِنُ خلاف الماعِرِ والجمع الضَّائُنُ والضَّائُنُ مثل اللَّعَزِ ، اللَّعَزُ ،

والضَّئِين، والضَّئِين تيمية، والضَّئِين والضَّئِين غير مهموزين عن ابن الأعرابي كلها أسماء لجمها، فالضَّان كالركب والضَّان كالقعد والضَّئِين كالفرى والتطين، والضَّئِين داخل على الضَّئِين أتبعوا الكسر الكسر يطرد هذا في جميع حروف الحلق إذا كان المثال فَعِلًا أو فَعِيلًا (ص ١١٩) .

٢٠ — ضَدَّتُ الشَّيْءَ أَضَدَّتْهُ ضَدَّنَا سَهْلَتُهُ وَأَصْلَحَتْهُ لَفَةً يَمَانِيَّة (ص ١٢٢) .

٢١ — وحكى اللخمي عن بنى سَائِمٍ لَقَدْ ظَلَمْتُ ذَلِكَ أَى ظَلَمْتُ فُحْذِفُوا كَمَا حَذَفُوا ظَلَمْتُ وَمَسْتُ وَمَا أَحَسْتُ ذَلِكَ وَهِيَ سَلَمِيَّة (ص ١٤٣) .

٢٢ — قال أبو تراب سمعت زائدة البكري يقول العرب تدعو ألوان الصوف العَيْنَ غير بنى جعفر فإنهم يدعونه العَيْنَ بالياء (ص ١٤٨) .

٢٣ — العِجَانُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ الْعُنُقُ. قال شاعرهم يرئى أمة وأكلها الذئب :

فلم يبق منها غير نصف عجائها وشُتْرَةٌ منها وإحدى الذوائب

٢٤ — وعنقنة تميم إبدالهم العين من الهمزة كقولهم « عَنْ » يريدون « أَنْ » ، قال الفراء لفة قریش ومن جاورهم « أَنْ » ، و تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يعملون ألف « أَنْ » إذا كانت مفتوحة عينا يقولون أشهدعنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف ، قال ابن الأثير كأنهم يفصلونه لِبَحْجٍ فِي أَصْوَاتِهِمْ . والعرب تقول لَأَنْكَ وَلَعَنْكَ تقول ذلك بمعنى لَمَلَّكَ . ابن الأعرابي لعنك لبنى تميم ، وبنو تميم الله بن ثعلبة يقولون رعنك يريدون لَمَلَّكَ (ص ١٦٨) .

٢٥ — ومخلة عَوَانٌ طويلة أزدية ، وقال أبو حنيفة العَوَانَةُ النخلة في لفة

أهل عُمان ، والعانةُ الحظ من الماء للأرض بلفظة عبد القيس (ص ١٧٤) .

٢٦ — وقيل العَيْنُ والعَيْنُ الجديدة طائية ، وكذلك قرينة عَيْنٍ جديد طائية أيضاً (ص ١٧٩) .

٢٧ — الفِدَانُ القضيبة الذي تطلق عليه الثياب يمانية بلفظة أهل اليمن (ص ١٨٧) .

٢٨ — التهذيب قال أبو عمرو أتيته على إفان ذلك ، وقفلن ذلك ، وغفان ذلك ، قال والغين في بني كلاب (ص ١٩٠) .

٢٩ — فَتَنَ الرجلُ بالمرأة وافتن ، وأهل الحجاز يقولون فتنه المرأة إذا ولته وأحبها وأهل نجد يقولون أفتنته (ص ١٩٤) .

قال الفراء أهل الحجاز يقولون « ما أنتم عليه بفاتنين » ، وأهل نجد يقولون بمفتنين من أفتنت (ص ١٩٦) .

٣٠ — قال أبو عبيد يَتَفَكَّنُونَ أى يقندمون ، الليثاني أزد شنوءة يقولون يتفكهون وتميم تقول يتفكثون (ص ٢٠١) .

٣١ — ابن بُرْزَج يقول بعض بني أسد يا قُلْ أَقْبِلْ ، ويا قُلْ أَقْبِلَا ، ويا قُلْ أَقْبِلُوا ، وقالوا للمرأة فيمن قال يا قُلْ أَقْبِلْ يا فُلانَ أَقْبِلِي ، وبعض بني تميم يقول يا فُلانة أَقْبِلِي وبعضهم يقول يا فُلانة أَقْبِلِي ، قال سيبويه ليست ترخيماً وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء في غير النداء وأنشد :

في لَجَةٍ أَمْسِكْ فُلاناً عن قُلْ

(ص ٢٠٢) .

٣٢ — ابن شميل أهل الحجاز يسمون القارورة « القَران » الرأء شديدة « وأهل الجامة يسمونها الحُفْجُورَة (ص ٢٢٠) .

٣٣ — والقينة الأمة المغنية تكون من التزيّن لأنها كانت تزيّن ، وربما قالوا للمتزيّن من الرجال قينة ، قال وهي كلمة هذلية (ص ٢٣١) .

٣٤ — روى الأزهرى قال سمعت محمد بن اسحق السمدى يقول سمعت عليّ بن حرب الموصلى يقول : شيء لثين أى حلو بلفة أهل اليمن ، قال الأزهرى لم أسمعه لغير عليّ بن حرب وهو ثبّت ، وفي حديث للبعث :

بُغْضُكُمْ عِنْدَنَا مُرٌّ مَذَاقُهُ وَبُغْضُنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَثِينٌ

٣٥ — أبو زيد عن الكلبيين أجمعين : هذا من لدنّه ، ضموا الدال وفتحوا اللام وكسروا النون (ص ٢٦٩) .

٣٦ — ولفنّ لفة في لملّ وبعض بني تميم يقول لفنّك بمعنى لملك قال الفرزدق :

قفا يا صاحبيّ بنا لِفْنًا نرى المرصاتِ أو أثرَ الخيامِ
(ص ٢٧٥) .

٣٧ — قال أبو منصور سمعت رجلا من أهل هَجَرَ يقول لآخر : مَشِينُ اللَّيْفِ أَيْ مِيشُهُ وَانْفَشُهُ لِلتَّلْسِينِ ، والتلسين أن يسوّى الليف قطعة قطعة (ص ٢٩٥) .

٣٨ — قال اللحياني فإذا لقيت النون ألف الوصل فمنهم من يخفّض النون فيقول : من القوم ، ومن ابنك ، وحكى عن طيء وكلب ، اطلبوا من الرحمن . وبعضهم يفتح النون عند اللام وألف الوصل فيقول من القوم ومن ابنك . قال سيبويه قالوا من الله ومن الرسول ومن المؤمنين ففتحوا ، قال وزعموا أن ناسا يقولون من الله فيكسرونه ويجرونه على القياس بمعنى أن الأصل في كل ذلك أن تكسر لالتقاء الساكنين ، قال وقد اختلف العرب في « من » إذا كان بعدها ألف وصل غير الألف واللام فكسره قوم على القياس وهي

أكثر في كلامهم وهي الجليدة ، ولم يكسروا في ألف اللام لأنها مع ألف اللام أكثر إذ الألف واللام كثيرة في الكلام تدخل في كل اسم نكرة ففتحوا استخفافا فصار « من ابنك ومن امرئ » قال وقد فتح قوم فصحاء فقالوا من ابنك فأجروها مجرى قولك من السمين . قال أبو اسحاق ويجوز حذف النون من [من وعن] عند الألف واللام لالتقاء الساكنين وحذفها من [من] أكثر من حذفها من [عن] لأن دخول من في الكلام أكثر من دخول عن وأنشد :

أبلغ أبا دختوس مألكة غير الذي قد يقال م الكذب
(ص ٣١١ ، ٣١٢) .

٣٩ — والوهين بلغة من بلو مصر من العرب وفي التهذيب بلغة أهل مصر الرجل يكون مع الأجير في العمل يحمله على العمل (ص ٣٤٧) .

٤٠ — التابوه لغة في التابوت أنصارية (ص ٣٧٣) .

٤١ — قال أبو زيد قال لي رجل من بني كلاب : ألقيتني في الثور يريد التية (ص ٣٧٥) .

٤٢ — قيل الأجله الأجلح (الأصلم) في لغة بني سمد (ص ٣٧٨) .

٤٣ — وفي بعض الحديث أن رجلا من « أسلم » عدا عليه ذنب فانتزع شاة من غنمه فجهاه أي زبره وأراد « جهجه » فأبدل الماء همزة لكثرة الماءات وقرب المخرج (ص ٣٧٩) .

٤٤ — قال ابن سيده والشبهان والشبهان ضرب من العضاء وقيل هو التمام يمانية حكاه ابن دريد (ص ٤٠٠) .

٤٥ — الأصمى وغيره المصه السخر بلغة قريش وهم يقولون للساحر عاضة (ص ٤١١) .

٤٦ — والكَرْهَاءُ أعلى النقرة هذلية أراد نقرة القفا (ص ٤٣٣) .

٤٧ — الماء والماء والماء معروف، وهمزة « ماء » متقلبة عن هاء بدلالة ضروب تصاريفه فإن تصغيره « مَوْبِه »، وجمع الماء أمواه ومياه، ومن العرب من يقول « ماء » كبنى تميم يعنون الركبة بمائها .

٤٨ — النُّكَّةُ من الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف وهي لغة تميم في « النُّكَّة » (ص ٤٤٨) .

٤٩ — الوافَةُ قِيمُ البيعة الذي يقوم على بيت النصارى الذي فيه صليهم بلغة أهل الجزيرة كالواحف (ص ٤٥٩) .

الجزء الثامن عشر

١ - وقرئ « يومَ بَاتٍ » بحذف الياء ، كما قالوا « لا أذِرِ » وهي لغة هذيل . وأما قول قيس بن زهير العبسي :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبونُ بنى زيادٍ
فإنما أثبت الياء ولم يحذفها للعزم ضرورة وردة إلى أصله ، قال المازني ويجوز في الشعر أن تقول : « ريدَ رِمِيكَ » برفع الياء ، ويفزوك برفع الواو ، وهذا قاضي بالتوين ، فتجرى الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه في الأسماء والأفعال جميعاً لأنه الأصل (ص ١٤) .

٢ - وآتيتُه على ذلك الأمر مؤاناة إذا وافقته وطاوعته ، والعامة تقول : وآتيتُه ، قال ولا تقل وآتيتُه إلا في لغة لأهل اليمن (ص ١٨)

٣ - وتقول آخيتُه على مثال فاعلتهُ ، قال ولغة طيء واخيتُه (ص ٢٣)

٤ - وأهل الحجاز يقولون : آدبتهُ على أفعلته أي أعنته ، وآدانى السلطان عليه أعدانى ، واستأدبته عليه استعديته ، وآدبته عليه أعنته ، كله منه الأزهري أهل الحجاز يقولون استأدبت السلطان على فلان أي استعديت فآدانى عليه أي أعدانى وأعاننى ص ٢٧

٥ - وهو بإدائه أي بإزارئه طائية (ص ٢٨) .

٦ - قال الأزهري سمعت الفصيح من بني كلاب يقول لأوى الإيل « مأواة » بالهاء (ص ٥٤) .

٧ - قال ابن بري قال ابن خالويه : ليس أحد يقول بدبت بمعنى بدأت إلا الأنصار ، والناس كلهم بدبت وبدأت ، لما خففت الهمزة كسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء ، قال وليس من بنات الياء ، وأهل المدينة يقولون بدبنا بمعنى بدأنا (ص ٧١)

٨ - وطيء تقول بقي ، بقت مكان بقي ، بقيت ، وكذلك أخواتها من المعتل قال البولاني :

نستوقدُ النبلَ بالحصىم ونص طادُ نفوساً بُنتَ على الكرمِ
أي بُنيتُ ، ولغة طيء بقي بقي . وكذلك لفهم في كل باء انكسر

ما قبلها يحملونها ألفاً نحو بَقَى وَبَقَوْتُهُ نظرت إليه (ص ٨٨).

٩ — وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : وصلاة الليل فَبَقِيَتْ كيف يصلّي النبي صلعم ، وفي رواية كراهة أن يرى أنى كنت أبقيته أى أنظره وأرصده ، اللحياني بَقِيَّتُهُ وَبَقَوْتُهُ نظرت إليه (ص ٨٨) .

١٠ — قال الفراء والعرب بقول ، بل والله لا آتيك ، وبنّ والله ، يحملون اللام فيها نونا ، قال وهى لفة بنى سمد ولفة كلب ، قال وسمعت الباهليين يقولون : « لا بَنَ » بمعنى « لا بَلَّ » (ص ٩٥ وانظر أيضاً ج ١٦ ص ٢٠٦) .

١١ — وحكى الفارسي أن طيئاً تقول « تَوَى » قال ابن سيده وأراه على ما حكاه سيبويه من قولهم بَقَى وَرَضَى وَنَهَى (ص ١١٤) .

١٢ — ويقال جرت عنك شاة أى قصت وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة بالهمز أى قصت (ص ١٥٩) .

١٣ — وقيل أهل مكة يسمون « الحِدَا » حَدَوًّا بالثنيدي (ص ١٨٤) .

١٤ — الحِكَاةُ المَظَاةُ بلفة أهل مكة وجمعها حُكى قال وقد يقال بغير

همز ويجمع على حُككى مقصور (ص ٢٠٨) .

١٥ — وَحَمِيَتْ عليه غضبتُ والأموى يهزمه (ص ٢١٨) .

١٦ — يقال حانةٌ وحانوتٌ وصاحبها حانى وفي حديث عمر أنه أحرق نيت رُوَيْشِدَ الثقي وكان حانوتاً تعاقَر فيه الحمر وتباع . وكانت العرب تسمى بيوت الخمارين الحوانيت وأهل العراق يسمونها المواخير ، واحداها جانوت ، ماخور (ص ٢٢٤)

١٧ — الحياة تقيض الموت وحكى ابن جنى عن قطرب أن أهل اليمن يقولون الحَيَوَةُ نواو قبلها فتحة ، وكذلك يفعل أهل اليمن بكل ألف متقلبة عن واو كالصلاة والركاة (ص ٢٣٠) وقرأ أهل المدينة « وَيَحْيَا من حَيَّى عن يَبَنَ » وغيرهم « من حَى عن يَبَنَ » .

١٨ — الأرهري للعرب فى هذا الحرف لغتان يقال استعجى الرجل يستعجى

بياء واحدة واستحيا فلان يستحي بياءين والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية ، وقال الأخفش استحي بياء واحدة لغة تميم وبياءين لغة أهل الحجاز وهو الأصل (ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

١٩ — وَالْخَشْوُ الْحَشْفُ مِنَ التَّمْرِ، وَخَشَتِ النَّخْلَةُ تَخْشُو خَشْوًا أَحْشَفَتْ وَهِيَ لُغَةٌ بَلْعَرْتُ بْنُ كَعْبٍ (ص ٢٥١) .

٢٠ — وَالْخَوَافِ السَّمَفَاتُ اللَّوَاتِي يَلِينُ الْقَلْبَةَ نَجْدِيَّةٌ ، وَهِيَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ الْمَوَاهِنُ (ص ٢٥٩) .

٢١ — قَالَ الْحَيَّانِيُّ تَمِيمٌ يَقُولُ : خَلَا فُلَانٌ عَلَى اللَّبَنِ وَعَلَى اللَّحْمِ إِذَا لَمْ يَأْكُلْ مَعَهُ شَيْئًا وَلَا خَطْلَهُ بِهِ ، قَالَ وَكَتَانَةٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ : أَخْلَى فُلَانٌ عَلَى اللَّبَنِ وَاللَّحْمِ (ص ٢٦١) .

٢٢ — الْخَوِيُّ الثَّابِتُ طَائِيَّةٌ (ص ٢٧١) .

٢٣ — الدَّعْوَةُ والدَّعْوَةُ والمدَّعَاةُ ما دَعَوْتَ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، الْكُسْرُ فِي الدَّعْوَةِ لَعْدِيَّ بْنِ الرَّبَابِ وَسَائِرُ الْعَرَبِ يَفْتَحُونَ (ص ٢٨٥) .

٢٤ — الدَّعِيَّ الْمُنْسُوبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَإِنَّمَا لَبَّيْنُ الدَّعْوَةِ والدَّعْوَةُ الْفَتْحُ لَعْدِيَّ بْنِ الرَّبَابِ وَسَائِرُ الْعَرَبِ تَكْسِرُهَا بِخِلَافِ مَا تَقْدِمُ فِي الطَّعَامِ (ص ٢٨٦)

٢٥ — وَدَقًّا الْجُرْمُحَ دَفَوْا أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءُوا بِأَسِيرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَرْعُدُ مِنَ الْبَرْدِ فَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا بِهِ فَأَدْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفْعَ مِنَ الْبَرْدِ وَهِيَ لَفَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَدْفُوهُ مِنَ الْبَرْدِ ، فَوَدَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٢٨٩) .

٢٦ — ذَأَى الْعَوْدُ وَالْبَقْلُ يَذَأَى ذَأَوًا وَذَأَبًا وَذُئْيًا الْأَخِيرَةُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ بِمَقُوبٍ وَهِيَ حِجَازِيَّةٌ دَوَى وَذَبَلَ (ص ٣٠٨) .

٢٧ — دَوَى الْعَوْدُ وَالْبَقْلُ بِالْفَتْحِ بَدَوِي دَبَاً وَدُوبًا كَلَامًا ذَبِلَ ، وَقَالَ اللَّيْثُ لُغَةُ أَهْلِ بَيْثَةِ ذَأَى الْعَوْدُ (ص ٣١٨) .

الجزء التاسع عشر

١ — يرى ، ترى ، نرى ، أرى ، قال وبها نزل القرآن ، إلا نيم الرّباب فإنهم يهزون حروف المضارعة فتقول : هو يرى ، ترى ، نرى ، أرى ، (ص ٤٠٥) .

٢ — قال الفراء : أهل المدينة يقرأونها « رِيا » بغير همز ، قال وهو وجه جيد من رأيت لأنه مع آيات لسن مهموزات الأواخر (ص ٧) .

٣ — الرّئيّ ، الرّئيّ الجسئيّ يراه الإنسان ، وقال اللحياني له رئيّ من الجن ورئيّ إذا كان يحبه ويؤلفه ، وتميم تقول رئيّ بكسر الهزة والراء مثل سميد ، بغير (ص ١٠) .

٤ — الاختيار من الالامات « رُبوة » لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم (ص ١٩) .

٥ — أرجى الأمر آخره لغة في أرجاه ، وفي قراءة أهل المدينة « قالوا أرجه وأخاه » (ص ٢٤) .

٦ — قال أبو عمرو « الأرعوّة » بلفظة أزد شنوءة نيرُ الغدّان يحترث بها (ص ٤٢) .

٧ — قال اللحياني « الزّنى » مقصور لغة أهل الحجاز قال تعالى : « ولا تقربوا الزّنى » بالقصر ، والزّناء ممدود لغة بني تميم وفي الصحاح المدّ لأهل نجد (ص ٧٩) .

٨ — الزّهو ، الزّهو البسر إذا ظهرت فيه الحمرة ، وقيل إذا لوتن واحداً

رَفُوءَةٌ « وقال أبو حنيفة رُهوٌ وهي لغة أهل الحجاز بالصم جمع رَهو كقولك
فوس وردّ وأفراس وُرد (ص ٨٢) .

٩ — سَمِر: السَّدَى ، السَّدَاه ممدود البلح بلغة أهل المدينة ، وقيل السَّدَى
البلح الأخضر ، وقيل البلح الأخضر بشماريخه يَمْدَد ويقصر يمانية
(ص ٩٨) .

١٠ — سَرَيْتُ سُرَى ، مَسْرَى ، وَأَسْرَيْتُ بمعنى إذا سِرْتَ ليلاً ،
بالألّف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً (ص ١٠٣) .

السُّرَى مصدر سَرَيْتُ ، ويقال في المصادر أن تجيء على هذا البناء لأنه من
أبنية الجمع يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السُّرَى والهُدَى ، وهم
بنو أسد توهاً أنهما جمع سُرَيْة ، هُدَيْة (ص ١٠٤) .

١١ — ابن الأعرابي : « سَفَا » إذا ضمف عقله ، و « سفا » إذا رِق شعره
وجلِحَ لغة طيء (ص ١١١) .

١٢ — قال اللحياني : إنَّ سَمَهُ فلان كلام العرب ، وحكى عن بني عمرو بن تميم
أَسَمَهُ فلان بالضم ، وقال الضم في قضاة كثير (ص ١٢٦) .

١٣ — السَّهْوَةُ الصخرة طائفة لا يسمون بذلك غير الصخرة
(ص ١٣٣) .

١٤ — قولهم « لا بَسَوَى » [بمعنى لا يساوى] أحسبه لغة أهل الحجاز
(ص ١٣٦) .

١٥ — الشَّبَا الطُّحْلُبُ يمانية (ص ١٤٨) .

١٦ — صَلَوْتُ الظَّهْرِ ضربت صَلَاةً (وسط الظهر) أو أصبته بشيء .

سهم أو غير . عن اللحياني ، قال وهم هذلية (ص ٢٠٠) .

١٧ - ابن الأعرابي أخفض الأعلام « النائية » وهي بلغة بني أسد بقدر قعدة الرجل ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهو « صوة » [حجر يكون علامة في الطريق] (ص ٢٠٦) .

١٨ - وشدة ما ضحيت وضحت للشمس (أي رزت) والريح وغيرها ، وتميم تقول ضحت للشمس أضحو (ص ٢١٣) .

١٩ - قال أبو زيد الكلبيون يقولون « وبلدة ليس بها طوئي » [أي ليس بها أحد] الواو قبل الهزة وتميم تحصل الهزة قبل الواو فتقول طووي (ص ٢٢٦) .

٢٠ - تقول سمعت طغى فلان أي صوته هذلية (ص ٢٣١) .

٢١ - قال ابن جني اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط فإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة ، وإنما هو ابن الظل وقالوا ناطور وإنما هو ناظور فاعول من نظر ينظر (ص ٢٥١) .

٢٢ - عتي بمعنى « حتى » هذلية وقتية وقرأ بعضهم « عتي حين » أي « حتى حين » وفي حديث عمر رضي الله عنه بلغه أن ابن مسعود رضى الله عنه يقرئ الناس « عتي حين » يريد (حتى حين) فقال إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قریش . كل العرب يقولون (حتى) إلا هذيلًا وقيفًا فإنهم يقولون (عتي) (ص ٢٥٣) .

٢٣ - قال أبو عبيد « العدى » جماعة القوم بلغة هذيل

(ص ٢٥٨)

٢٤ — ابن سيده عن أبي حنيفة: المَجْوَةُ بالحجاز أم التمر الذي إليه المزعج كالشَّهْرِيْزِ بالبصرة، والتَّبَيُّ بالبحرين والجَذَامِيّ باليمامة (ص ٢٥٧).

٢٥ — قال الليث وكلمة شماء من لغة أهل الشعر يقولون: يَعْزَى ما كان كذا وكذا كما تقول نحن لمصرى لقد كان كذا وكذا، ويَعْزِيكَ ما كان كذا وقال بعضهم «عَزَوَى» كأنها كلمة يتلطف بها (ص ٢٨٣).

٢٦ — العَاسِي الشُّرَاخ من شاربخ العَذَق في لغة بلحَوث بن كعب (ص ٢٨٣).

٢٧ — وحكى الليث عن الكسائي: «بالمسي أن يفعل» قال ولم أسمعهم يصرفونها مصرف إخوانها يعنى بأخواتها حرى وبالحرى وما شاكلها (ص ٢٨٥) [لهجة لبنانية بالمسي يحى].

٢٨ — أبو زيد: العِفْوَةُ أَفْتَاءُ الْحُرِّ، قال ولا أعلم في جميع كلام العرب واوا متحركة بعد حرف متحرك في آخر البناء غير واو عِفْوَةٍ، قال وهى لغة لقيس (ص ٣١١).

٢٩ — قال سيبويه ألف علّا زيدا ثوبٌ بمنقلة من واو إلا أنها تقلب مع المضمر ياء تقول عليك، وبعض العرب يتركها على حالها قال الراجز:

أَيُّ قُلُوبٍ رَاكِبٍ تَرَاهَا فَاشْدُدْ بِمَنْشَى حَقَبِ حَقْوَاهَا

نَادِيَةً وَنَادِيًا أَبَاهَا طَارُوا عَلَاهُنْ فَطْرَهْ عَلَاهَا

ويقال هى لغة بلحَوث بن كعب (ص ٣٢٧).

٣٠ — المَوَّاءُ النَّابُ مِنَ الْإِبِلِ مَحْدُونَةٌ ، وَقِيلَ هِيَ فِي لَفَةِ حَنْبِلِ النَّابِ

الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا (٣٤٦) .

٣١ — وَغَيَّ شَعْرَهُ قَصَرَ مِنْهُ لَفَةٌ لَعِبْدٍ لِلْقَيْسِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ

(ج ٣٥١) .

الجزء العشرون

١ - شعر : فجأ بآية وبجؤه إذا فتحه بلفة طيء ، قال ابن سيده قاله أبو عمرو الشيباني وأنشد للطرماح :

كبة السَّاحِ فجأ بآيها صُبْعٌ جَلَّ خُضرة أهدأها
(ص ٦) .

٢ - وفي حديث هوازن لما انهزموا قالوا :

الرأي أن يُدخل في الحصن ما قدرنا عليه من « فاشيتنا » أي مواشيتنا
(ص ١٤) .

٣ - وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قتل المخرم الحيات فقال لا بأس يقتله « الأفعو » ولا بأس يقتل « الحدو » قتل الألف فيهما واوا في لفته ، أراد الأفى وهي لفة أهل الحجاز ، قال ابن الأثير ومنهم من قلب الألف ياء في الوقف وبعضهم يشدد الواو والياء وهزتها زائدة
(ص ١٨) .

٤ - القباية المفازة بلفة حير (ص ٢٨) .

٥ - ابن سيده : القرية والقرية لغتان المصر الجامع ، التهذيب المكسورة يمانية ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القرى فحلوها على لفة من يقول كِسوة وكُسا ، وقيل هي القرية بفتح القاف لا غير ، قال وكسر القاف خطأ (ص ٣٧) .

٦ - قال ابن السكيت ما كان من النوم مثل العُلْيَا والدنيا فإنه يأتي

بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القُصوى فأظهروا الواو وهو نادر وأخرجوه على القياس إذ سكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القصيا (ص ٤٤) .

٧ — وفي حديث طلحة : فوضموا اللج على قَفَى أى وضموا السيف على قَفَاى قال وهى لغة طائية يشددون ياء التكلم (ص ٥٥) .

٨ — تقول قلاه يُقْلِيهِ قِلَى وقلاه وَيَقْلَاهُ لغة طيء (ص ٥٩) .

٩ — أهل الحجاز يقولون : قِنوان ؛ وقيس : قُنوان ؛ وتميم وضبة : قُنيان ، قال وكلب تقول : قِنيان (ص ٦٧) .

١٠ — الكَلوة لغة فى الكَلَّة لأهل اليمن ، قال ابن السكيت ولا تقل « كَلوة » بكسر الكاف (ص ٩٤) .

١١ — وقال ابن سيده و « لَمَاء » طائية أنشد اللحياني :

لم تلقَ خيلَ قبلها ما قد لَقَّتْ من غيبِ هاجرة وسيرِ مُسَادٍ

(ص ١٢٠ سَاد = سير الليل كله) .

١٢ — قال أهل التفسير اللَهُو فى لغة حضر موت « الولد » ، وقيل اللهو

المرأة (ص ١٢٦) .

١٤ — محا الشيء يمحوه ويمحاهُ محوً ومحياً أذهب أثره . الأزهرى المحو لكل شيء يذهب أثره تقول أنا أمحوهُ وأمحاه ، وطبىء محيته محياً ومحوً (ص ١٣٩) .

١٤ — المِرْبَةُ والمِرْبَةُ الشك ، قال ثعلب هما لغتان ، قال وأما مِرْبَةُ الناقة فليس فيه إلا الكسر والضم غلط ، قال ابن برى يعنى مسح الصرع لتدُر الناقة قال وقال ابن دريد مِرْبَةُ الناقة بالضم وهى اللغة المالكية (ص ١٤٦) .

١٥ - النَّا الكيل أو الميزان الذي يوزن به بفتح الميم مقصور يكتب بالالف وهو أفصح من « المَن » والجمع أمناء ، وبنو تميم يقولون هو « مَن » ومَنان وأمنان (ص ١٦٧) .

١٦ - نَطًا الرجلُ سَكَتَ وفي حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه كنت مع رسول الله صلعم وهو على عليّ كتاباً وأنا أستفهمه فدخل رجل فقال له : انطُ أى أسكت بلفظة حمير ، وأعطيت لفة في أعطيت وقد قرىء إنا أنطيناك الكوثر ، والإنطاء لفة في الإعطاء ، وقيل الإنطاء الإعطاء بلفظة أهل اليمن (ص ٢٠٦) .

وفي حديث الدعاء « لا مانع لما أعطيت ولا منطى لما منعت » ، قال هو لفة أهل اليمن .

١٧ - النماء الزيادة نَمِيَ بَنِي نَمِيًا وَنُمِيًا وَنَمَاءً زَادَ وَكَثُرَ وَرَبَّمَا قَالُوا يَنْسُو نُمُوًّا الْمُحْكَمُ قَالَ أَبُو عبيد قال الكسائي ولم أسمع ينمو بالواو إلا من أخوين من بني سليم ، قال ثم سألت عنه جماعة بنى سليم فلم يعرفوه بالواو ، قال ابن سيده هذا قول أبي عبيد وأما يعقوب فقال ينمى وينمى فسوى بينهما (ص ٢١٥) .

١٨ - قال اللحياني الهدى مذكر قال وقال الكسائي بعض بنى أسد يؤثته بقول هذه هدى مستقيمة (ص ٢٢٩) .

١٩ - قال نطب الهدى بالتخفيف لفة أهل الحجاز والهدى بالتثقيب على فمیل لفة بنى تميم وسفلى قيس وقد قرىء بالوجهين جميعاً « حتى يبلغ الهدى محله » (ص ٢٣٤) .

٢ - قال الكسائي : « هي » أصلها أن تسكرون على ثلاثة أحرف مثل

« أنت » فيقال « هي » فقلت ذلك ، وقال هي لغة هذيان ومن في تلك الناحية ، قال وغيرهم من العرب يحققها وهو المجمع عليه فيقول : هي فقلت ذلك ، قال اللحياني وحكي عن بمص بنى أسد وقيس هي فقلت ذلك يأسكان الياء (ص ٢٥٣ ، ٢٥٤) .

٢١ - الأواغى مفاجر الماء في الدار والمزارع واحدها آغية يخفف وبثقل (أى أواغى ، أواغى جمع آغية ، آغية) وهو من كلام أهل السواد لأن الهمة والغين لا يجتمعان في بناء كلمة واحدة (ص ٢٧٨) .

٢٢ - في لغة بنى سعد يقولون « ألا تا » يقول « ألا تهي » ؟ فيقول الآخر « بلى فآ » أى فاذهب بنا (ص ٣١٣) .

٢٣ - قال أبو زيد ومن العرب من يقول « هؤلاء » قومك ، ورأيت هؤلاء فينون ويكسر الهمة ، قال وهي لغة عقيل (ص ٣٢١) .

٢٤ - وأما « ذو » التى في لغة طيء بمعنى الذى لحقها أن توصف بها المعارف تقول : أنا ذو عرفت وذو سمعت ، وهذه امرأة ذو قالت ، كذا يستوى فيه التثنية والجمع والتأنيث ، قال بُجَيْر بن عَتَمَة الطائى أحد بنى بَوْلَان :

وإن مولاي ذو يعاتبني لا إحنة عنده ولا جرمة
ذاك خليلي ودو يعاتبني يرى ورأى بامسئهم وامسئمة
(ص ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

٢٥ - قال الأزهرى وسمعت غير واحد من العرب يقول : « كنا بموضع كذا وكذا مع ذى عمرو وكان ذو عمرو بالصَّمان » أى كنا مع عمرو وممنا

همرو، و « ذو » كالصلة عندهم، وكذلك ذوى، قال وهو كثير فى كلام
قيس ومن جاورهم (ص ٣٤٩) .

٢٦ — فإن جعلتها حرف نقي لم تعطها فى لغة أهل نجد لأنها دوائر وهو
القياس، وأعملتها فى لغة أهل الحجاز تشبيهاً بليس، تقول ما زيد خارجاً وما هذا
بشراً (ص ٣٦٢) .

٢٧ — الأصمى؛ متى فى لغة هذيل قد تكون بمعنى « من » وأنشد
لأبى ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفقت منى للجح خضر لمن نليج
(ص ٣٦٤) .

٢٨ — وأهل الحجاز يقولون : ها إنك زيد؟ معناه أإنك زيد؟ فى الاستفهام
ويقصرون فيقولون : ها إنك زيد؟ فى موضع أإنك زيد؟ (ص ٣٦٥) .

٢٩ — قل الكسائى : « هو » أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل
« أنت »، فيقال هو فعل ذلك، قال ومن العرب من يخففه فيقول : هو فعل
ذلك . قال اللحيانى وحكى الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس « هو » فعل
ذلك باسكان الواو (ص ٣٦٦) .

٣٠ — أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هـى، هو، فيقولون هو زيد وهى
هند كأنهم حذفوا المتحرك، وهى قالتة وهو قاله وأنشد :

وكنّا إذا ما كان يوم كريمة فقد علموا أنّى وهو فقيان
(ص ٣٦٨) .

٣١ — قال القراء : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالماء إلا طيئاً فإنهم
يقفون عليها بالتاء فيقولون : هذه أمت، وجاريت، طلعت (ص ٣٧٠) .

٣٢ — قال القراء : يقال اجلس ههنا أى قريباً ، وتنح ههنا أى تباعد أو ابعد قليلاً ، قال و « ههنا » أيضاً تقوله قيس وتميم ، قال الأزهرى وسمعت جماعة من قيس يقولون : اذهب ههنا بفتح الهاء ولم أسممها بالكسر من أحد (ص ٣٧٤) .

ملحوظة : تعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، أما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تعلم ، والقرآن عليها .



أهم المراجع العربية

- ١ - ابن الجوزي :
النشر في القراءات العشر .
- ٢ - سيبويه :
الكتاب .
- ٣ - ابن يعيش :
شرح المفصل :
- ٤ - ابن جني :
(أ) الخصائص .
(ب) سر صناعة الإعراب .
- ٥ - السيوطي :
(أ) الزهر .
(ب) الإتيان في علوم القرآن .
- ٦ - ابن فارس :
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .
- ٧ - اليازجي :
مجمعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والتوارد .
- ٨ - ابن خلدون :
المقدمة والتاريخ .
- ٩ - القلقشندي :
صبح الأعشى « الجزء الأول »

- ١٠ - ابن سيده :
الخصص .
- ١١ - ابن منظور :
لسان العرب .
- ١٢ - ابن الأنباري :
كتاب الأضداد .
- ١٣ - مجلة مجمع اللغة العربية «الأجزاء ١، ٢، ٣»
١٤ - جورج زيدان :
تاريخ آداب اللغة العربية .
- ١٥ - حفي ناصف :
مميزات لغات العرب .
- ١٦ - الدسوقي :
تهذيب الألفاظ العامية .
- ١٧ - الدكتور أحمد عيسى :
الحكم في أصول الكلمات العامية .
- ١٨ - محمد نضر الدين :
مجموعة من الخطوط التاريخية لبلاد العرب .
- ١٩ - الدكتور أحمد أمين :
ضحى الإسلام .
- ٢٠ - الدكتور علي عبد الواحد وافي :
(أ) - لم اللغة .
(ب) - لغة اللغة .

٢١ - عبد الوهاب حمودة :

القراءات واللهجات .

٢٢ - يوهان فك : (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) .

العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) .

٢٣ - ابن حزم الأندلسي :

جمهرة أنساب العرب .

٢٤ - برجستراسر :

التطور اللغوي .

٢٥ - ابن دريد :

(أ) الاشتقاق .

(ب) الجمهرة .

٢٦ - ابن فارس :

مقاييس اللغة .

٢٧ - القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن .

٢٨ - الجاحظ :

البيان والتبيين .

٢٩ - الباقلائي :

إعجاز القرآن .

٣٠ - المبرد :

الكامل .

٣١ - القالي :

الأمالي .

٣٢ - ابن عبد ربه :

العقد الفريد .

٣٣ - ابن هشام :

مغنى اللبيب .

٣٤ - الحررى :

درة الفواص فى أوهام الخواص .

٣٥ - الرافعى :

تاريخ آداب العرب .

٣٦ - أبو حيان :

البحر المحيط (تفسير) .

٣٧ - الزمخشري :

(أ) الكشف (تفسير) .

(ب) المفصل وشرحه لابن يعيش .

٣٨ - صحيح البخارى ، صحيح مسلم .

٣٩ - ابن حجر السقلاوى :

الإصابة فى تمييز الصحابة .

٤٠ - أبو عمرو الدانى :

التيسير .

٤١ - ابن السكيت ، الأصمى ، السجستانى :

ثلاثة كتب فى الأضداد (نشرها أوغست هوفتر) .

٤٢ - أبو البركات الأنبارى :

الإتصاف فى مسائل الخلاف .

٤٣ - شهاب الدين الخفاجي :

شفاء القليل .

٤٤ - أبو زيد الأنصاري :

نوادير اللغة .

٤٥ - البغدادى :

حزنة الأدب .



الفهرس

الصفحة

٣

مقدمة الطبعة الرابعة :

٤

مقدمة الطبعة الثالثة :

٧ - ٥

مقدمة الطبعة الثانية :

دراسة اللهجات وازدهارها في السنوات الست الأخيرة .

١٥ - ٩

مقدمة الطبعة الأولى :

الأسس العلمية التي تبنى عليها دراسة اللهجات العربية القديمة ،

أولها : دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفيضة .

ثانيها : دراسة القراءات القرآنية .

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب .

٣٢ - ١٦

الفصل الأول

١ - معنى اللهجة في الاصطلاح الحديث والقديم ، ومعنى اللغة في الاصطلاحين .

العناصر التي تتميز بها اللهجة ، والعناصر التي تشترك بين لغات القسيمة .

- كيف تتكون اللهجات :

الانزوال بين يثات الشم الواحد ، والصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

منحة

٣ — وحدة النطق في البلاد العربية :

كيف اختلف النطق الحديث في البلاد العربية ،
ونواحي هذا الاختلاف . وسائل توحيد النطق .

٣٣ - ٥٢

الفصل الثاني

١ — اللغة العربية قبل الإسلام ، غموض التاريخ السياسي والاجتماعي لحزيرة العرب في العصر الجاهلي ، تشتت القبائل في اللهجات وتوحيدها في اللغة الأدبية النموذجية .
لم يكن الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب .
كيف نشأت اللغة النموذجية المشتركة قبل الإسلام ،
وخلوها من الصفات المحلية للهجات .

٢ — كيف كان ينظر إلى اللهجات قبل الإسلام وبعده .
اعتزاز بعض المتأخرين بنصوص اللهجات .

٥٣ - ٨٠

الفصل الثالث

القراءات القرآنية واللهجات :

تفسير جديد لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف .
الصفات المشهورة المشتركة بين القراءات واللهجات :

١ — الفتح والإمالة ، موقف القراء من الإمالة ، أنواع الإمالة الناشئة عن أصل يأتي ، والناشئة عن انسجام الحركات .

الصفحة

- ٢ — الإدغام ، وتأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض .
- موقف القراء من هذه الظاهرة ، وموقف القبائل منها .
- ٣ — الهمز ، موقف القراء من تحقيق الهمز أو تسهيله ،
- وموقف القبائل من هذا .

١٥٦ — ٨١

الفصل الرابع

- ١ — الإعراب واللهجات . لم يكن الإعراب مظهرًا من مظاهر السليقة بين عامة العرب .
- ٢ — اختلاف البدو والحضر في الصفات الصوتية للنطق .
- ٣ — عوامل التطور وعوامل الجمود بين القبائل البدوية :
الانحزال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار ،
كثرة التنقل والرحيل ، قلة عناية البدو بالنطق ،
تعصبهم للصفات التي تشتهر عندهم .
- موقف الحضر من هذه العوامل : قياس المركز الاجتماعي بمقاييس لقوية يساعد على الاستقرار في النطق ، ولكن استعداد الحضر لقبول كل جديد يساعد على التطور .
- ٤ — صفات اللهجة بين البدو والحضر :
 - (١) الفتح عنده الحضر والإمالة عند البدو .
 - (٢) الكسر عند الحضر والضم عند البدو .
 - (٣) الأصوات الرخوة عند الحضر ، ونظائرها الشديدة عند البدو

الصفحة

(٤) الأصوات المهموسة عند الحضر ، ونظائرها
المجهورة عند البدو .

(٥) التأثر بالأصوات المتجاورة ، وشيوعه عند
البدو .

(٦) الميل إلى الترقيق عند الحضر ، والتفخيم عند البدو .

٥ — السرعة في النطق ، وما ترتب عليها في لهجات البدو
من سقوط أجزاء من نهاية الكلمات .

٦ — لهجات متناثرة :

تلتة بهراء ، طلمانية حمير ، واسقطاء هذيل .

موقف اللهجات من المثني .

اختلاف النبر بين القبائل .

٧ — أشهر القبائل في اللهجات العربية :

نطق العامة من العرب للنصوص الأدبية بعد سبياً
هاماً في ا-تلاف الروايات لهذه النصوص .

١٥٧ — ١٧٣

الفصل الخامس

اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات :

(١) أهمية البحث في دلالة الألفاظ عند القبائل المختلفة .

(٢) اختلاف البنية من أوضح ظواهر اللهجات .

(٣) رأى ابن جنى في اختلاف البنية .

(٤) بحث في أبواب الثلاثي مؤسس على ما ورد في

القرآن الكريم من أفعال .

المنحة

١٧٤ — ٢١٥

الفصل السادس

١ — المترادفات :

موقف علماء اللغة من الترادف في القرن الثاني الهجري ،
اختلاف العلماء في الترادف في القرن الرابع الهجري ،
وأدلة أصحاب الترادف .

رأى المحدثين في الترادف ، وما يشترطونه لتحقيق
فكرة الترادف .

الترادف في القرآن الكريم .

الذين أنكروا الترادف كانوا : إماما من الاشتقاقيين
كابن دريد وابن فارس ، أو من الأدباء أو من النقاد
الذين يستشفون في الكلمات ظلالاتها من المعاني .

الأسباب التي ولدت الترادف في اللغة العربية :

إيثار بعض القبائل لكلمات خاصة ، استعارة بعض
الكلمات من لهجة أخرى ، فقدان الوصفية ، تطور
المعنى ، المجازات المنسية .

الترادف الوهمي :

مجموعة كثيرة من الكلمات تطورت أصواتها في قبيلة
وبقيت على حالها عند أخرى ، وظنها جامعو اللغة من
المترادفات .

٢ — المشترك اللفظي :

(١) أصحاب فكرة المشترك اللفظي ، والمعارضون
الذين ينكرونه .

صفحة

(ب) المجازات المنسية :

مجازات الأدباء ومجازات جمهور الناس .

(ج) عوامل المشترك اللفظي :

الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، سوء فهم المتق ،

الاقتراس ، تطور المعنى في بيئة ذون أخرى ،

نظور الصورة :

(د) اضطراب المعاجم في رواية أمثلة من المشترك اللفظي .

٣ — التضاد :

(١) مبالغة ابن الأنباري في كتابه « الأضداد » ،

بحث أمثلة مختارة من هذا الكتاب .

(ب) عوامل التضاد هي عوامل المشترك اللفظي مضافاً

إليها : التطير ، التهمك ، الإبهام في المعنى الأصلي

وعمومه .

٢١٦ — ٢٢٦

الفصل السابع

١ — هل اللغة العربية لغة بدوية ؟

٢٢٧ — ٢٤٤

الفصل الثامن

١ — في اللهجات الحديثة :

(١) لهجة القاهرة :

١ - خصائصها الصوتية ، وانجاساتها في تطور

الأصوات : كاللّيل إلى الخمس ، وإيثار ضيفة

على أخرى .

٢ - أخطاء الأجيال الناشئة : قلب صوت إلى آخر
نظيره ، أو تغيير في ترتيب الأصوات ، أو
قياس خاطئ . .

٣ - تطور المعاني في لهجة القاهرة .

(ب) كلمة ختامية :

العناصر المشتركة بين اللهجات الحديثة تنتمي إلى اللهجات
عربية قديمة .

(ج) ملاحق الكتاب ٢٤٥

نصوص معجم لسان العرب الخاصة باللهجات المنسوبة لقبائل
معينة أو أمكنة محددة في شبه الجزيرة العربية .